الإعلام والصورة النمطية



أ. علي خليل شقرة

الاعلام
والصورة النمطية

(صورة العرب والمسلمين نموذجاً)

تأليف

أ. علي خليل شقرة

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

نبلاء ناشرون وموزعون
الأردن - عمان

الناشر

دار أسامة للنشر و التوزيع

الأردن – عمان
- هاتف : 5658252 – 009626/5658253
- فاكس : 009626/ 5658254
- العنوان : العبدلي- مقابل البنك العربي

ص. ب : 141781

Email: darosama@orange.jo

www.darosama.net
نبلاء ناشرون وموزعون

الأردن – عمان- العبدلي

تليفاكس: 009626/5664085

الطبعة الأولى

2015م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2014 /6 /3063)

302.2 شقرة، علي خليل

الاعلام والصورة النمطية/ علي خليل شقرة.- عمان: دار أسامة للنشر، 2014.

(   ) ص.

ر.أ.: (2014/6/3063).

الواصفات: /الإعلام// وسائل الاتصال/

ISPN: 978-9957-22-619-0

الفهرس

المقدمة

للإعلام في عصرنا أهمية كبيرة ومكانة خطيرة جعلت منه أشد الأسلحة فتكاً وأكثرها حدة في المعارك الدائرة في مختلف بقاع الارض.

فالإعلام بوسائله المتنوعة وبما طرأ ويطرأ عليها من تطورات متلاحقة مذهلة أصبح أداة- ربما تتفوق على الادوات الأخرى كالعسكرية- في الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية وفي الهيمنة الفكرية على وجه الخصوص بقدرته الفائقه على غزو العقول وتضليلها والتلاعب بها.

ومن هذا القبيل صناعة صور نمطية للآخر تشيطن وتشوه صورته بحيث يوضع هذا الآخر - فرداً كان أو جماعة- في إطار هذه الصورة السلبية دون مراعاة لاي فروق بينهم!

وفي إطار الحملات الشرسة والمتنوعة على العالم العربي والإسلامي فقد تم تسخير الإعلام بوسائله المختلفة لخدمة هذا الحملات بتشويه صورة العرب والمسلمين، وذلك بصناعة صورة نمطية سلبية لهم في الذهن الجمعي الغربي ولتكون هذه الصورة إطاراً لتعامل الغرب وسلوكه تجاه العرب والمسلمين وقضاياهم المختلفة.

ومما زاد هذا الموضوع خطورة وتعقيدا تضافر كافة مكونات الثقافة الغربية (من تراث وعقيدة، آداب، ودراسات المستشرفين وسير الرحالة، ومناهج التدريس...) مع الإعلام في صناعة هذه الصورة القاتمة للعرب والمسلمين مما زادها قتامة ورسوخاً في الأذهان هناك.

ويأتي هذا الكتاب محاولة متواضعة لدراسة الصورة النمطية وطرق صناعتها وأخذ حالة العرب والمسلمين كنموذج عليها.

تحدثنا في الفصل الأول عن الصورة النمطية وكيفية صناعتها وخصائصها.

وخصصنا الفصل الثاني للحديث عن الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين في الغرب، والعوامل التي ساعدت على انتشار هذه الصورة.

وتحدثنا عن كيفية صناعة هذه في الغرب.

وفي الفصل الثالث تحدثنا بالتفصيل عن المصادر والمنابع التي استقى منها الغرب صفات وأبعاد هذه الصورة والوانها. وتحدثنا عن تسخير وسائل الإعلام المختلفة وخاصة السينما وهوليود على وجه الخصوص في صناعة هذه الصورة وتعميق جذورها.

وفي الفصل الرابع تناولنا الدور الصهيوني في تشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب وهو دور كبير - فعال - كان له أسوأ الأثر في ذلك عبر عدة وسائل وأساليب تحدثنا عنها في هذا الفصل.

وقد خصص الفصل الخامس للحديث عن دور إسرائيل والصهيونية في صناعة الصورة السلبية المظلمة للعرب والمسلمين في فلسطين وعن الأساليب التي اتبعت في ذلك.

وفي الفصل السادس فصّلنا القول في أسباب صناعة الصورة النمطية للغير وكيف تم تسخير هذه الصورة النمطية للعرب والمسلمين في خدمة وتنفيذ أهداف الدول الاستعمارية ومخططاتها.

ونود أن نسترعي انتباه القارئ الكريم الى بعض النقاط قبل الشروع في قراءة الكتاب:

1. تم التركيز في الكتاب على المواقف الغربية السلبية من العرب والمسلمين رغم كثرة المواقف الايجابية والمنصفة في الغرب للعرب والمسلمين وقضاياهم سواء في وقتنا الحالي أو في الماضي.

فهناك الكثير من المستشرقين من أنصف العرب والمسلمين وخدم اللغة العربية وعلومها والأحاديث النبوية(*)....

وكذلك فعل الكثير من المفكرين والباحثين الغربيين...

وحتى هوليود قد أنصفت العرب والمسلمين في بعض افلامها... ولكن تركيزنا كان على الجوانب السلبية لان موضوع الكتاب هو الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين...

2. أوردنا معظم الادعاءات ضد العرب والمسلمين دون ردود عليها في معظم الأحيان- لان الرد عليها يستغرق صفحات طويلة تخرجنا عن الموضوع الرئيسي للكتاب... ولذلك اكتفينا بتعليقات على هذه الافتراءات...

3. ان الأصابع الصهيونية العابثة لصناعة هذه الصورة السلبية للعرب والمسلمين واضحة وضوح الشمس في وسط النهار.

ولكننا خصصنا بعض الادلة على هذا الدور عند حديثنا عن دور الصهيونية في صناعة هذه الصورة في الغرب مع إيماننا بخطورة هذا الدور فيما أوردنا عند حديثنا عن هذه الصورة في الغرب وإن لم نشر إلى ذلك بوضوح.

4. وجود بعض الحقائق فيما اورده بعض المستشرقين والرحالة وما ورد في الأفلام السينمائية والتلفزيونية... عن نقائص ومآخذ على العرب والمسلمين.

ولكن أن تعرض هذه السلبيات على أنها خروج عن القواعد وانحراف عن التعاليم الإسلامية - وهذا هو الصحيح والحق- شيء وأن تعرض على أنها تمثل حقيقة العرب والمسلمين شيء آخر وهو مرفوض.

(*) يرى بعض المفكرين الإسلاميين مثل المرحوم الاستاذ محمد قطب- في بعض مواقف المستشرقين التي تبدو منصفة للإسلام قشورا تخفي تحتها سموما قاتلة (كتاب المستشرقون والاسلام لمحمد قطب. دار الشروق).

إن صناع الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الغرب اعتمدوا على أقوال ومشاهدات لبعض الرحالة والمستشرقين قبل عدة مئات من السنين وزعموا ان هذا هو حال الامة العربية الإسلامية في وقتنا الحالي مسقطين أقوال ومشاهدات وافتراءات هؤلاء على واقع الامة اليوم- خاصة فيما يتعلق بالمراة العربية المسلمة- متجاهلين مراحل كثيرة وكبيرة من التطور والتغير الذي طرأ على واقع المجتمعات العربية والمسلمة.

وبالطبع فهذا غير منصف بل ينحدر إلى مستوى الكذب والبهتان...!

المؤلف

الفصل الاول

الصورة النمطية

Stereo type

الصورة النمطية Stereo type

للإعلام بوسائله المختلفة وظائف كثيرة ومن أهمها صياغة الواقع بجميع جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

وتتم هذه الصياغة خدمة لأغراض كثيرة قد تتطلب تقديم صورة غير حقيقية وغير معبرة عن الواقع.

وهذا ما تقوم به وسائل الإعلام في صناعتها للصورة النمطية لأشخاص أو فئات أو شعوب معينة حيث تقوم بإظهار هؤلاء بصورة غير حقيقية عن طريق اختراع صفات وقيم قد لا يكون هؤلاء الأشخاص او هذه الفئات- المراد تنميطها- يتصفون بها، بل يتم الصاقها بهم لاختراع صورة يتم من خلالها التعامل مع هؤلاء بحيث يكون السلوك تجاههم محكوماً بهذه الصورة التي تم في إطارها قولبة الأفراد والجماعات دون النظر لفروق فردية أو ثقافية بين أفراد الفئة أو الشعب المراد قولبة صورته.

وللصورة النمطية عدة تعاريف تناولها الكتاب في مقالاتهم ومؤلفاتهم حول الموضوع.

فقد عرفها الباحث غردون بأنها:

«اعتقاد مبالغ فيه يرتبط بفئة وظيفته تبرير السلوك ازاء تلك الفئة»[1]

كما عرفها باحثون آخرون على أنها:

«رأي ثابت ذو طبيعة تقييمية وتعميمية يشير إلى فئة من الناس ومكان أو عنصر أو جماعة معينة... الخ» الذين يجدهم متشابهين ضمن اعتبار معين.

كما عرفتها الباحثة إرادة الجبوري:

«حكم قيمة- سلبي أو ايجابي- بالغ البساطة والتعميم يقترن بفئة من الناس (قومية، ديانة، جنس، جماعة معينة... الخ) متجاهلاً الفروق الفردية بين اعضاء تلك الفئة ويصعب تغييره في معظم الأحيان»[2].

وقد عرفتها كوهين بأنها:

1- من قال «الصورة النمطية والتنميط: من الطباعة الى القانون والممارسة السياسية على الموقع:
http www. Sudanese online. Com

2- المرجع السابق.

«عملية اختزال لوصف شخص ما بخصائصه الكلية العامة بدلاً من خصائصه المنفردة والمتميزة».

وقد عرفها والترليبمان- وهو أول من استعمل مصطلح الصورة النمطية- بأنها: «عملية منتظمة ordering Process ومختزله Short- cut تشير إلى العالم وتعبر عن قيمنا ومعتقداتنا»(1)

كما عرفها جورهام على أنها:

«عملية تستخدم فيها الخرافات العرقية حيث يتم تحويلها إلى واقع اجتماعي كما يتم تحويلها إلى معتقدات عن اعضاء جماعات عرقية أخرى».

وقد عرفها الدكتور محمد جمال الفار:

«استخدام الانماط الفكرية السائدة أو الصور الذهنية السائدة عن فرد أو جماعة أو شعب والصاق مبادئ ونظم وافكار بشكل يسهل قبولها لدى عامة الناس، فكلمة شيوعي تعني احمر، وامبريالي تعني امريكي، ويهودي تعني خبيث وجشع ومخادع، والهدف الرئيسي من تسليط الاضواء على هذه الصورة النمطية الجامدة السلبية هو اثارة الضغائن والأحقاد والكراهية ضد صاحبها»(2).

وقد عرفت موسوعة ويكيبيديا الصورة النمطية بأنها:

«الحكم الصادر لوجود فكرة مسبقة في شيوع فكرة معينة عند فئة معينة فيقوم المدعي بالباسها صفة العمومية أو فكرة مسبقة تلقي صفات معينة على كل أفراد طبقة أو مجموعة».

المبحث الأول: تعريف الصورة النمطية

وهناك تعاريف كثيرة للصورة النمطية يمكن الخروج منها بتعريف:

«هي التصور الذي يقفز إلى الذهن عند ذكر شخص أو فئة أو شعب نتيجة ما اقترن في الذاكرة من تراكمات معرفية صنعت حولهم أحكاماً مسبقة ودون مراعاة لفروق فردية أو جنسية أو ثقافية بين أفراده وفئاته...».

1- د. سليمان صالح: وسائل الاعلام وصناعة الصورة النمطية، ص154، ص151، ص153.

2- المعجم الاعلامي ص212.

وقد حوت التعاريف السابقة خصائص وميزات الصورة النمطية والتي سنتعرض لها لاحقا.

وبسبب من اتساع العالم وتوزع سكانه على جميع انحائه فقد تعذر ان يتم الاتصال بينهم بصورة مباشرة، وبالتالي لا يمكن أن يبقى الإنسان على اطلاع على دقائق وتفاصيل الحياة في كثير من أنحاء العالم مما جعل اختراع تصور معين عن اشخاص أو فئة أو شعب حلاً يمكن من خلاله إدراك جوانب كثيرة في حياة هؤلاء وتفسير الكثير من سلوكهم.

وغالباً ما تكون هذه الصورة النمطية سلبية تستهدف تشويه أو تدمير وشيطنة الشخص أو الفئة أو الشعب المراد تنميطه.

وأول من تحدث عن هذه الصورة في العصر الجديث- كما ذكرنا سابقا- هو الصحفي الأمريكي والتر ليبمان 1889- 1974 في كتابه «الرأي العام» الذي صدر عام 1922 وقد استعار مصطلح «النمطي» من عالم الطباعة حيث يستخدم هذا المصطلح لوصف الصفائح المعدنية التي تجري طباعة الحروف عليها بطريقة الصب الحراري وبذلك تبقى ثابتة لا يمكن محوها ووجه الشبيه الذي دفع ليبمان لهذه الاستعارة هو الثبات.

وقد بين ليمان في كتابه أن الإنسان يرى ذهنياً كثيراً من العوامل التي لا يستطيع أن يراها بعينيه أو يحتك بها مباشرة وهي تشكل القسم الأكبر من العالم، وبالتالي مما يتشكل في الذهن من صورة عن هذه العوالم يشكل منظاراً يحكم من خلاله على كل العوالم التي لم يراها، وهنا تكمن الخطورة حيث أن الصورة السلبية المشوهة ستفضي إلى تصورات مقولبة محصورة في إطار هذه الصورة السلبية وبالتالي إلى أحكام جائرة بعيدة عن الواقع.

وغالبا ما تكون هذه الصورة قد تشكلت في أذهان الأفراد أو الشعوب والمجتمعات من خلال تراكمات تاريخية وعقائدية... حكمت علاقتها مع الآخر.

فمثلاً صورة الافريقي النمطية في الذهن الجمعي الغربي: متفحم البشرة، طويل القامة، هزيل الجسد بسبب نقص التغذية، تغطي أسراب الذباب وجهه.

والقارة الإفريقية عموماً- في الذهن الغربي- قارة الحروب الاهلية، متخلفة، قارة الامراض وخاصة مرض نقص المناعة، وقارة الكوارث الطبيعية والدمار البيئي والجوع.

وهذه الصورة بالقطع لم تتكون في الذهنية الغربية نتيجة دراسة علمية شاملة أو نتيجة احتكاك مباشر مع كافة الدول والشعوب الإفريقية بل هي نتيجة ملاحظات جزئية ومغرضة في غالب الأحيان، ونتيجة المخزون الثقافي والفكري في الذهن الغربي الذي تكون من مصادره عدة...

وكذلك الصورة المشوهة للعرب والمسلمين في الغرب والتي سنتعرض لها بالتفصيل في الصفحات القادمة.

المبحث الثاني: خصائص الصورة النمطية

للصورة النمطية خصائص انبنت عليها يمكن استخلاصها من التعاريف المختلفة لها.

1. **الجمود والتصلب:** فالصورة النمطية تختلف عن الانطباع بأنها صورة راسخة واضحة من وجهة نظر صانعها وحاملها في حين أن الانطباع شعور مبدئي انطبع في الذهن من مجرد الملاحظة، ويظهر الجمود والتصلب من خلال:
   - رسوخ صورة الفئة المنمطة في الذهن الجمعي لصانع الصورة.
   - ثبات هذه الصورة وإن كان نسبيا في بعض الأحيان.
   - اعتمادها على الأحكام المسبقة دون اعتبار للتجربة المباشرة والوقائع الموضوعية.
2. **التحيز:** حيث تتسم الصورة النمطية بالتحيز من جانب صناع هذه الصورة ضد الفئة أو الشخص أو الشعب المنمط، والتحيز ينطلق من خلفية عقائدية أو ثقافية أو تاريخية...
   - التركيز في هذه الصورة النمطية على الصفات السلبية للشخص أو الفئة المراد تنميطها.
   - اختلاف صفات غير إيجابية لتشويه صورة هذه الفئة المراد تنميطها.
   - مقاومة محاولات الفئة المنمطة لتغيير صورتها السلبية المشوهة.

3. **الحذف:** حيث ان المقصود بالصورة النمطية الصاق صفات غير حميده ومذمومة بالفئة المنمطه لتشويه صورتها فإن ذلك يتطلب حذف كل ما من شأنه منع أو عرقلة ذلك ويكون الحذف عن طريق:

- حذف خلفية الأحداث التي يمكن ان تبرر سلوك صاحب الصورة النمطية، كعرض اعمال مقاومة الاحتلال ودفع ظلمه على أنها اعمال عنف وقتل دون عرض خلفية هذه الأحداث كبيان جرائم الاحتلال وفظائعه ضد الشعوب.

وكمثال على ذلك قول الجنرال تومي فرانكس القائد العام للجيش الأمريكي:

إن سياسات وآمال وطموحات الشعب العربي لن تكون مفهومة أبداً في الولايات المتحدة طالما نحن نرى صور الجثث المشوهة لاطفال المدارس الإسرائيليين معلقة في الحطام الاسود لحافلة ركاب في تل أبيب مدمرة بمفجر انتحاري فلسطيني[1].

وهكذا يتم عزل صور هذه المشاهد لجثث الأطفال الإسرائيليين عن خلفيتها التي هي- الاحتلال الإسرائيلي وجرائمه ضد المدنيين الفلسطينيين والتي كانت هي السبب في رد فعل هذا المفجر الفلسطيني كما أسماه- ويتم عرض صورة هذه الجثث كجرائم غير مبررة، ارتكبها قاتل فلسطيني وبالتالي يرسخ في ذهن المشاهد لهذه الصور أن الفلسطيني خاصه والعربي عموما ارهابي سفاك دماء.

- حذف أي صورة أو سلوك ايجابي للشخص أو الفئة المراد تنميطها وسلب الصفات الإنسانية عنها بحيث لا تظهر لا الصورة السلبية لها والتي تخدم الأحكام المسبقة المتعلقة بها.

4. **التعميم:** فالصورة النمطية تقوم على سحب صفات شخص أو بضعة اشخاص من الفئة المراد تنميطها على بقية أفراد هذه الفئة دون النظر لما بين أفراد هذه الفئة من فروق جنسية، أو دينية، أو ثقافية...

1- تومي فرانكس «جندي امريكي» ص706.

ويتجلى ذلك بتجاهل الصورة النمطية:

- الفروق الفردية بين أفراد الفئة المراد تنميطها وضم أفرادها جميعاً بنفس الصفات كتجاهل درجات التطور المختلفة في العالم العربي الإسلامي، واعتبار العرب جميعاً متخلفين راكبي جمال...
- الخلط بين انتماءات الأفراد ضمن الفئة المراد تنميطها كالخلط الذي يتم في الدول الغربية بين العرب والمسلمين واعتبار جميع العرب مسلمين.

وهذه الخصائص للصورة النمطية تدل على أن التعصب والعدوانية هي الدافع في معظم الأحيان لصناعة هذه الصورة للآخر وأن وراء هذه الدوافع أهداف وغايات لصانع هذه الصورة قد يتطلب تحقيقها شيطنة هذا الآخر ونزع الصفات الإنسانية عنه...

المبحث الثالث: كيف يتم صناعة الصورة النمطية

تتم صناعة الصورة النمطية عبر مراحل يتم من خلالها إيجاد وترسيخ هذه الصورة في الأذهان واعطائها نوعا من المصداقية عند من تُوجه اليهم.

وهذه المراحل هي:

- البحث عن الصفات السلبية ليتم استخدامها لتشويه صورة الشخص أو الفئة المراد تنميط صورتها ويكون ذلك من خلال:
  - استدعاء ما تختزنه ذاكرة الشعوب من قصص وروايات ونكات وأساطير.. عن الشخص أو الفئة المراد تنميط صورتها وتسخير كل ذلك لتشويه صورة هذا الشخص أو الفئة المعينة، كاستخدام كل موروثات الحروب الصليبية في الغرب لتشويه صورة المسلمين.
  - استحداث صفات سلبية لمن يراد صناعة الصورة النمطية له بحيث تكون هذه الصفات نابعة من وقائع واحداث جديدة، كما يتم في الغرب وصف العرب والمسلمين بالإرهاب استنادا إلى عمليات قتل وتفجير تتم هنا وهناك.

  ويتم الصاق كل هذه الصفات السلبية المستوحاه من الموروث ومن الوقائع الحالية بكل فئات وأفراد الشعوب المراد تنميطها.
- تكرار عرض هذه الصور السلبية بأن يتم اعادة ذكر هذه الصفات والصور السلبية- مقرونة بمن يراد صناعة الصورة النمطية له- باشكال مختلفة في كافة وسائل الإعلام مرئية ومسموعة ومقروءة.

ويتم التكرار من خلال:

- العرض المستمر المتكرر بأشكال مختلفة للصورة السلبية لمن يراد تنميط صورته.

كعرض الصورة المشوهة عن طريق الأفلام السينمائية والتلفزيونية والرسوم الكاريكاتورية.....

- التركيز على لصوق الصفات السلبية بالشخص أو الفئة المعينة بالصورة النمطية عن طريق اظهار هذا الشخص أو الفئة في كل مناسبة يحمل هذه الصفات التي تسيء له وتشوه صورته وسمعته وتضعه في القالب السلبي المراد صياغة شخصيته في إطاره.

وكل ذلك مع اخفاء اي صفات ايجابية له.

- البحث عن أي حوادث أو ممارسات يمكن أن تدعم هذه الصورة السلبية واستغلالها في صناعة وترسيخ هذه الصورة، وذلك عن طريق الربط بين من يراد تنميط صورته وبين هذه الحوادث والممارسات لالصاق ما توحي به من صفات سلبيه وصورة مشوهة قبيحة بهذا الشخص أو الفئة.

وتم ذلك في الغرب من خلال استغلال أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 والتي دُمر فيها برجي مبنى التجارة العالمي ومبنى البنتاغون في واشنطن والربط بينها وبين العرب والإيحاء بأنه كل العرب والمسلمين قتله على شاكلة من قاموا بهذه الحوادث وأنهم جميعاً حاقدون على الغرب وعلى طريقتهم في الحياة....

وقد أثمر هذا الربط الظالم بين العرب جميعاً وبين هذه الحوادث حتى أصبحت أعمال الإرهاب والقتل حكراً - في الذهنية الغربية- على العرب والمسلمين فبمجرد حصول أي عمل تخريبي أصبحت أصابع الاتهام توجه إلى العرب والمسلمين!

وقد أصبحت صناعة الصورة النمطية في هذا العصر سهلة ميسورة في ظل الثورة الإعلامية وتعدد وسائل الإعلام وتنوعها وسطوتها على العقول بقدرتها على التوجيه وصناعة الرأي العام، وخاصة إذا تم توجيه المناهج الدراسية والبرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية بسحرها المعروف على جمهور المشاهدين وقدرتها على أسر عقولهم في نفس الاتجاه وبما يخدم صناعة هذه الصورة وترويجها.

الفصل الثاني

الصورة النمطية للعرب والمسلمين

للعـر ب والمسلمين صـورة سـلبية سـوداوية في الغـرب تـشكلت عـبر الـسنين وتمتـد جـذورها عميقـة في عقيـدة الغـرب وتراثـه وتاريخـه، وهـو مـا سـنتعرض لـه بالتفصيل في الصفحات القادمة.

وقد أضيفت - في وقتنا الحالي- لهذه الصورة الداكنة أبعاد زادتها قتامة وسوداوية وذلك بسبب الظروف والاحوال والمؤمرات التي عصفت بالأمة العربية والإسلامية والتغيرات الدولية والتي جعلت من الدول العربية والاسلامية موضع اهتمام عالمي كبير.

وقد تضافرت عدة عوامل على صناعة وتشكيل هذه الصورة المشوهة المزرية للعرب والمسلمين وعلى غرسها في الأذهان في الغرب.

فخلال الحروب الصليبية صُوِّر الشرق المسلم بصورة المبغض والكاره لغيره وخاصة المسيحيين...

ثم جاء الاستشراق بدراساته وأبحاثه وكذلك الرحالة الغربيون بتجوالهم في بلاد العرب والمسلمين ومشاهداتهم فيها فعززوا هذه الصورة بدوافع صليبية أو بناء على مشاهدات جزئية أو معلوما ت انتقائية.

ونتيجة أطماع الغرب في ثروات البلاد العربية إضافة إلى العداء العقدي الراسخ في الذهنية الصليبية الغربية والذي تعزز وازداد رسوخاً بالحروب بين الشرق والغرب، فقد بدأت حركة الاستعمار الغربي للعالم العربي والإسلامي، حيث اعتبرت الدول الأوروبية المستعمرة هذا العالم أرضا مستباحة يسكن فيها مجموعات من القبائل البدوية المتخلفة الذين لا يجيدون الاستفادة من ثروات وخيرات هذه الأرض.

وبالتالي فلا بد من احتلال هذه الارض لارشاد أصحابها إلى طرق التقدم والحضارة.

وقد دعم الاستشراق الغربي بدراساته وأبحاثه القاصرة المغرضة هذه الأطماع والتخرصات.

يقول السيد الفريد ليال:

«ان الدقة في العمل في أذهان الشرقيين امرٌ منفر وشنيع!!... إنها صفة وسجية للذهن الشرقي، أن الأوروبي أقرب ما يكون إلى الدقة... أما ذهن الإنسان الشرقي فهو مثل الشوارع الجديدة التي تفتقر أرضيتها إلى التناسب والتطابق... إن

الشرقيين أو العرب قوم سذج ينخدعون بسرعة... وهم في الغالب أهل تملق ومداهنة مفرطة، «ويميلون إلى الخداع والعلاقات الخفية والتحايل وعدم محبة الحيوانات...

الشرقيون كذابون متمرسون وهم مبتلون بالتعب والثقل وسوء الظن كذلك...»[1]

وهذا المستشرق الفرنسي «الفونسي دي لامار» يصف الوطن العربي بقوله:

(هذا الوطن العربي هو موطن التطرف فهنا ينمو ويترعرع كل شيء ويستطيع كل شخص ساذج وسطحي أن يصبح نبياً بدوره... ان بلاد المشرق عبارة عن صنف من الشعوب التي لا أرض لها ولا وطن ولا حقوق ولا قوانين ولا أمن... ثم يصل إلى بيت القصيد الذي يريده بقوله: «وهي الامة العربية تنتظر بفارغ الصبر الملجأ والملاذ واحتلال أراضيها من قبل الأوروبيين»[2].

وقد شرحت كل من كاترين لوتز Catherine lutz وجين كولينز Jane Collins وهما من علماء الانثروبولوجيا كيف كون الاستشراق صورة ذهنية عن الشرق الأوسط، وانتشرت عن طريق مجلة ناشيونال جيوجرافيك National Geographic إحدى أكثر المجلات توزيعا في الولايات المتحدة وجاء فيها:

«العرب والافارقة والاسيويون الذين تزين صورهم صفحات ناشيونال جيوجرافيك متخلفون، ومخلوقات غريبة، وخطرون أحياناً. ومحتاجون دائما إلى معونة وإرشاد الولايات المتحدة لكي يمضوا على طريق التحديث السياسي والثقافي بنجاح»[3].

وهكذا فالعرب والمسلمون بحاجة دائما إلى أوروبا والولايات المتحدة كي يستطيعوا أن يخطوا في طريق التقدم والتحديث بثبات... فهم أمة بحاجة دائماً إلى مستعمر يستعمر بلادهم وينهب ثرواتهم ويقتل أبنائهم لكي يتمكنوا من أخذ مكان لهم تحت الشمس!

1- محمد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الاسلامية لدى الغربيين ص 216 .

2- نفس المرجع ص 220.

3- دوجلاس ليتل، الاستشراق الامريكي ص 60.

وكذلك صرَّح «آرثر بلفور» صاحب الوعد المشؤوم «وعد بلفور» بقوله: نحن (الانجليز) نوجد في مصر من أجل المصريين فقط، وعلى الرغم من أنه من أجلهم فإنه من أجل أوروبا جميعها كذلك»[1].

ومثل ذلك قال اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر في الفترة من 1883- 1907:

«المسلمين لا يعقدون الأمل بالمرة على أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم»[2].

وكثيرة جدا هي أقوال المستشرقين والقادة الغربيين عن فوائد الاستعمار التي جنتها الدول العربية والإسلامية! وعن ضرورة بقاء هذا الاستعمار وإن بأشكال مختلفة لصالح هذه البلاد وصالح أبنائها...!

ونتيجة المقاومة الشرسة التي أبدتها الشعوب العربية والإسلامية بدافع من عقيدتها- لهذا الاستعمار الغاشم، فقد اتجه الغرب إلى ضرب هذه العقيدة وتشويهها في نفوس المسلمين.

ومن الأساليب التي اتبعها في ذلك: تشويه صورة العرب والمسلمين وتنميطها لإحداث هزيمة نفسية عند المسلمين وجعلهم يخجلون من بعض شرائع الإسلام وأخلاقه وعقيدته وكما قلنا سابقا فقد اكتسبت هذه الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين أبعاداً جديدة إضافة إلى تلك التي كانت عليها في الفترات السابقة.

فبعدما كانت هذه الصورة السلبية تظهر العرب والمسلمين كبدوٍ متخلفين، قذرين، مولعين بالنساء والخمر...

أصبحت الصورة أكثر شؤما وقتامة فهم ارهابيون، قتلة سارقون، ومعادون لليهود ويريدون إبادتهم فقط لأنهم ساميون! ويتحكمون في النفط وهو عصب الحضارة الغربية.

وكان ذلك بفعل عوامل أسهمت في تأجيج الخلاف وتوسيع شقته بين الشرق والغرب وزيادة عوامل الشك والريبة في نظرة كل منها إلى الآخر.

1- محمد حسن زماني، مرجع سابق ص 215.

2- هايكو فلوتاو، من النيل الحاتورا بورا ص29.

المبحث الأول: العوامل التي أثرت على تطور الصورة النمطية للعرب والمسلمين

أولا: قيام إسرائيل

فقد قامت إسرائيل دولة في قلب الوطن العربي بدعم وتآمر غربي أسهم في إضعاف العرب وفي تهيئة الظروف الدولية والمحلية لقيامها...

واستمراراً لهذا الدور فقد استمر التحيز الغربي الاعمى- خاصة من قبل الولايات المتحدة- إلى جانب إسرائيل طوال تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي وهو ما انعكس سلباً على ما تختزنه ذاكرة الغرب من صور سوداوية مظلمة للعرب والمسلمين فزادها سوءاً وقتامة... كذلك لعبت إسرائيل والصهيونية بنفوذها الواسع في الغرب دوراً خطيراً في تشويه صورة العرب والمسلمين هناك وهو ما سنتناوله بالتفصيل عند الحديث عن هذا الدور.

ثانيا: انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي والغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتفككه:

وهذا ما دفع بالغرب للبحث عن عدو جديد فكان الإسلام ذلك العدو القديم الجديد!

وهذا ما أوجب تشويه صورته وصورة أتباعه حتى تبرر الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها عداءها للإسلام والدعوة إلى استمرار الحذر منه ومن أتباعه.

وقد أدى هذا إلى الانتشار مرض «الإسلاموفوبيا» الذي يعني كره الغربيين للإسلام وخوفهم المرضي منه!

وهذا الخوف المرضي من الإسلام في الغرب جاء نتيجة المبالغة في خطر الإسلام والمسلمين على الغرب وحضارته مما ألقى الرعب في قلوب الغربيين من كل ما هو إسلامي...!

وقد تكاتفت كل وسائل الإعلام مسموعة ومرئية ومكتوبة على شيطنة الإسلام والمسلمين وزيادة صورتهم سوءاً وتشويها في الذهن الغربي.

فعندما تقرأ عناوين لصحف غربية تحذر من الإسلام وخطورته على الحياة الغربية من نوع:

"المسلمون قادمون" «الوجه القبيح للإسلام» "أوقفوا أسلمة أمريكا" «متابعة محاولات الأصوليين الإسلاميين لتدمير الثقافة الغربية».

فلا شك أن أثر هذه العناوين سيكون زيادة الحقد والكراهية الغربية تجاه الإسلام والمسلمين وفي ذلك تعميق لأساسات الصورة السلبية للعرب والمسلمين في الغرب وزيادة للتحيز ضدهم وتهميشهم وإقصائهم من الحياة هناك.

وقد جاء في تقرير صادر عن «صندوق رنيميد» وهوبيت خبرة بريطاني يرأسه البروفسور «غوردون كونواي» تحديداً لجوانب رئيسية للإرهاب الإسلامي (الخوف من الإسلام) في نظر الغرب وهي[1]:

1. ينظر للإسلام في الغرب باعتباره جلموداً متحجراً مقاوماً للتغيير يستعصي على التطور.
2. ينظر للإسلام باعتباره تكتلاً لا علاقة له بالآخرين حيث له قيمه الخاصة به التي يرفض مشاركة الآخرين بها بحيث لا يتأثير بالآخرين ولا يؤثر بهم.
3. يعتبر الغربيون الإسلام متخلفاً عن الركب وبربرياً ولا يحكم العقل وبدائي وجنسي الميول.
4. الإسلام دين عنف وعدواني ومصدر تهديد وراع للإرهاب وشغوف بالصراع مع الحضارات.
5. الإسلام أيديولوجية سياسية في المقام الأول ويكرس موارده لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية بحتة.

1- عبد الحي زلوم، أمريكا اسرائيل الكبرى، ص93.

6. أي انتقادات للغرب مصدرها الإسلام لا تلقى سوى الرفض القاطع وبغير نقاش.
7. يستغل العداء للإسلام في الغرب في تبرير الممارسات العنصرية تجاه المسلمين وعزلهم عن المجتمع.
8. تعتبر معاداة الإسلام ممارسة عادية وطبيعية غير مثيرة للحفيظة.

وقد اتخذ التحذير من الإسلام والمسلمين عدة أشكال منها:

- التحذير من التكاثر السكاني بين المسلمين والعرب، خاصة مع ما رافق ذلك من انخفاض كبير في المواليد في المجتمعات الغربية وقد جاءت التحذيرات على ألسنة قادة سياسيين ومفكرين غربيين.

فقد كتب «تشارلزمور» تحت عنوان «حان وقت سياسة أكثر تحرراً وعنصرية للهجرة» يقول:

بسبب الرفض العنيد لانجاب المزيد من الأطفال، فإن الحضارة الأوروبية الغربية سوف تبدأ في الموت في الوقت الذي كان يمكن احياؤها بدماء جديدة وحينئذ سوف تكتسب جحافل أصحاب العمائم، وسيتم تعليم القرآن في مدارس أوكسفورد على نحو ما تخيل «جيبون» في كتابه الشهير»[1].

وفي تقرير مُصور بعنوان «الديمغرافيا الإسلامية» حذر من زيادة السكان العرب والمسلمين في أوروبا ويصور ذلك بأنه زحف إسلامي تجاه أوروبا!

ويحذر التقرير من أن نصف سكان أوروبا عام 2050 سيكونون من المسلمين وما يعنيه ذلك من زوال للحضارة الغربية على حد تعبير معدي التقرير!

فالاسرة المسلمة الفرنسية يبلغ معدل خصوبتها (8.1٪) مقابل (1.8٪) للاسرة الفرنسية و(1.38٪) للاسرة في الاتحاد الأوروبي و(1.1٪) للاسرة في اسبانيا مما ينذر- كما جاء في التقرير- بزوال الحضارة الغربية حيث ان استمرار اي حضارة مهما كانت في الوجود ينبغي أن يكون معدل الخصوبة فيها (2.11٪) للأسرة الواحدة.

1- جون، ل. اسبوزيتو، التهديد الاسلامي، ص318.

- التحذير من خطورة انتشار الإسلام بقيمه وأخلاقه في الغرب والادعاء بأن ذلك يناقض أسس الحياة الغربية التي قامت على الديمقراطية والعلمانية والحرية الواسعة وغير المقيدة...

فالإسلام كما يدعون- لا يقبل الآخر بل ينفيه ويقصيه ولا يقبل بالديمقراطية الغربية.

كما أن وضع المرأة في الإسلام ونظرته اليها يوجب التخوف من الدعوات للخضوع لأحكام الشريعة الإسلامية.

وقد تم التحذير من ذلك عبر:

- التخويف من الشريعة الإسلامية فالشريعة الإسلامية- كما يراها الكثيرون في الغرب- هي فكر أيديولوجي شمولي قائم على مبادئ الحقد والكراهية والتعصب والاستعلاء...

ويحذرون من أن هذه الشريعة ستكون بديلا للدسائر الغربية وقد جاء على لسان «ألان ويست» أحد أعضاء الكونغرس الأمريكي عن الحزب الجمهوري في ولاية فلوريدا قوله:

«أعتقد ان أحد الأشياء الهامة التي ينبغي علينا الاهتمام بها هي أن هناك اختراق وتغلغل لمارسة قوانين الشريعة الإسلامية داخل جميع أنظمة العمل في بلدنا أمريكا فضلا عن تغلغها في صميم الحضارة الغربية لذا فإنه يجب أن تكون لدينا الإرادة الحقيقية للاعتراف بذلك العدو»[1].

وكذلك صرح «فرانك غافيني»- الذي شغل عدة مناصب منها نائب مساعد وزير الدفاع الأمريكي بقوله:

"لا أنظر لنفسي كخبير في مجال قانون الشريعة ولكني تحدثت كثيراً عنها كونها تشكل مصدر خطر وتهديد»[2].

1- التخويف من الاسلام «الاسلاموفوبيا» ص 29.

2- نفس المرجع ص 34.

o التحذير من انتشار المساجد والرموز الإسلامية:

فالمساجد في نظر الكثير من الغربيين- بؤراً ارهابية وحاضنات لتفريخ القتلة والمجرمين ومصدراً لإثارة الفتنة والشقاق.

فهذا فرانك غافيني ينظر إلى المساجد كأحصنة طروادة يمتطيها المسلمون للترويج لاثارة الفتن والشقاق.

وقد طالب وزير الداخلية الفرنسي بتبني قانون ينظم النشاط البيئي في المساجد وقال «يتعين السيطرة على أئمة المساجد الصغيره وتلك الأماكن التي يتطرقون فيها للحديث عن الأصولية الإسلامية التي تؤدي إلى بعض العمليات الإرهابية»[1]

وكذلك تم مهاجمة الحجاب الإسلامي والتضييق على النساء اللواتي يرتدينه.

إضافة إلى الدعوات لحرق القرآن... والإساءة إلى كل ما هو إسلامي...!

ومن أجل تحقيق أهداف الغرب والصهيونية في نشر مرض الإسلاموفوبيا والإساءة إلى الإسلام والمسلمين والعرب في الغرب، فقد اتجهت جهود غربية صهيونية كبيرة إلى تشويه صورة العرب والمسلمين ووضعها في إطار نمطي سلبي يخدم تلك الأغراض ويساعد على تحقيقها.

وقد جاء في تقرير "اللجنة العربية لمكافحة التمييز" عن الصورة النمطية للعرب في الذهن الغربي عامة والأمريكي خاصة أن هذه الصورة تقع ضمن سبع فئات رئيسية:

- الصورة النمطية العامة وتصف العرب بـ (راكبو الجمال)، و(عبيد الرمال)، (البدو)، (الواحة)، (الصحراء)، (الحريم).
- ساحة تنافس لعيش الأبطال الغربيين ولمغامراتهم العاطفية في: (ألف ليلة وليلة)، (الجن)، (البساط السحري)، (الأميرات).

1- فتسان جيير، الاسلاموفوبيا.

- صورة نمطية عن الإسلام: (سفاحون)، (ارهابيون)، (محاربون)، (متطرفون)، (مغتصبون)، (مضطهدون للمرأة)، (الجهاد)، (الحرب المقدسة).
- صورة نمطية عن الفلسطينيين: (مفجرو طائرات)، (ارهابيون)، (يحاولون تدمير إسرائيل ورميها في البحر).
- صورة العرب الصالحون: (شخصيات ثانوية دونيه)، (سلبيون)، (شخصيات ثانوية بالنسبة للأبطال الغربيين).
- صورة الرجل العربي: (شيخ بترول)، (ثري جدا)، (طماع) (قذر) (غير متعلم)، (فاسد)، (عنيف)، (عنده خطط سرية لتدمير أمريكا)، (يخطف النساء الشقراوات الغربيات).
- صورة المرأة العربية: (مضطهدة من الرجال العرب والمسلمين)، (حريم مترفات)، (راقصات عاريات)، (جميلات يقعن في حب البطل الغربي لينقذهن).

وفي لقاء مع المحاميه «ميس ديك» نائب رئيس نقابة الوطنية للمحامين في نيويورك على قناة ontvlive يوم 24 نيسان 2012 حول تشويه صورة العرب والمسلمين في أمريكا والغرب بشكل عام تحدثت حول الموضوع من واقع معايشتها له ويمكن ايجاز حديثها بعدة نقاط:

- العرب قتلة شهوانيون ذوي كروش كبيرة.
- تعتبر الصلاة، إطلاق للحية، حفظ القران أو جزء منه، التكلم باللغة العربية كل هذه أدلة على التطرف يمكن أن تتم الإدانة في المحاكم استنادا اليها.
- القرآن يعلم المسلم الكذب حتى يستطيع تحقيق أهدافه.
- المساجد والمدارس الإسلامية أماكن خطيرة فهي مراقبة ومصنفه حسب اللون الإسلامي الغالب عليها هذا مسجد للإخوان المسلمين وهذا لحماس، وهذا لصوماليين...
- العادات العربية في اللباس أو الأكل كلها ينظر لها بريبة.
- تقوم وزراه الدفاع الأمريكي بتمويل بعض الأفلام المسيئة للعرب.

- تتعاون الشركات التي لها مصالح بأمن الدولة والحروب والمؤسسات الصهيونية واليهودية في الإساءة للعرب وتشويه صورتهم.
- يحظر على العرب والمسلمين الوصول إلى بعض الوظائف.

لقد بلغ تشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب حداً جعل الكثير من عقلاء الساسة والمفكرين هناك ينتقدون هذا الوضع الذي تسبب في زيادة العلاقات بين الشرق والغرب سوءاً وتعقيداً فهذا الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني يقول في كلمة ألقاها على مسرح شيلدونيان في أكسفورد:

"....فالحقيقة المحزنة هي أن سوء التفاهم بين الإسلام والغرب ما زال قائما وربما كان متزايدا فعلاً رغم ما تحقق من تقدم التكنولوجيا والاتصال الجماهيري... لا يمكن أن يكون سوء التفاهم ناجماً عن جهل.. فالإسلام من حولنا وفي كل مكان، ومع ذلك فعدم الثقة وحتى التخوف من الإسلام ما زالا مستمرين... ولعله من الغريب الشاذ من عدة وجوه أن يستمر سوء التفاهم بين الإسلام والغرب... فالتلاميذ في مدارس الغرب دأبوا على رؤية السنوات المئتين للحروب الصليبية على أنها سلسلة من البطولات والانتصارات الفروسية التي حاول من خلالها ملوك أوروبا وفرسانها وأمراؤها وأبناؤها تخليص القدس من المسلمين الذين عدهم الأوروبيون من الأشرار الكفرة... والمحصلة النهائية للكيفية التي ننظر بها إلى تاريخنا في الغرب هي أننا في أغلب الأحيان اعتبرنا الإسلام خطرا ماثلاً يهددنا... ففي القرون الوسطى اعتبرناه فاتحا عسكرياً بينما اعتبرناه في العصور المتأخرة مصدراً لعدم التسامح والتطرف والإرهاب... صحيح ان أيام تلك الفتوحات قد انتهت لكن سلوكنا المشترك تجاه الإسلام ما زال يعاني حتى اليوم لأن أسلوب فهمنا له سطا عليه واختطفه التطرف والسطحية، فالإسلام في نظر الكثيرين منا هنا في الغرب هو ما توحيه مأساة الحرب الأهلية اللبنانية وأعمال القتل والتفجير التي ترتكبها الجماعات المتطرفة في الشرق الأوسط... والواقع أن حكمنا على الإسلام حكم خاطئ جداً... إن الناس في هذا البلد (بريطانيا) كثيراً ما يجادلون بأن الشريعة الإسلامية تنطوي على القسوة والهمجية وعدم الانصاف وصحفنا مشغوفة فوق كل

ذلك بترويج هذه الاجحافات المغرضة دونما تفكير، والحقيقه طبعا مختلفة ومعقدة في الغالب... هناك أيضا جهل كبير بالفضل الذي تدين به ثقافتنا بالذات والحضارة عموماً للعالم الإسلامي... فعالم القرون الوسطى الإسلامي... كان عالماً مزدهراً بالدارسين وأهل العلم، ولكن بما أننا كنا ميالين إلى أن ننظر إلى الإسلام كعدو للغرب وأنه غريب في ثقافته ومجتمعه ونظام معتقده فقد نزعنا إلى تجاهل أو محو صلته الوثيقة بتاريخنا بالذات..."[1].

وما قصدنا قوله من نقلنا لهذه الشهادة الغربية المطولة هو أن تشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب بلغ حداً من التجني والظلم والافتراء جعل حتى الغربيين يستنكرون ذلك ويدعون إلى تغييره وتحكيم العقل والانصاف في ذلك!

ففي هذه الشهادة يُقرّ الأمير تشارلز ويعترف بأن صورة العرب والمسلمين في الغرب شوهت يقصد دون جهل، وبذلك فهو ينصف المسلمين بعض الشيء من خلال:

1. اعترافه بجذور التعصب الغربي العميقة ضد الإسلام والمسلمين فهي تعود إلى الحروب الصليبية وإلى طريقة عرضها اليوم في الغرب حيث يدرس التلاميذ أن هذه الحروب هي بطولات وفروسيات ضد المسلمين لتخليص القدس من أيديهم...! وبالتالي فالأمير تشارلز يُقرّ بأن تشويه صورة الإسلام في الغرب ليست ناتجة عن الجهل بل عن التعصب.
2. اعترافه بأن نظرة الغرب للإسلام نابعة من التطرف والسطحية... وبالتالي فصورة العرب والمسلمين رُسمت في الذهن الغربي من نفس المصدر والمنبع.
3. إقراره بأن الفهم الغربي للإسلام ناتج عن مشاهدات ونظرات جزئية لواقع بعض الدول العربية الذي لا يَمُت إلى الإسلام بصلة إضافة إلى اعتبار الغربيين للأعمال الشاذه التي تصدر من بعض المسلمين بأنها هي الإسلام نتيجة اعتيادهم الشاذ هو القاعده ونتيجة التعميم الخاطئ.
4. اقراره بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب وحضارته.

---

1 - دايفيد كادمان وسهيل بشروني، الامير تشارلز يتحدث، ص165- 174.

المبحث الثاني: كيف تمت صناعة الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين في الغرب

تمت صناعة الصورة المشوهة للعرب والمسلمين في الغرب عبر عدة خطوات ساهمت كل منها في إخراج هذه الصورة وجعلها سائدة راسخة في الأذهان:

1. استدعاء صورة العرب والمسلمين في الموروث العقدي والثقافي والتراثي في الغرب وهي صورة مشوهة مظلمة تسكن في أذهان الغربيين وأعماقهم، تكونت من موروثات الحروب الصليبية وأبحاث ودراسات المستشرقين المغرضة في الكثير من الأحيان ومذكرات وسير الرحالة الغربيين الذين جابوا المناطق العربية والتي اعتمدت على مشاهداتهم في البوادي والصحراء الغربية وعلى تعميم لهذه المشاهدات على كل العرب.

   فصورة العرب والمسلمين في هذه المصادر دميمة ذميمة فهم لصوص، وقذرين، ومخادعين، وقتله، ومضطهدين ومستعبدين للمرأة، بدو متخلفين.

   وسنتعرض لهذه الصورة بالتفصيل عند الحديث عن مصادر الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الغرب.

   ولكننا نقول هنا أنه تم صناعة قوالب جامدة من هذه الموروثات لوضع العرب والمسلمين فيها في كل عصر وكأن شيئا من التغيير والتطور لم يطرأ على مجتمعاتهم وعلاقاتهم ومستوى تعليمهم.

2. تضخيم هذه الصفات المشوهة والمفتراة وتعميمها وتكرار ذكرها بصور وأساليب وأطر مختلفة.

- قصص وروايات وقصائد ومسرحيات ألصقت فيها تلك الصفات السلبية بالعرب والمسلمين.
- أفلام سينمائية وتلفزيونية لعب فيها من قام بدور العرب والمسلمين أدوراً تكرس ما ألصق بهم من صفات قبيحة ذميمة وتسهم في تأطيرهم في أطر نمطية سلبية.
- مقالات صحفية وتقارير اخبارية ورسوم كاريكاتورية وألعاب كرتونية أكدت على تلك الصورة السلبية القبيحة للعرب والمسلمين.

وقد تم في هذا التضخيم والتكرار والتنوع في أساليب العرض استغلال كافة وسائل الإعلام وما طرأ عليها من تطور مذهل وما شمل وظائفها من أدور كبيرة في تشكيل العقول وصناعة الرأي العام وتوجيهه والتلاعب به وتضليله.

3. البحث عن مواقف وأحداث واستغلالها بعرضها بطريقة مخالفة للواقع والحقيقة لتأكيد الصورة السلبية المشيطنة للعرب والمسلمين وذلك كما حدث في استغلال أحداث الحادي عشر من سبتمبر من عام 2001- والتي تم فيها تدمير برجي مبنى التجارة العالمي في نيويورك وضرب مبنى البنتاغون الأمريكي- في الاساءة للعرب والمسلمين وفي تشويه صورتهم بطريقة سلبية وشيطانية. حيث تم النظر إلى كل عربي ومسلم على أنه إرهابي ويشكل خطراً محدقاً بالغرب وحضارته وطريقه حياته!!

وسنعرض لذلك بشيء من التفصيل في الصفحات القادمة.

ولكن هنا نقول أن استغلال هذه الأحداث في تشويه صورة العرب والمسلمين أوجب على كثير من الجهات في الغرب وخاصة اليمين المتطرف المتصهين استدعاء أسوأ ما في الموروث الغربي عن الإسلام والمسلمين والعرب وتوظيفه في شيطنتهم وترسيخ صورتهم المشوهة ومحاولة جعلها حقيقة واقعة! من خلال الربط بين هذا الموروث السلبي وتلك الأحداث التي قتلت الكثيرين ودمرّت الكثير من المؤسسات والمنشآت، والادعاء بأن هذه هي حقيقة العرب والمسلمين في الماضي والحاضر؛ قتلة، مجرمون وإرهابيون.

ومن قبل هذه الأحداث التي وقعت في الحادي عشر من سبتمر من عام 2001 فقد تم الربط دائما بين أي عمل إرهابي وبين المسلمين.

فعند وقوع الانفجار المروع في مدينة أوكلاهوما في شهر نيسان من عام 1995، والذى أودى بحياة العشرات إضافة إلى العشرات من الجرحى فقد سارعت كافة وسائل الإعلام إلى اتهام العرب والمسلمين بارتكاب هذه الجريمة! (وقد ثبت لاحقا أن مرتكب هذه الجريمة هو أمريكي اسمه تيموثي مكفاي).

فقد وصف مراسلو شبكة س. إن. إن الانفجار بأنه (انفجار سيارة مفخخة على غرار ما يحدث في بيروت).

وفي مقابلات أجريت بعد الحادث مباشرة كانت آراء المستطلعين كما يلي:

- "إن الانفجار يحمل بصمات إرهابية من الشرق الأوسط".
- "تم تنفيذ الهجوم بطريقة توقع أكبر عدد ممكن من الضحايا... هذا من سمات الشرق الأوسط".
- "في الواقع كانت تفجيرات أوكلاهما شديدة لدرجة جعلت المحققين يعتبرون أن تفجيرات مشابهة هي ذات جذور من الشرق الأوسط".
- "إن العرب والمسلمين هم وحدهم الذين يستخدمون الإرهاب ضد أمريكا.... ».

وهكذا رسخ في الذهن الغربي أن كل عملية قتل ودمار هي من صنع العرب والمسلمين، فلا يحدث انفجار أو ترتكب جريمة قتل إلا ويقفز إلى الذهن الغربي صورة رجل مسلم ملتحي وشوارب غليظة ودشداشة قصيرة...!

فهذا هو من يمكن أن يرتكب جريمة وليس أحد غيره..! وكذلك أصبحت المقدسات والمعالم الإسلامية كالمساجد، والآذان، واللحية، والصلاة ... كلها نذر قتل وإرهاب ودمار!.

ففي الكثير من الأفلام التي تتحدث عن عمليات إرهابية أو جرائم... يبدأ الفيلم بصورة مسجد أو يسمع صوت آذان.

أو صورة مسلم ملتحي، أو مجموعة مسلمين يؤدون الصلاة يتبعها انفجار يقتل ويدمر.

ومن الأساليب الخبيثة الأخرى التي اتبعت في الغرب للربط بين العرب والمسلمين وبين الإرهاب. ذكر الأصل العرقي أو الانتماء الديني للأشخاص الذين يرتكبون جرائم، وذلك في حالة كون ومرتكب هذه الجريمة عربي أو مسلم، وبذلك أصبح للإرهاب جنسية ودين يعرف بهما في العالم وهما إنه عربي ومسلم! ومن هنا أصبحنا نسمع مصطلحات مثل "الإرهاب الإسلامي". و«القنبلة النووية الإسلامية» كما وصفت محاولات باكستان النووية في حين أننا لم نسمع بمصطلح «القنبلة النووية الهندوسية» عن محاولات الهند المماثلة!

ولم نسمع «بالقنبلة النووية اليهودية» عن قوة إسرائيل. النووية المؤكدة.

وكذلك لم نسمع بالإرهاب اليهودي رغم الجرائم الإسرائيلية اليومية ضد الفلسطينيين والعرب.

ولم نسمع بمصطلح «الإرهاب الهندوسي» رغم ما ارتكبه الهندوس ضد المسلمين من مجازر في الهند وفي كشمير.

ولم نسمع من يقول «الإرهاب الأرثوذكسي الغربي» عندما أباد الصربيون مئات الآلاف من المسلمين في البوسنة والهرسك...

وهذا ما حدا بالكثير من المنصفين في الغرب أن ينتقدوا ذلك ويرجعونه إلى ازدواجية المعايير في تعامل الغرب مع المسلمين.

فهذا بول فندلي - عضو الكونغرس الأمريكي عن ولاية النبوي، وله عدة كتب في إنصاف العرب- يقول:

«...إن هذه الازدواجية في التعامل هي التي تعزز اخبث تنميط للإسلام، وأوسعه انتشارا، الا وهو ربط المسلمين بالإرهاب، وهذه الفكرة النمطية متجذرة عميقاً في وعي كل جمهور المستمعين تقريبا، تسنى لي مخاطبته، فحينما كنت اسأل عن الكلمة التي تتبادر إلى الذهن لدى ذكر الإسلام والمسلمين، سرعان ما يتطوع عدد من الحضور بإطلاق كلمة الإرهاب دون أن أسمع اعتراضا من الحاضرين الآخرين![1]".

1- بول فندلي، لا سكوت بعد اليوم ص 89.

الفصل الثالث

مصادر الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الغرب

للصورة النمطية للعرب والمسلمين في الغرب جذورٌ عميقة ضاربة في الأعماق هناك ونابعة من عقيدة الغرب وثقافته التي شكلت منظوره للشرق العربي والإسلامي.

وقد قدمت عقيدة الغرب تجاه العرب والمسلمين روافد أخرى وعمقت ورسخت تصوره عن الشرق والشرقيين (عرباً ومسلمين).

وهذه الروافد:

1. الرحالة
2. الاستشراق.
3. الموروث والادب الغربي.
4. وسائل الإعلام.

وسنعرض بالتفصيل لهذه الروافد مبينين دور كل واحد منها في رسم الصورة السلبية للعرب والمسلمين وفي ترسيخها وتعميق جذورها في الذهن الغربي.

أولاً: الرحالة

قام كثير من الغربيون بجولات عبر العالم العربي والإسلامي تنقلوا خلالها في كافة أرجاء هذا العالم وعاشوا بين مواطنيه في الصحراء وفي المدن والريف. واختلطوا بهم في كافة مجالات الحياة وعرفوا عقائدهم وعاداتهم وطرق عيشهم ووجهات نظرهم في الكثير من أمور الحياة.

وقد سمي هؤلاء الغربيون بالرحالة لكثرة ارتحالهم في مناطق العالم العربي. وللرحالة أهداف عديدة جعلتهم يتجشمون متاعب السفر وخطورة دروبه وصعوبة العيش أثناءه.

ومن هذه الأهداف:

1. اكتشاف العالم الآخر وطريقة حياته والتعرف على عقائده وعاداته وقيمه وطريقة حياته في مجتمعه وأسرته وعلاقاته بأخيه وزوجته وأبنائه.
2. أهدافا دينية كالتنصير الذي اتضح من كون كثير من هؤلاء الرحالة كانوا قسساً ومنصرين هدفوا إلى إضعاف تمسك المسلم بعقيدته لإضعاف تأثيرها عليه لتسهيل عملية التنصير مستغلين ظروف العيش الصعبة التي يعاني منها سكان الصحراء والأماكن التي كانت ميداناً لهم.

3. أهداف استعمارية تهدف إلى خدمة الاستعمار تمهيد الطريق أمامه لتحقيق أطماعه في السيطرة ونهب الثروات ومن أجل ذلك قام الكثير من هؤلاء الرحالة بما يلي:

- التجسس لصالح دولهم واستكشاف المناطق التي تجولوا فيها ومساعدة دولهم في تحقيق مخططاتها كما فعل لورنس العرب الذي قام بالكثير لإضعاف الدولة العثمانية وإشعال الثورة ضدها.
- رسم الخرائط ومسح الأراضي كما فعل الكولونيل البريطاني (شيترني) الذي قام بمسح وادي الفرات عام 1835 ووضع حصيلة عمله في كتاب من مجلدين وقد ساعد عمله بريطانيا في مد سكة حديد من البحر الابيض المتوسط إلى الخليج العربي مروراً بالصحراء وعلى طول الفرات وقد كان لهذا الخط أثر كبير في نقل التجهيزات العسكرية للجيش البريطاني في الهند.
- زرع الفتنة الطائفية وتشجيع الدعوات التي فتتت المجتمع الإسلامي كالقومية والحركات الانفصالية.

وتعد مذكرات هؤلاء الرحالة مصدراً ثرياً من مصادر تاريخ الجزيرة العربية رغم ما يشوبها من تحيز وتجن على الحقيقه أحياناً.

وتعتبر مشاهداتهم وما سمعوه أثناء رحلاتهم من أساطير وحكايات شعبية وما اختلقوه من أكاذيب أساساً لأحكام هؤلاء الرحالة التي أطلقوها على العرب وهي بدورها كانت مصدراً من مصادر الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين في الغرب، حيث أن جزءاً كبيراً من صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي بوسائله المختلفة وفي المناهج الدراسية، مأخوذ مما ورد في كتابات هؤلاء الرحالة وما شاهدوه أو افتروه قبل مئات السنين!

ولنقرأ ما يقوله الأستاذ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم وهو أحد الدارسين والباحثين في تاريخ منطقه الخليج والمهتمين بأعمال الرحالة الذين زاروا هذه المنطقة:

«... يقول جميع الرحالة الغربيين - ونحن لا نبالغ حين نقول جميعهم، وتبعهم في ذلك ثلة من المستشرقين والمستغربين- ان العربي لا وطن له ولا ارتباط له بالأرض، وأن كل نصيبه من الوطن خيمة وجمل، فهو يطرق منطقة ما ويرعاها ثم يرحل منها إلى أخرى ليصيب من خصبها أيضاً ثم ينحاز إلى غيرها. وترى غُلاة هؤلاء المستشرقين يقارنون بين البدوي والعناصر الأخرى من البشر التي يعدونها متخلفة حضارياً في أفريقيا وغيرها. ويقولون أن لكل من أفراد هذه العناصر كوخاً يستميت في الدفاع عنه ما يجعله يدرك معنى الوطن أكثر مما يدركه العربي الذي لا يعني الوطن له شيئا، فهو في ترحال دائم لا يملك كوخاً يستوجب الدفاع عنه ولا ولاء له لأرض...»[1].

ومن خلال دراسة كتب بعض هؤلاء الرحالة ولما دونوه في مذكراتهم بعدما جابوا أرجاء الوطن العربي يمكن استخلاص الصورة التي رسمها هؤلاء للعرب والتي تظهرهم:

1. منافقين متزلفين، مرتشين، كسالى، واتكاليين بسبب عقيدة القضاء والقدر التي تجعل المسلم - كما يفترون- لا إرادة له ولا يقوم بأي محاوله للتغيير بل يستسلم بسلبية لما يحدث له من مصائب وأمراض. كما أن اعتقاد المسلمين بأن القرآن الكريم يحتوي على الحقائق كلها جاهزة وكاملة- كما يدعي الرحالة والمستشرقون- يجعلهم يعطلون التفكير وإشغال الذهن بكل الظواهر الكونية والحقائق العلمية لذلك تكثر على ألسنة المسلمين عبارات: «الله أعلم» و«الله الميسر» و«كله نصيب»[*].

كما يدعي هؤلاء الرحالة أن المسلمين يقيمون احتفالات مختلطة اختلاطا غير بريء أحيانا.

يقول أحد هؤلاء الرحالة وهو «جورج أوغست والين» وهو رحالة فنلندي عن بعض مشاهداته أثناء ترحاله في مصر:

1- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، «روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية الجزء الثالث ص 267.

* هنا لا بد من التأكيد أننا لا ننوي الرد على هذه الافتراءات في كتابنا هذا ولكننا نؤكد أن الحضارة الإسلامية قد ازدهرت ووصل نورها إلى أقاصي الدنيا في ظل الايمان والتمسك بالقصيدة الاسلامية بل إن هذا الإيمان وهذا التمسك هو الدافع لهذا الازدهار.

«جرت العادة على زيارة مسجد السيد يومياً وقد سمعت أحدهم يقول بفخر أنه قام بالزيارة أربع أو خمس مرات أو أكثر وقد أديت الزيارة أنا أيضاً يومياً لم أفعل ذلك في الحقيقة لزيارة الولي بقدر ما زرت المكان قصد التفرج على حياة المكان وناسه المختلفين والمزدحمين... وفور انتهاء الصلاة بدأ مختلف تجار الخردة ينشرون سلعهم الصغيرة... فضلاً عن باعة الطعام... يقدمون الخبز والفطائر والبيض وغير ذلك للحشود الفقيرة التي أنفقت كل وقتها تقريباً في المسجد إما من فرط تقواها أو من فرط كسلها أو على أمل التمكن من السرقة. ومما زاد من شدة الازدحام عدد الفقهاء والسقائين اللا منتهي وقد كان هؤلاء يحثون الناس على الحصول على الثواب مقابل خمس قطع من الفضة... ظهرت حلقات الدراويش، كل يمجد الخالق على طريقته الخاصة فقد جلس بعضهم في حلقة ينشد الذكر وبعضهم كانوا يهزون جسدهم ويرقصون الرقص الشرقي بكل ما فيه من حركات خليعة... كان يدور بسرعة على ساقٍ واحدة مثلما يفعل راقصوا الباليه عندنا... وقد فقد الكثيرون هناك عماماتهم أو غيرها من الثياب ومن يدري ربما فقدوا ما كان في جيوبهم كذلك. لذلك يمكنك أن ترى كيف يتم تحويل المقدس إلى تجارة وكيف تسير الخلاعة الفاحشة هنا جنباً إلى جنب مع التقوى...»[1].

وهذا وصف فيه ما فيه من الإساءة إلى المسلمين حين يركز على ما يقوم به الصوفية من بدع وانحراف عن الدين معتبراً أن هذا هو الإسلام وتعاليمه، وبه من التعريض والغمز ما يشوه صورة المسلم العابد بالحديث عن السرقات في المسجد وعن الرقص والخلاعة.

2. من الأوصاف الأخرى للعرب والمسلمين التي حوتها كتب الرحالة انهم متسولون شحاذون قذرون ويلحون في السؤال أثناء التسول ويستخدمون قراءة القرآن وسيلة لذلك! خاصة في المناسبات الدينية التي يقوم بها الصوفيون كالاحتفالات بالمولد النبوي وزيارات الأضرحة.
3. أمة من البدو اللصوص مهنتهم الأساسية هي السلب، ووسيلتهم لها هي الغزو الذي هو أسمى غايات الحياة عندهم، وإذا منعوا من الغزو فإنهم يشعرون أنهم

1- كاي اورنبيري «عاشق الصحراء جورج اوغست» ص 332- ص333.

أتعس الناس وأكثرهم كآبة حيث أن الغزو عندهم هو تعبير عن الرجولة والشهامة والشجاعة والمهارة ويشبه الليفتنانت كولونيل «هارلود ويكسون المعتمد البريطاني في الشرق الأوسط الغزو عند البدو برياضة كرة القدم والكريكيت وكرة المضرب والرمي التي هي ضرورية للمحافظة على لياقة الإنسان الغربي المتحضر وراحته النفسية، فكذلك بدوي الجزيرة العربية لا بد أن يكون له أيضا غزواته التي تعني له كل ما هو ممتع ولائق بالرجال كما أن البدو العرب يمارسون قطع الطريق ومهاجمة القوافل وسلبها فهناك مقولة بدوية عربية - كما يذكر هارولد ويكسون» في كتابه عرب الصحراء ص454 تقول: إذا منعتنا من الغزو فإنك تقطع موردنا الوحيد من العيش».

4. بدائيون مخادعون غدارون ومتقلبون لا أمانه لهم ويؤمنون بالخرافات والأشباح وبتأثير الحجب في معالجة بعض الأمراض كالعقم وفي الوقاية من الشرور.
5. المسلمون متعصبون متوحشون ويكرهون غيرهم بل ويصفونهم بالكذب ويحرمون رد السلام عليهم بل ويحللون قتلهم فالإسلام كما يدعون دين السيف والقتل.
6. الحط من قيمة المرأة ووصفها بأنها جارية تباع وتشترى وتستبدل بغيرها حسب رغبات الرجال حيث ان الزواج والطلاق سهل جدا وبكلمة واحدة يمكن للرجل أن يقذف بالمرأة إلى الشارع. كما صور بعض الرحالة النساء العربيات بأنهن فاسقات وبائعات هوى.

ومن النظر في هذه الصورة التي رسمها الرحالة للعرب والمسلمين يتضح أنها كانت لبنة رئيسية من لبنات القالب النمطي السلبي الذي صُبت فيه صورة العرب والمسلمين في العصر الحديث.

وكما سنبين لاحقا عند التعرض إلى صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي الحديث وفي مناهج التعليم لديه حيث سنجد نفس الصورة المظلمة المشيطنة.

فصفات الفقر والقذارة والبدائية والتخلف ووجود الجمال والخيام، والسلب وقطع الطريق... هي صفات ومظاهر تلصق بالعربي والمسلم في السينما الغربية حتى رسخ في الذهن الغربي ارتباطها الوثيق بهم!.

وهي نفس الصورة والأوصاف التي تجدها في الكثير من المناهج الدراسية الغربية والمعاجم العلمية.

وانظر إلى صورة المرأة العربية كما وردت في كتابات ومذكرات الرحالة: جارية تباع وتشترى وبائعة هوى...

وانظر إلى تلك الصورة كما عرفتها وتعرضها أفلام هوليود: راقصة لا تجيد سوى هز البطن والترفيه عن الرجال ومهمشة لا تملك من أمرها شيء.

وكما قال الاستاذ جاك شاهين أستاذ وسائل الاتصال الجماهيري في جامعة ألينوي والناقد السينمائي:

لقد أخذنا (الأمريكيين) صورة الشرق عن الرحالة وما شاهدوه في الصحراء أو حتى لم يشاهدوه بل اختلقوه.

ثانياً: الاستشراق

وهو أسلوب اتبعه الغرب لدراسة وفهم عقائد الشرق وعاداته وأساليب حياته.

فالاستشراق هو الدراسات الأكاديمية التي يقوم بها علماء غربيون تخصصوا في دراسة عقائد وتاريخ وتراث الشرق العربي والإسلامي لأغراض متعددة منها خدمة مخططات وأطماع الدول الغربية في الشرق.

ومن هذا المنطلق فقد سعى الكثير من المستشرقين إلى تشويه العقيدة الإسلامية- التي هي منبع عزة وقوة المسلمين- ومحاولة التشكيك فيها وإضعافها في نفوس المسلمين واتبعوا في ذلك عدة أساليب:

1. التشكيك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي المصدر الرباني للقرآن والادعاء بأنه منقول من التوراة والانجيل والطعن في جمع القرآن وإعجازه وقراءاته.
2. الطعن في العقائد الإسلامية كعقيدة القضاء والقدر بالادعاء بأنها تعني التواكل والرضى بالواقع وعدم تغييره وبالتالي فهي سبب من أسباب تخلف المسلمين.

3. الطعن في الأحاديث النبويه والتشكيك في صحة نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.
4. تشويه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في السلم والحرب والطعن في سيرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.
5. التشكيك في قدرة الشريعة الإسلامية على مسايرة العصر ومتطلباته.
6. التقليل من شأن الحضارة الإسلامية وانجازاتها وفضائلها على حضارة الغرب.
7. تشويه التاريخ الإسلامي بالدس والتزوير.
8. مهاجمة اللغة العربية والادعاء بقصورها على مواكبة العصر فهي لغة أدب وشعر تصلح للصحراء والقتال ولا شأن لها بالتفكير العلمي، إضافة إلى صعوبة تعلمها وبالتالي قامت الدعوات للتخلي عن اللغة الفصحى والعودة إلى اللهجات العامية.
9. الدفاع عن اليهود والادعاء بقسوة الإسلام عليهم وبأن الظلم لحق بهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي العهود التالية.

وقد وجد هؤلاء في حادثه قتل الرسول صلى الله عليه وسلم لرجال بني قريظة مطعناً وحجة لهم في دعواهم قسوة الإسلام على اليهود.

مع أن قتل هؤلاء جاء بعد نقضهم العهد الذي أبرموه مع المسلمين ومؤازرتهم للمشركين والوقوف معهم في معركة الأحزاب وهو ما يسمى بلغة العصر الخيانة العظمى التي تضعف الجبهة الداخلية بتعاون مرتكبها مع الأعداء وهي جريمة عقوبتها الإعدام في معظم دول العالم[1].

ولا يدخل في موضوع كتابنا تتبع كافة مطاعن المستشرقين في الإسلام أو الرد على هذه المطاعن، أو الحديث عن كافة جوانب الاستشراق ونقد أبحاثه ودراساته فذلك مجال واسع كتب فيه الكثيرون فأجادوا وأبدعوا...

1- ولنقارن ذلك بجرائم الإبادة البشرية والجرائم ضد الانسانية التي ارتكبتها الدول التي ينتمي اليها هؤلاء المستشرقون (كأمريكا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا...) اثناء استعمارها لبلاد العرب والمسلمين أو أثناء الغزو الأطلسي لهذه البلاد في العصر الحديث كغزو أفغانستان والعراق...

ولكننا هنا نتناول الموضوع بالقدر الذي يعني بحثنا وهو مساهمة الاستشراق في صناعة الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين في الغرب.

ومطاعن وافتراءات الاستشراق نابعة من عقيدة الغرب وتراثه والتي أثمرت مواقف صليبية تجاه الشرق العربي وقضاياه وهي مواقف قام الاستشراق في الكثير من دراساته وأبحاثه بتدعيمها وترسيخها في الذهن الغربي.

فقد وصف محمد أسد(*) صورة العرب والمسلمين في الغرب والتي تشكلت عبر مئات السنين بقوله:

«الآراء الشائعة في الغرب عن الإسلام يمكن إجمالها فيما يلي: انحطاط حال المسلمين ناتج من الدين الإسلامي ذاته ولا يمكن اعتباره عقيدة دينية مثل المسيحية واليهودية وأنه أقرب إلى خليط غير مقدس من خيالات الصحراء، والجنسية الشهوانية، والخرافات، والاتكالية والإيمان بالقدر وهي قيم تحول بين المسلمين وبين إحراز أي تقدم اجتماعي للأرقى والافضل... وبدلا من تحرير البشر من عراقيل الغموض والظلام كبّلهم الإسلام أكثر، وبمجرد تحررهم من العقيدة الإسلامية وتبنيهم مفاهيم الغرب في أسلوب حياتهم وفكرهم يكون ذلك أفضل لهم وللعالم كله...»[1].

والدارس لمطاعن المستشرقين وافتراءاتهم على العرب والمسلمين وعلى الإسلام يدرك بوضوح أن دراسات وأبحاث المستشرقين - بما في معظمها من قصور وعدم موضوعية- هي رافد من روافد الصورة المشوهة للعرب والمسلمين في الغرب في هذا العصر وهي بلا شك من مرتكزات السياسة والمواقف الغربية تجاه عالمنا العربي الإسلامي وتجاه قضاياه المختلفة.

(*) اسمه الاصلي (ليوبولدفايس) وهو نمساوي ولد عام 1900 لأبوين يهوديين أسلم عام 1926 وتسمى باسم (محمد أسد) عمل صحفياً ومراسلاً لكثير من الصحف وسط أوروبا والمانيا وهولندا وسويسرا ألف كتاب "الطريق الى مكة" «عرض فيه رحلته إلى الإسلام.

1- الطريق الى مكة، ص290.

وقد أكد ذلك بعض الباحثين الغربيين في دراسات الشرق الأوسط فهذا «زكاري لوكمان» وهو أستاذ في قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة نيويورك يقول في كتابه «تاريخ الاستشراق وسياساته»:

«فما زالت صور المسلم باعتباره آخراً مختلفاً متعصباً وعنيفاً وشهوانياً ومهدِّداً- تلك الصورة التي رأينا أن لها جذوراً بالغة القدم- موجودة في الأفلام وبرامج التلفزيون ومقالات الصحف والمجلات والكتب وقصص الأطفال المصورة، أي بالفعل في مجمل الخيال الشعبي في أوروبا الغربية والولايات المتحدة، وما زال لها صدى عاطفيا عند الكثيرين ويمكن الاعتماد عليها ونشرها لتحقيق أهداف سياسية».

فما نراه من صورة العربي والمسلم في الغرب كلص يسطو على ممتلكات الغير وشهواني لا هم له إلا ملاحقة النساء اللواتي لا احترام لهن ولا كيان ولسن سوى جزءا من ممتلكاته يحتفظ بها ويتخلص منها متى شاء دون رادع أو مسؤولية...

هذه الصورة الكالحة المظلمة نجد جذورها في دعاوى سرقة القرآن- كما يفترون- من الكتب السماوية السابقة والتي تعرضت للتحريف بالحذف والزيادة...

وتشويه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في أمهات المؤمنين والادعاء بأن تعدد زوجات الرسول كان لشهوات جنسية وأن جهاده كان للحصول على مغانم دنيوية.

كل هذه الافتراءات وغيرها كانت هي منبع اتهام العرب والمسلمين بالشهوانية وسوء معاملة النساء وبالإرهاب والقتل... وكذلك وصم العرب والمسلمين بالتواكل والسلبية... هي صفات نابعة من تشويه عقيدة القضاء والقدر والادعاء بأنها هي السبب في ما تعج به حياة المسلمين اليوم من سلبية وانهزامية وتواكل.

ومن هذا اتهام العرب والمسلمين بأنهم قتلة متوحشون يحيطون بإسرائيل واحة الديمقراطية وسط مجموعات من المتخلفين.

هـذا الاتهـام جـاء مـن مـا ينـسب إلى المـسلمين في العهـد النبـوي مـن «جـرائم الإبادة» التي قاموا بها ضـد يهـود بـني قريظـة وبـني النـضير ومـن تهجيرهـم والاسـتيلاء على ممتلكاتهم[*].

ولنتمعن في قول جورج بوش الجد في كتابه «محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين» بعد أن أورد آيات عن الجهاد والقتال «... هذه الروح الدمويه العدوانيه غير المتسامحة سنجدها تميز معظم سور القرآن التي نزلت في المدينة... »[1].

وسنجد أن هذا القول هو أصل الحرب الصليبية[*] التي أعلنها بوش الحفيد على العالم العربي والإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من عام 2001 وهو منبع فبركة الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين كإرهابيين وقتلة ومعادين للحضارة والمدنية وكذلك هو أصل اتهام القرآن بأنه يعلم أتباعه الإرهاب ونبذ الآخر واحتقاره حسب مزاعم كثير من الغربيين!

وكيف لا يكون قول المفكر الفرنسي (رينان) عام 1892:

«إن الإسلام هو التعصب والإسلام هو احتقار العلم، الإسلام يمحو المجتمع المتمدن... فالإسلام هو البساطة المفزعة للفكر السامي الذي يحجب عن الفكر الإسلامي كل فكرة طيبة وكل مشاعر رقيقة وكل بحث عقلاني»[2].

(*) وربما يستوجب ذلك التعويض وحق العودة.

1- ص 273 وهذا الكتاب هو من تأليف القس الامريكي «جورج بوش» الذي عاش في الفترة من 1796- 1859 والعنوان الأصلي للكتاب هو "حياة محمد مؤسس الدين الاسلامي ومؤسس امبراطورية اللصوص» وقام بترجمته وتحقيقه والتعليق عليه د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ ونشرته دار المريخ في الرياض السعودية. وقد انبرى الكثيرون للرد عليه على سبيل المثال محمود بغدادي في رسالته للماجستير التي حملت نفس العنوان وكذلك الدكتور عبدالرحمن جيره في كتابه «الرد على القس بوش» وغيرهما.

(*) وقد اعتذر بوش لاحقا عن هذا التعبير ولكن اعتذاره كالتائب من الذنب وهو مقيم عليه!!

2- د. عبد الودود شلبي «الإسلام وخرافة السيف» ص29.

كيف لا يكون هذا القول عن الغربيين المؤمنين به دافعاً لهم لمعاداة كل ما هو عربي ومسلم وإلى إنكار تراثه وحضارته الشامخة التي سادت قرون طويلة وكانت من مصادر حضارة الغرب ومدنيته؟!

وكيف لا يكون هذا القول هو الدافع لشتم العرب والمسلمين واتهامهم بالتخلف والوحشية ومعاداة كل تقدم ومدنية!

وقد كان مفكرو الغرب دائما وفي إطار مهاجمتهم للإسلام يطعنون في سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ويشككون في نبوته ويشوهون سيرته، وكتب المستشرقين تتضح بالأكاذيب والمطاعن في سيرته صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن هذه الأكاذيب والافتراءات هي الجذور التي انطلقت منها كافة الاساءات لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا العصر والتي رأيناها في الأفلام السينمائية والمسرحيات الغربية وفي الرسوم الكاريكاتورية... التي تكرر نشرها في صحافة كثير من البلدان الاوروبية وبشكل مستفز بحجة حرية الصحافة وحرية الرأي والتعبير التي تتسع وتضيق حسب مصالح هذه الدول والروح الصليبية التي تحكم سلوكها تجاه المسلمين.

وهكذا فالصورة المشوهة عن العرب والإسلام والمسلمين لم تكن بسبب جهل بعقيدة الإسلام أو شريعته أو حضارته أو سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم بل لها جذور ومنابع في أكاذيب كثير من المستشرقين وافتراءاتهم.

ثالثاً: الموروث والأدب الغربي

الأدب - بكل فنونه من قصة وشعر ومسرحية ورواية- يعبر عن مشاعر وتجارب ومواقف الأمم تجاه القضايا التي تواجهها.

وقد كان للأدب الغربي بكل مكوناته دور كبير في تشكيل عقل الإنسان الغربي ونظرته إلى الشرق العربي والمسلم.

فبعد الحروب الصليبية وما ارتكبته جيوش الصليبيين من مذابح ومجازر ضد المسلمين بحجة تحرير الأرض المقدسة، وقبر المسيح من أيدي المسلمين صدرت

الكثير من القصص والروايات والمسرحيات التي كانت مكملة لهذه المجازر ومبررة لها بما ألصقته بالمسلمين من افتراءات وأكاذيب.

ولقد تحدث بعض المؤرخين الغربيين عن وحشية الصليبيين في تعاملهم مع المسلمين وهي وحشية تشهد بها وقائع التاريخ وحقائقه.

وفي قصة من الأدب الفرنسي بعنوان «حملة الملك ريتشارد» صوّرت فيها «بطولات» الملك الانجليزي ريتشارد قلب الاسد في الحملات الصليبية، وتمثلت البطولات فيها بقتل الأسرى المسلمين وأكل لحومهم على موائد الطعام في المآدب الملكية.

وهناك قصة انجليزية ظهرت في العصور الوسطى بعنوان «ريتشارد قلب الاسد» وهي قصة عباره عن ملحمة منظومة تحدثت عن جميع الأحداث التي وقعت أثناء الحملة الصليبية الثالثة بأسلوب اوروبي يصور الشرق والمسلمين في فلسطين وقد تحدثت هذه القصة عن بطولات صلاح الدين الايوبي ولكنها إلى جانب ذلك حوت الكثير من الدس عن المسلمين والاجحاف بهم.

وقد تحدثت عن جرائم الصليبيين الوحشيه ضد المسلمين لدرجة أكل لحوم أطفال المسلمين على موائد الطعام.

وقد كتب الشاعر الفرنسي "امير وادي ايفرو" قصيدة طويلة بعنوان (تاريخ الحرب المقدسة) تتألف من حوالي اثنتي عشر ألف بيت صور فيها سوء المعاملة التي يتلقاها الحجاج والزوار النصارى للأراضي المقدسة من قبل المسلمين - حسب ادعائه- وهو يرى أن العرب والمسلمين أمة من الهمج الذين لا يعرفون المظاهر الحضارية والأخلاقية والإنسانية...

وفي قصيدة «الشرق والحلم المكسور» لفكتور هوجو صور الإنسان الشرقي بأنه متوحش وقاسي القلب.

هنا نرى يونانياً يسرق تركيا عجوزا

فيقيده سيده بسلاسل من حديد

ونرى القاضي يعرض للبيع مواطنا ضعيفاً

والأمير يرفع القاضي على وتد
والباشا يعلق الامير على عود المشنقة
والوزير ينكل بالباشا
ويسلمه لانكشاري يقطع رأسه
والسلطان يخنق الوزير
لاكتشافه متأخراً بأنه قتل والده

وعن الشعب يقول:

إنهم أبناء ملعونون لإبليس والشيطان
أتراك، قطيع خاضع، جمهور خاضع بالسيف
عبيد يوضع حد لحياتهم
حين يحتاج السلطان لرؤوس يقطفها

وعن العسكر يقول:

حيوانات مفترسة تزرع القتل والدمار ولا ينقصها السادية لتبتكر أشنع وسائل القتل.
خنجري الذي يزين وسطي يقطر دماً أسود
ومآسي القاطعة متدلية من سرج حصاني
فالجنود يقتلون الأبرياء بالالاف وكلما تضاعفت أعداد الضحايا ارتفعت وتيرة حماسهم، فنرى المدن التي يمرون فيها تتحول إلى صحراء قاحلة ينعق الغربان فوق ركامها.

وقد ضمن قصيدته دعوة صريحة لحرب صليبية ضد الشرق فهو يقول محرضاً:

متى سنذهب؟ هذا المساء! فقد يطول انتظار الغد
بعض السلاح أحصنة قليلة! مركب ينطلق من طولون
مركب! ولم لا تكون أجنحة
فلتتوجه بعض بقايا فيالقنا
وسنرى كيف أن نمور العثمانيين

تفرّ مثل الغزلان المذعورة

ففي هذه القصيدة يظهر الحاكم التركي المسلم شخصاً قاسياً ينكل بخصومة ويظهر الحكام كمتآمرين يكيد كل منهم للآخر.

كما يظهر الشعب المسلم عامة أناس يساقون كما تساق النعاج دون تفكير أو اعتراض أو حتى سؤال.

وتقول القصيدة عن الجيوش الإسلامية بأنها مجموعات من القتلة الذين يتلذذون بقتل الآخر وتعذيبه وهم أشبه بحيوانات مفترسة لا تترك شيئا أتت عليه إلا أهلكته!

والجندي المسلم هو إنسان لا يملك شيئاً يعتز به إلا السلاح الذي يقطر باستمرار من دم الأعداء والمعارضين.

وهي عين الافتراءات والأكاذيب التي يلصقها الإعلام الغربي بكل وسائله بالعرب والمسلمين اليوم، وهذه الصفات الظالمة المفتراة هي إحدى جذور الصورة النمطية السلبيه للعربي والمسلم في العقل الجمعي الغربي.

وفي نهاية قصيدته يجعل الشاعر من هذه الصفات المفتراه التي خلعها على العرب والمسلمين سبباً ودافعاً لمطالبته بشن حرب صليبية على العرب والمسلمين واحتلال بلادهم وقتل رجالهم ويستحث قومه على ذلك.

وهذا ما يحصل في عصرنا حيث يجعل البعض من صورة العرب والمسلمين السلبية التي اخترعها العقل الغربي سبباً كافيا لاطلاق الدعوات لاستعمار بلادهم وابادتهم!! وفي أعمال الكثير من الأدباء مثل القاص البريطاني السير والترسكوت والاديب الالماني ليسنج والأديب تشوسر وماندفيل ووليم شكسبير وجون دويدان والاكسندر بوب واللورد بايرون وغيرهم نجد المسلمين جبناء، كفار، ملاحدة، وحوش، قطاع طرق، حساد، جاحدون لا يقدرون نعم الله، برابرة، وغلاظ قلوب لا هم لهم الا السطو والنهب والسلب والقتل وسبي النساء، أنذال، وخائنون... إضافة

إلى الطعن في سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بأقذع الأوصاف وأحطها.

والتقليل من شأن الحضارة الإسلامية وإنكار فضلها على العالم.

وللمرأة المسلمة من التشويه نصيب فهذا الروائي المشهور أولفر جولد سميث الذي عاش في الفترة (1730- 1774) يقول في إحدى رسائله[1]:

إنهن ممتهنات لا ينظر اليهن، وإنه ليست لهن أحاسيس ومشاعر بل إنهن من سقط المتاع، وأنهن لا يدخلن الجنة، وأن محمداً استبعدهن من دخول الجنة...

وفي المسرحيات وجد أدباء الغرب وسيلة لتشويه صورة العرب والمسلمين ففي مسرحية «إبراهيم امبراطور الاتراك الثالث عشر» لماري بيكس عام 1696 كرّست لبيان الأخلاق الذميمة التي سادت المجتمع التركي (المسلم) حسب النظرة الغربية حيث تم التركيز على المؤمرات والاغراءات وحالات الأخذ بالثأر والانتحار من أجل الحب.

ولا شك أن الحديث عن هذه الأخلاق جاء ليرسخ في الذهن الغربي أن هذه هي أخلاق المسلمين التي تعلموها من دينهم! فهم أهل دسائس يعيشون في مجتمعات بدائية يأخذ كل واحد منهم ثأره بيده ويعيش ولا هم له الا الجواري.

وفي مسرحية «ادوارد واليانور عام 1739م فرغم تصوير جايمس طومون السلطان المسلم سليم وزوجته بصورة الشهم الذي يعطف على الأعداء إلا أنه أصر على أن نمط الحياة الوحشي هو الذي يسود حياة المسلمين، حتى قال ملك انجلترا ادوارد:

مزيف لعين! كذبة الذعر اللئيم

متعصبون أنتم سارقون، روسيون جميعكم

1- د. عدنان محمد وزان، صورة الإسلام في الأدب الانجليزي ص 449 ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع إلى هذا الكتاب القيم الذي حوى بجزئيه دراسة علمية موضوعية حول هذا الموضوع.

هذا هو أساس الحكمْ

نحو الثأر تميلون

ظمأكم إلى الدم ترددون

بالنهب تحيون

وبه امبراطوريتكم تعززون

فديانتكم ما هي سوى إدعاء

السرقة والقتل باسم السماء[1]

وهي كلمات كما هو واضح تلصق بالعرب والمسلمين كل خلق ذميم بل وتُنسب هذه الأخلاق إلى دين المسلمين مما له بالغ الأثر في ترسيخ صورة الإسلام نفسه كديانة تحث أتباعها على القتل والسلب والنهب وهو اعتقاد يسيطر على الفكر الغربي حتى اليوم.

في حين أن الإسلام العظيم نهى عن هذه الأخلاق وشدد في تحريمها فالتمسك بها انحراف عن الإسلام ومخالفة لتعاليمه وليس تمسكاً بالإسلام كما تشير الفقرة أعلاه من المسرحية.

وفي مسرحية «مأساة مصطفى» لديفيد ماليث عام 1739م. وصل الافتراء إلى تصوير السلطان التركي سليمان يعلن عن ازدرائه لأخلاق أمته المسلمة والتبرؤ منها بقوله:

الحق قلبي يشعر بالنفور

حيال ممارسات مخزية

وسياسات شائنة

عالمنا البربري طبعت

عالم منه الأمم الحكيمة سخرت

أمم بلغت الوعي والإدراك

1 - ناجي عويجان «تطور صورة الشرق في الادب الانجليزي» ص79.

عبر آراء نبيلة فالاحترام اكتسبت[1]

وهكذا يصب هذا (الاعتذار) في نفس القناة السابقة التي تتهم المسلمين والعرب بكل رذيله وخلق ذميم لدرجة يخجل منها حتى سلطان المسلمين!

وفي مسرحية بعنوان «أسرى الجزائر» عام 1794 تعرض لشخصية مسلمة يدعى «بن حسن» الذي يعرض على أسيرته الأمريكية الجنسيه والتي تدعى «ريبيكا» الزواج منها فتجيبه متعجبة كيف تريد الزواج مني وأنت متزوج بالفعل؟! فيخبرها «بن حسن» بأنه مسلم وأن الإسلام يبيح له ذلك ويقول: «يمنحنا القانون الخاص بنا الحريه في الحب وبما أنك امريكية فلا بد أنك تعشقين الحريه.

فتفزع من جوابه قائلة «لا تدنس تلك الكلمة (الحرية) المقدسة بربطها بفجورك...![2].

وهي مسرحية- كما تنطق مشاهدها- تُعرّض بالإسلام وأتباعه في قضية تعدد الزوجات وتظهر الأمريكية مستغربة متعجبة لطلب شخص متزوج الزواج منها، كما تشوه نظرة العربي والمسلم إلى الحرية بأنه حرية للحب والتنقل من زوجة إلى أخرى في حين تستغرب هذه الأمريكية هذا المفهوم للحرية بما يوحي أن قيم وأخلاق مجتمعها أفضل من قيم وأخلاق العربي المسلم ومجتمعه!

وفي مسرحية «بايزيد» لجان راسين عرضت هذه المسرحية على مسرح فندق اليورغو عام 1672م. وأعيد عرضها خمساً وعشرين مرّة بين عامي 1672 - 1698.

وقال كاتب المسرحية جان راسين إنه استقى معلوماته في المسرحية من السفير الفرنسي في اسطنبول «السيد دوسيزي» ومن الفارس «دونا نتوييه» الذي سجن في تركيا ومن السيد دولاهيه الذي خلف دوسيزي ومن كتاب المؤرخ الانجليزي ريكو «التاريخ الحديث للسلطنة العثمانية» وقصة فلوريدون للكاتب سوغريه[3].

1- المرجع السابق، ص80.

2- روبرت ج. أليسون "أفول الهلال" ص 108.

3- قراءة في نصوص استشراقية فرنسيه رئيسيه ملخص لكتاب النظره الى الاخر في الخطاب الغربي. جان جبور بحث منشور على الانترنت.

تحدثت المسرحية عن العبيد والجواري الذين يعج بهم بلاط الحكام في الشرق وعن المؤامرات والخيانات والجواسيس في هذا الوسط.

ويصف الشعب بالغباء والانانية والعواطف الهوجاء والسادية، وتتحدث المسرحية عن الحسد والحقد والخبث والمكائد في مجتمع الشرق.

وتدور مسرحية «السلطانات الثلاث» عن قصة سلطان تركي أحاط نفسه بخمسمئة امراة بينهن امراة فرنسية جميلة استطاعت ترويض السلطان وإرغامه على ترك النساء الأخريات والزواج بها.

وتتحدث المسرحية عن الإسراف والبذخ والعبث في حياة السطان التركي وعن غرامه بالنساء وتنسب إلى السلطان القوة على من حوله، إضافة إلى إلصاق صفات الضعف والتقلب به لدرجة تصويره كألعوبه في يد خادمه.

والمسرحية تركز على تفوق قيم الحضارة الغربيه على قيم الحضارة الشرقية، فتظهر البطلة الأجنبية وهي تقول:

«يا للقرف! يا للضجر! ألا تلاحظ الفرق بين هذا البلد اللعين وبين بلدي ففي فرنسا لا استعباد هناك لا نتنشق إلا الفرح والحرية والبحبوحة... والملك ليس سوى مواطن وكل مواطن هو ملك».

وتصور السلطان وهو ينحني عندما يودع البطلة الأجنبية، في حين تظهر هي متعاليه يغلب عليها السخرية والاستهزاء...[1]

وإذا نظرنا إلى مسرحية (التعصب أو محمد الرسول) لفولتير والمسرحية بمجملها هجوم على الإسلام ونبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم وتشكك في نبوَّته ورفضه لها.

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأوصاف ذميمة كالخداع، والغرام بالنساء، والعبث، طاغيه، سفاح، متجبر، قاسي ومتوحش...الخ[2].

1- المرجع السابق.

2- نفس المرجع.

بل تتطاول المسرحية على الله تعالى لتصفه بالقسوة وعدم الرحمة وعدم العدل وعدم العناية بالبشر.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهي مسرحيات تصوغ - بماحوته من أفكار تعتمد الكذب والافتراء- العقلية الغربية وتوجهها لتشويه صورة العرب والمسلمين وترسخ هذه الصورة فيها.

فالعربي والمسلم: خائن، متأخر، غبي، أناني، لا يحكم عقله، شهواني، قاسي، متخلف.

إضافة إلى الاساءة إلى الدين الإسلامي عقيدة وشريعة بتصويره أنه الدافع وراء السلوك السلبي لأتباعه.

ولا شك أن هذه الصور الظالمة والصفات القبيحة هي منابع الصورة المشوهة للعرب والمسلمين في هذا العصر ومنها تستقي وسائل الإعلام الغربي والمناهج الدراسية هناك الصورة السوداوية للعرب والمسلمين بل وللإسلام نفسه.

وقد ساهمت الملاحم والأغاني التي قيلت في بعض المناسبات بنصيب في تشويه صورة العرب والمسلمين في أذهان الغربيين وفي رسم صورة كريهة لهم تؤثر في الفكر والوجدان والسلوك الغربي تجاه العرب والمسلمين.

ففي «الكوميديا الالهية» لـ دانتي نجد إساءة للرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:

عندما أردت ان أتأمله بدقة

نظر إليّ ثم مزق صدره بيديه، قائلاً:

«انظر كيف أمزق جسدي

تعال وتأمل كيف يتألم محمد Mohomet في جهنم.

وترى أمامي علي بن أبي طالب يخطو باكيا

وقد شقت رأسه من الذقن حتى شعر الرأس

وجميع من تشاهدهم هنا في هذا الجزء من جهنم

كانوا في الحياة الدنيا أهل شجار وشقاق

ولذلك فقد قطعت أجسامهم وشوّهت أجسادهم هنا في دار السعير»

ألا ترى في هذه الكلمات الخاطئة الكاذبة جذوراً للرسوم المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الغرب اليوم والتي أصرت كثير من الصحف في الدول الغربية على إعادة نشرها مراراً وتكراراً بحجة حرّيه الرأي وحرّية الصحافة، وهي حرّية تتسع لتشويه صورة الإسلام وثوابته ومقدساته، وتضيق بأي انتقاد لأساطير وأكاذيب الصهاينة! وقد جاء في أغنية ملحمية للشاعر غافودان قوله:

يا إلهي إنه بسبب خطايانا

زادت قوة المسلمين

استولى على القدس صلاح الدين

ولسنا لها بمسترجعين

وها هو ملك الغرب في كلام صريح

يقول أنه ضد كل ملوك المسيح

ويصف وحشية المسلمين في حربهم وقتالهم - كما يقول- ويحث كافة ملوك الغرب للتكاتف ضد العرب والمسلمين فيقول:

وأنت يا ملك فرنسا ابن العم

ويا ملك الانجليز وكونت بواتيي

هبوا مسرعين لنجدة ملك اسبانيا

فلن يجد أحد منكم

فرصة أجمل من هذه لخدمة الرب!

فبمعونته ستغلبون هذه الكلاب

التي أضلها محمد

هؤلاء المرتدون السفهاء[1]

وهل ما نجده اليوم من تشويه للإسلام والمسلمين وطعن في نبيه صلى الله عليه وسلم في الغرب خارج عن هذه الصورة الظالمة المظلمة؟!

1- د. عبد الودود شلبي «الاسلام وخرافة السيف» ص29.

وهل استرشد كل من طعن في الإسلام وفي نبيه صلى الله عليه وسلم وساهم في رسم الصورة الداكنة للعرب والمسلمين إلا بكلمات هذه وأمثالها التي ساهمت في صياغة العقل الغربي وصناعة فكره تجاه العرب والمسلمين وشكلت أساسا بنيت عليه مواقف الغرب من قضاياهم؟!

وهناك أغنيات تمجد قادة الحروب الصليبية وتطلق أوصافاً ذميمه على المسلمين مثل قصيدة الشاعر الفرنسي «روتيبيف»:

إن الموت قد سبب لي خسارة كبيرة، وأنت أيضاً أيها الملك الطيب في رحلتين، فقد انتزع أناساً صالحين مني، كما فعل الحج إلى تونس البعيده. وهو مكان همجي، وكذلك فعل الأشرار الذين لارب لهم[1]

وهكذا فبلاد العرب بلاد الضجيج والتخلف والمسلمون أشرار لا رب لهم يعبدونه!

وهي أوصاف لا تزال تطلق على العرب والمسلمين في العصر الحديث وترسم صورة سيئة لهم.

وهناك أغنيات تذم المسلمين وتنسب إليهم أعمالاً وحشية لهم مثل أغنية لقصيدة قيلت عقب استرداد المسلمين للقدس عام 1244.

"ثم جاءت الحسناوات الرقيقات مكبلات بالاغلال، يثقلهن العذاب، وهن يبكين بحرقه في أساهن وبلواهن في القدس، ويرى المسيحيون أطفالهم يشوون على النار، ويرون زوجاتهم وقد تم تشريح صدورهن ونزعت من أماكنها وهن لا زلن على قيد الحياة ومن الملابس يصنعون بطاطين، ويجعلون من الضريح المقدس اصطبلاً ومن الصلبان المقدسة أوتاداً في القدس"[2].

1- وسائل الدعاية الصليبية: صورة المسلمين في ادب الرحلات الاوروبية والروسية الى الاماكن المقدسة في العصور الوسطى نموذجا للدكتور رائد مصطفى عبدالرحيم، نشر في مجلة جامعة الازهر بعزة، مجلد 13 عدد 1 (A)

2- نفس المرجع.

وفي هذه الأغنية افتراء وكذب يصور المسلمين وحوشاً يعذبون أسرى الصليبيين وخاصة النساء والأطفال ويعتدون على الأماكن والرموز المقدسة لدى النصارى.

ومن ذلك أنشودة رولان القديمة والشهيرة التي تتحدث عن مواجهة تمت بين شارلمان وجيش مسلم عام 778م، وقد تمكن الجيش الإسلامي من إبادة مؤخرة جيش شارلمان وقتل قائده رولان تقول الانشودة:

«استولى الامبراطور على سرقسطة، وجعل ألفا من الفرنجة الموالين له يفتشونها وفي معابد محمد وبالهراوات والحديد والبلط هشموا صنم محمد وغيره من الأصنام حتى لا يبقى أي شر أو خرافة، والملك شارلمان مؤمن حقا، ويخدم الرب، وأساقفته يباركون المياه، ويقودون الوثنيين إلى التعميد، وإذا ما عارض أحدهم إرادة شارلمان، فإنه كان يأمر بسجنه أو حرقه أو ذبحه، وهكذا تم تعميد أكثر من مئة الف وحُوّلوا إلى مسيحيين حقيقيين باستثناء ملكة سرقوسة وحدها فقد كان لا بد من أن تساق أسيرة إلى فرنسا، لأن الملك يرغب في أن تعتنق المسيحية عن حب»[1]

وكلمات الأغنية واضحة فيما تطلقه على المسلمين من صفات فهم وثنيون، عبدة أصنام، شرّيرون، يؤمنون بالخرافات.

وتفتخر كلماتها بجرائم النصارى ضد المسلمين وإكراههم على الدخول في النصرانية.

وهي صور للمسلمين لا زالت العقلية الغربية تنتجها وتحشر المسلمين في إطارها.

كما اعتمد الصليبيون على الرسوم والألوان في حربهم على الإسلام والمسلمين وفي تشويه صورتهم وتنميطها.

1- نفس المرجع.

فقد اعتمدوا في ترويجهم للحملات الصليبية على اللوحات الفنية والرسوم الكاريكاتورية التي عبرت عما تعبر عنه الأغاني والأشعار والخطب. ومن تمجيد للحرب ضد المسلمين وحض الصليبين عليها ، وتشويه لصورة المسلمين بالصاق أسوأ وأخس الصفات بهم وتشويه عقيدتهم.

وقد صوَّر المسلمون في هذه اللوحات كوثنيين يعبدون الأصنام وهمجيين معتدين وتم تشويه صور قادة المسلمين الذين تصدوا للحملات الصليبية كنور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي بإظهارهم بلباس الفرسان الصليبيين وبرؤوس خنازير أو رأس تنين أو فهد أو ثعبان وعقرب.. كما أنه تم استعمال اللون الاسود - لون الخطيئة والوثنية والموت- للمسلمين.

وهو أسلوب ما زال الغرب يستعمله في حربه على الإسلام والمسلمين وفي تشويه صورتهم وصورة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فرسوم الكاريكاتير التي تسيء إلى الإسلام وإلى المسلمين والعرب تملأ صحافة الغرب ووسائل إعلامه كافة ، وتوظف في خدمة صناعةالصورة النمطية لهم وتجسيدها في أذهان الغربيين.

كما توظف هذه الرسوم المسيئة في خدمة سياسات وتبرير مواقف غربية ضد العرب والمسلمين. وليست الرسوم المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم التي نشرت في كثير من صحف الغرب منا ببعيد.

وهكذا فاللوحات الفنية والرسوم الكاريكاتوريه وسائل قديمة جديدة سُخرّت في الاساءة للعرب والمسلمين وفي تشويه وتنميط صورتهم لدى الغربين.

ثالثاً: وسائل الإعلام

مما لا شك فيه أن لوسائل الإعلام بمختلف أشكالها ومضامينها دوراً كبيراً وأساسياً في حياة الأفراد والشعوب والأمم، فهي وسائل تثقيف وتعليم تعزز أو تغير - بما تقدمه من برامج ومعلومات- قيماً وعادات وتقاليد وتساهم مساهمة فعالة وكبيرة في صناعة وتوجيه الرأي العام تجاه مختلف القضايا التي تهم الأفراد والشعوب.

ولقد ضاعف من أهمية وسائل الإعلام ما طرأ عليها من تطور هائل شمل وسائلها وأساليبها وما يقدم فيها من برامج وموضوعات.

فتطور وسائل الإعلام أزال كثيرا من الحواجز بين الامم والشعوب كالبعد الجغرافي والزمني مما جعل الاخبار تصل إلى جميع أنحاء العالم في أوقات متقاربة وجعل باستطاعة كل انسان متابعة ما يجرى في أي بقعة من بقاع العالم في نفس الوقت الذي يمكن فيه لمن يعيش في مكان الحدث ومتابعته، فالبث المباشر والفوري المستمر ألغى كل فرق بين الاثنين وجعل من كل منها انسان يعيش الحدث فور وقوعه.

وقد أضافت وسائل الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي إمكانيات هائلة إلى قدرة وسائل الإعلام على اختراق كافة الحواجز والعوائق الطبيعية وغير الطبيعية ولم يعد باستطاعة رقابة رسمية منع إيصال رسائل هذه الوسائل إلى متابعيها.

وهذا ما غير الكثير من قواعد اللعبة بين الدول مما انعكس على العلاقات بينها وعلى طريقة تعاملها واتصالاتها مع بعض حتى قال أحد المعنيين بذلك(*):

«أما مفهوم السيادة فقد تغير الآن نتيجة القواعد الدولية الجديدة في النظام العالمي المعاصر، وبعد التأثير الهائل لتقنيات الإعلام الحديثة في حياتنا المعاصرة. فإن جارك أو حليفك يقول لك أننا سنطير في أجوائك لإجراء بعض التمارين، ثم يقوم بها. وكذلك يتولد لك حقٌ مماثل في أجوائهم، وهو أمر جديد فرضته تلك القواعد الجديدة والتكنولوجية المعاصرة. وإنني كمسؤول عسكري أعرف بأن ثمة جهات عديدة تتنصت علينا: على اتصالاتنا الهاتفية وعلى هواتفنا النقالة - الموبايل- بل وعلى هواتفنا المرئية الخاصة... لا أقول مقبولة ولكننا مضطرون لاتخاذ الاجراءات الضرورية حفاظاً على أمننا القومي وأمن مجتمعنا ومواطنينا».

(*) هو الجنرال حلمي أوزاك الذي كان رئيس أركان الجيش التركي وهذا التصريح جاء أثناء حفل الاستقبال الذي أقيم عام 2003 بمناسبة الذكرى الثمانين لإقامة الجمهورية التركية.

وهـذا التطـور زاد مـن خطـورة الإعـلام وأهميتـه في خدمـة أهـداف الـدول والمنظمات وفي تنفيذ خططها.

فقـد خـدم الإعـلام كقـوة ناعمـة السياسـات الخارجيـة للـدول الكـبرى في السلم والحـرب، وقـد أكـد ذلـك جوزيـف .س.نـاي الـذي عمـل مسـاعداً لـوزير الـدفاع الأمريكي في عهد الرئيس بل كلنتون وكان أول من استعمل مصطلح القوة الناعمة وبين أهميته في الحـرب البـاردة بين المعسـكرين الشـرقي والغربـي في أعقـاب انتهـاء الحرب العالمية الثانية.

فقد بين ناي أهمية الأفلام التلفزيونية والسينمائية في انهيار الستار الحديدي الـذي كـان مضروباً حـول دول المنظومـة الاشـتراكية وجـدار بـرلين الـذي انهـار في نفوس وعقول الألمان قبل انهياره المادي عام 1989 بفعل الإعلام خاصة المرئي منه.

فالأفلام التلفزيونيـة والسـينمائية كـان لهـا أثـر كـبير في ادخـال قـيم الغـرب وطريقة حياته إلى الـدول الشـرقية وبالتـالي المسـاهمة الفعالـة في تغيير الحيـاة وانهيـار الأنظمة فيها.

وقد تم استخدام الإعلام في الحرب النفسية لإضعاف معنويات العدو وقواته وتصديع جبهته الداخلية وتفتيت تماسكها وانهيارها.

ولهـذا الـدور الخطـير لوسـائل الإعـلام ولتأثيرهـا الـكـبير في السـيطرة علـى العقـول وقـدرتها الهائلـة علـى توجيههـا فقـد اسـتخدمها الغـرب في صـناعة الـصـورة النمطيـة السلبية للعـرب والمسلمين خدمـة لأغـراض وتوجهـات بعـض القـادة والجهـات هنـاك.

وسنقوم بدراسة دور وسائل الإعلام المختلفة في صناعة هذه الصورة:

1- السينما

تعتبر السينما مـن أهـم انجـازات الإنسـان الـتي لهـا أثـر كـبير في خدمتـه في جميع مراحل حياته وعلى اختلاف مستوى تعليمه وثقافته.

وللسينما بميزاتها المعروفة المتعددة وأثرها الكبير خطورتها البالغة على المجتمعات والأمم لما تقوم به من دور فاعل ومؤثر في تشكيل العقول وتغيير ثقافة وقيم وعادات وأخلاق وأسلوب حياة الأفراد والشعوب ودورها الكبير كجسر لقاء بين الشعوب يتم عبره نقل معطيات الفكر والحضارة بين الشعوب والامم.

وتقوم السينما بأدوار مختلفة في الحياة، فهي وسيلة ثقافة ومعرفة ووسيلة تعليم لها أكبر الأثر في ارتقاء المجتمع وتهذيب عاداته وأخلاقه وقيمه بما تعرضه من نماذج متعددة لحياة الامم والشعوب يمكن- اذا أحسن اختيار مضمونها واستخدامها- أن تشكل حافزا للتقدم والتطور والنمو الثقافي وتوجيه طاقات الإنسان نحو التقدم والابداع.

خصائص السينما:

للسينما عدة خصائص تميزها عن وسائل الإعلام الأخرى وبالتالي تعطيها دوراً متميزاً في حياة الشعوب والأفراد، ومن هذه الخصائص:

- تجمع السينما بين أكثر الفنون كالرسم والأدب المكتوب، والمسرح حيث أنها تجمع بين كل هذه الفنون فيما تقدمه من أفلام.
- يمكن للسينما بما تتمتع به من شاشة كبيرة نسبياً أن يتم من خلالها تكبير الأشياء والصورة التي تعرض فيها مما له أثر في شدة وضوح المعروض، وتأثيره في المشاهد.
- القدرة الفائقة على الاستحواذ على انتباه المشاهد والتأثير فيه بميزات الصورة المتحركة والألوان ودلائلها والصوت والموسيقى.
- للسينما كوسيلة تعليمية خصائص تميزها عن غيرها من الوسائل ومنها:

• امكانية تكرار عرض الفيلم وبالتالي امكانية عرضه أكثر من مرّة على نفس المجموعة من المشاهدين.

• امكانية إيقاف الفيلم أثناء العرض لشرح بعض النقاط أو سماع بعض الاستفسارات من المشاهدين.

• كبر شاشة السينما يعطيها امكانية عرض الأشياء الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة كالخلايا...

للصورة المتحركة دور كبير في العملية التعليمية لأنها توضح الكثير من المفاهيم والحقائق التي قد لا تكون واضحة عن طريق الكتاب أو الصورة الصامتة (كانفجار الزلازل والبراكين) ولأهمية دور السينما وعظم أثرها فقد قال الرئيس الأمريكي روزفلت:

«إن صناعة الصور المتحركة (الأفلام السينمائية والتلفزيونية) يمكن أن تكون أقوى أداة للدعاية في العالم سواء حاولت ذلك أم لم تحاول».

وكما ذكرنا سابقاً فإن وسائل الإعلام عامة قد لعبت دوراً كبيراً في تنفيذ سياسات الدول وفي الترويج لأهدافها وقد كان للسينما والتلفزيون من بين وسائل الإعلام دوراً متميزاً في ذلك.

وفيما يتعلق بتشويه صورة الخصم وصناعة صورة نمطية سلبية له، فقد قامت الصناعة السينمائية بخدمة سياسة دول الحلفاء في الحرب العالمية الثانية في شيطنة دول المحور (المانيا، اليابان، ايطاليا) وتشويه صورة مواطنيها في نظر العالم الغربي وذلك لصناعة صورة نمطية لهم تبرر استمرار الحرب وتكاليفها البشرية والمالية الفادحة. فقد تم تصوير الألمان في صورة رجال عصابات بلطجية، قساة، متوحشين، منتهكي حرمات النساء والأبرياء، وهم أعداء الحضارة والديمقراطية.

وقد تم اخراج وعرض عدة أفلام لخدمة هذه الصورة المشوهة وغير الودية للالمان وتجسيدها.

ففي فيلم «الشبيبة رقم تسعة وأربعين» الذي عرض عام 1941 والذي حاول بيان أن هناك تهديداً نازيا للأراضي الأمريكية، وهو تضخيم لخطر النازية حيث لم يكن يتصور حدوث هجوماً المانيا نازياً على الأراضي الأمريكية.

وقد بلغ تضخيم الخطر الالماني على الولايات المتحدة عبر الأفلام السينمائية حداً دفع بالكثير من المعارضين للتدخل الأمريكي في الحرب العالمية الثانية إلى

الاعتراض على عرض هذه الأفلام في دور السينما الأمريكية خاصة في الأماكن التي يكثر فيها الالمان.

وقد قام بعض الداعين إلى عدم اشتراك الولايات المتحدة في الحرب في آب من عام 1941 بالمطالبة باجراء تحقيق كامل شامل عن أي انتشار للدعاية بواسطة الأفلام والصور المتحركة للتأثير في المشاعر العامة في اتجاه تشجيع مشاركة الولايات المتحدة في الحرب(*).

وهكذا فقد كانت شيطنة العدو ورسم صورة مشوهة له في أذهان الشعوب والأمم هدفا سعت اليه دول الحلفاء لتبرير الحرب وما جلبته من قتل ودمار!

كما كانت هذه الصورة محاولة للداعمين لتدخل الولايات المتحدة في الحرب لتبرير هذا التدخل باعتباره دفاعاً عن الولايات المتحدة نفسها وأراضيها ضد عدو بربري وحشي يواصل التهام الدول واحدة بعد الأخرى.

وما أشبه اليوم بالبارحة حيث نجد أن تشويه صورة العرب والمسلمين في أذهان الغربيين ورسم صورة سيئة لهم إلى حد ربط الإرهاب والتخلف والوحشية بهم في الذهن الغربي لغايات وأهداف تخدم بعض الجهات في الغرب والتي يهمها هذا التشويه لتبرير أعمال تقوم بها ضد العرب والمسلمين داخل الدول الغربية وخارجها.

وفي مجال الأفلام السينمائية فقد تم تسخير هذه الوسيلة لخدمة هذه الأهداف، فقد ساهمت السينما الغربية وخاصة في الولايات المتحدة وعلى رأسها هوليود الأمريكية التي أسهمت عبر أكثر من قرن من الزمان في تجسيد الأحقاد والكراهية الغربية للعرب والمسلمين بما تبثه من أفلام تحوي الكثير من الأكاذيب والتزييف.

وجاء هذا التجسيد في صورة تغطية سلبية شيطنة العرب والمسلمين ورسخت ذلك في ذهن الغربي المهيأ لاستقبال كل ما من شأنه أن يقلل من قيمة العرب والمسلمين وتشويه صورتهم، فقد تم تصوير العربي والمسلم كمخلوق متخلف، فقيرا

(*) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع لكتاب «قصف العقول» تأليف فيليب تايلور وترجمة سامي خشبة وهو العدد 256 من سلسلة عالم المعرفة التي تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - الكويت.

معدماً يرتدي ملابس رثة، لم يلحق بركب الحضارة، شهواني متفلت جنسياً ولا تحكم علاقته بالنساء ضوابط أو قيود... اضافة إلى الصاق صفات الجبن والجهل والإرهاب به.

وصورت المرأة العربية والمسلمة كراقصة تمتهن الدعارة ومتخلفة لا تملك من أمرها شيء.

كما تم السخرية من الثراء الموجود في بعض الدول العربية وتصوير شيوخ العرب يقودون سيارات فارهة يستعملونها للمباهاة وارتكاب الأعمال الخسيسة!

وسنتعرض لبعض الأفلام الأمريكية لنرى كيف تم فيها عرض صورة الإنسان العربي والمسلم.

ففي فيلم بعنوان «برتوكول» الذي عرض عام 1984 تتمكن البطلة وتدعى (جولدي هون) من انقاذ أحد حكام الدول العربية وذلك باحباط محاولة اغتياله.

وفي محاولة من هذا الحاكم لمكافأة هذه البطلة وتكريمها يرسل اليها بعض حراسة بلباسهم العربي ومتمنطقين بالخناجر المعكوفة لإحضارها إليه وعند إحضارها وفي الطريق اليه تتعرض إلى وابل من النظرات الشهوانية من حرس هذا الحاكم ثم تتفاجأ بطلب هذا الحاكم منها أن يضمها إلى نسائه كزوجة... وإلا فلن تتم الموافقة للولايات المتحدة الأمريكية على بناء قاعدة عسكرية في بلده!

ولكن القدر يسعف هذه المرأة باقتتال جماعة هذا الشيخ (الحاكم) العربي مع جماعة عربية أخرى فتمكنت جولدي هون خلالها من الهرب عائدة إلى الولايات المتحدة لتحذر أمتها قائلة:

«ان أمن وسلامة بلادها يتعرضان للخطر على يد هؤلاء العرب والتعامل معهم أمر في غاية الخطورة».

وما يود الفيلم قوله هو:

- انقاذ حاكم عربي تم عن طريق الأجانب فهم الحريصون على حياته وأمن بلده.
- عرض صورة العربي بلباس الدشداشة وهو يحمل الخنجر وكأنه كائن من العصور الوسطى.

- الصاق صفة الشهوانية بالعرب وحبهم لملاحقة النساء وهو ما يقوله الفيلم من خلال نظرات حراس هذا الحاكم لهذه المرأة أثناء إحضارها لمقابلته.
- تشويه نظرة العربي للمرأة وتأكيد حبه لتعدد الزوجات وهو ما يعرضه الفيلم من خلال طلب الحاكم الزواج من هذه المراة كمكافأة لها على إنقاذ حياته.
- إظهار سفه وخفة عقل هذا الحاكم من خلال اخضاعه مصالح بلاده القومية لنزواته وشهواته بحيث يعلّق موافقته للولايات المتحدة على بناء قاعدة عسكرية في بلاده على موافقة هذه المرأة الزواج منه.
- اظهار العرب بأنهم مجموعات من البدو يغزو بعضهم بعضاً وكأنهم ما زالوا في جاهلية لا يعرفون للوطن ولا للحدود معنى.
- اظهار خطورة العرب على الولايات المتحدة وشعبها من خلال تحذير هذه المرأة لأمتها من التعامل مع العرب.

وما يقوله هذا الفيلم كفيل بوضع العرب في إطار سوداوي مظلم ينزع عنهم كل صفة ايجابية ويلصق بهم كل ما هو سلبي ومسيء.

وفي فيلم «جوهرة النيل» الذي صور عام 1985 يتحدث عن حاكم عربي اسمه «عمر خليفة» يحاول إقناع فتاة أمريكية لتقوم بزيارة مملكته لتكتب تاريخ القبائل التي تعيش على ضفتي النهر.

ويظهر الفيلم القصر الفخم لهذا الحاكم وما يحيط به من هالة من التحصينات والحرس المسلحين بالسيوف.

كما يظهر الفيلم وجود عدد كبير من المسجونين الذين يعذبون في القصر. ويظهر الشيخ عمر خليفة وهو يحاول التأثير على المعارضين له مستخدماً في ذلك موسيقى الروك! إضافة إلى مشاهد يقوم بها رجل دين اسمه جوهر كالمشي داخل النار إضافة إلى بعض المهمات السيئة والمقصودة والتي لا هدف لها إلا الإساءة للعرب والمسلمين وتشويه صورتهم في نظر المشاهدين للفيلم كالقول «انظروا إلى هؤلاء الفتيان إنهم لصوص ولن تسلم أي نعجة من أيديهم عندما يحل الظلام» وكذلك

القول: «إذا اعطيت هؤلاء الفتيان خمسة أو ست دولارات فسوف يسرقون لك ما تريد من أي بيت» وكذلك "لماذا تظل هذه المزابل قائمة في العالم الثالث تدب فيها الحياة؟ إن الذي يقف في طريق إزالتها هو ذلك الشيخ العربي...".

والصورة التي يريد هذا الفيلم رسمها للعرب واضحة جدا من خلال أحداثه:

- اظهار العرب بصورة بدائية كقبائل متناحرة متقاتلة يحاول شيخ متزعم توحيدها تحت إمرته وكأن العرب ما زالوا يعيشون في مرحلة البداوة المتخلفة التي لا تعرف إلا الغزو والاقتتال.

والغريب ان هذا الشيخ لا يجد وسيلة لتوحيد هذه القبائل إلا فتاة أمريكية يقوم الشيخ باستدراجها إلى بلاده ليضمها إلى قائمة نسائه التي لا تنتهي.

- وجود السجن داخل قصر هذا الحاكم وكأنه يتلذذ بأصوات المعذبين وبأنينهم ويشبع ساديته بذلك!
- تصوير العرب بصورة البدائيين المتخلفين بإظهارهم بأسلحتهم القديمة البدائية (كالسيوف) وكمؤمنين بالخرافات والبدع الصوفية كالمشي على الجمر.
- الإساءة البالغة للعرب بتصويرهم كقتلة ولصوص مأجورين يقومون بجرائهم مقابل أجر دراهم معدودة دون وازع من ضمير أو خلق ودون أي اعتبار لقدسية حياة الناس وممتلكاتهم.
- شتم العرب بتشبيه دولهم بالمزابل التي ينبغي ازالتها!

وما الصفات التي ألصقت بالعرب وما الثوب القذر الذي أُلبسوه في هذا الفيلم إلا شيطنة وتشويهاً لصورتهم في أعين الأمريكيين وفي أعين الغربيين عامة.

وهذا ما رفد الصورة السلبية للعرب والمسلمين ببعض المكونات والعناصر.

وفي فيلم «الشبكة» الذي تدور أحداثه حول ارتفاع أسعار النفط يظهر «الشيخ احمد زكي اليماني» وزير النفط السعودي السابق وهو يخطب.

كما يظهر شخص غربي يخطب بعصبية وحماس حول الأوضاع السيئة للغاية التي نتجت عن ارتفاع اسعار النفط حيث انتشرت البطالة في الدول الغربية ومعظم الناس عاطلون عن العمل أو خائفون من فقدان وظائفهم بسبب الانكماش.

وأن الدولار أصبح لا يساوي شيئاً - كما أعلن هذا الخطيب- وكثير من البنوك أعلنت افلاسها.

وقد صاحب ذلك ازدياد أعمال العنف وجرائم القتل وانفلات الأشرار. وفي نهاية خطابه الحماسي التحريضي يدعو بصوت عال ويصراخ مستنفر الجميع أن يخرجوا للاحتجاج على هذا الواقع ورفضه.

وما تعلنه أحداث الفيلم هو:

أن العرب هم سبب رفع أسعار النفط وهذا يتضح من إظهار صورة للشيخ اليماني وهو يخطب أثناء أحداث الفيلم في اشارة واضحة إلى ربط كل أحداث الفيلم بالعرب.

وبالتالي فكل ما يعانيه الغرب من أوضاع اقتصادية سيئة كالبطالة وارتفاع الأسعار وتعثر المؤسسات الاقتصادية لدرجة إعلان بعض البنوك والمؤسسات المالية افلاسها مع ما يتبع ذلك من استغنائها عن خدمات موظفيها الذين سينضمون إلى جيوش العاطلين عن العمل. إضافة إلى ما تبع ذلك من ازدياد جرائم القتل وفقدان الأمن.

كل هذه الحال السيئة يقف العرب خلفها وهم المسببين لها برفع أسعار النفط التي تسببت في تلك الأوضاع.

واللهجة التحريضية واضحة في هذا الفيلم حيث تتجه كل أصابع الاتهام إلى العرب الذين تسببوا في هذا الانهيار لمستوى الحياة في الغرب في سبيل إثرائهم وكأنهم يعيشون على مصائب الغير!

وكأن في ذلك دعوة شبه صريحة لإنهاء احتكار العرب لهذا المورد المهم للحياة في الغرب وإنهاء سيطرتهم على منابعه.

ونعرض لفيلم أمريكي بعنوان «قواعد الاشتباك» الذي كتبه وزير الحربية الأمريكية «جيمس ديب» والذي تدور أحداثه في اليمن، حيث يظهر رجال البحرية الأمريكية- الذين كانوا يساهمون في إجلاء المواطنين الأمريكيين في اليمن بعد أن طلبت السفارة الأمريكية في صنعاء مساعدتهم في ذلك- وهم يطلقون النار على

حشود من المتظاهرين اليمنيين أمام السفارة الأمريكية في صنعاء فيقتلون الكثيرين بينهم نساء وأطفال.

ويتم بعدها إرسال هيئة محققين من الولايات المتحدة، وأثناء التحقيق فيما حصل، يؤكد كثير من المستجوبين وهم يمنيون أن رجال البحرية الأمريكية هم الذين قتلوا المتظاهرين أمام السفارة الأمريكية في صنعاء ولكنهم (رجال البحريه الأمريكية) كانوا يدافعون عن أنفسهم حيث أن المتظاهرين اليمنيين هم الذين بدأوا باطلاق النار وهو ما تؤكده مشاهد الفيلم.

وأثناء أحداث الفيلم يسمع صوت جماعي بقراءة القرآن الكريم. وأثناء التحقيق شاهد رئيس هيئة المحققين طفلة يمنية صغيرة لا يتجاوز عمرها خمس سنوات رجلها مقطوعة وتمشي على عكازين فيتعاطف معها.

ثم يعرض الفيلم لصورة المحقق وهو يدخل إلى حديقة المستشفى فيجد جثثاً كثيرة جداً ويجد بجانب إحداها شريطاً صوتياً، وحين جرت ترجمة الشريط في المحكمة قال المحقق «بدأنا نغير رأينا فيمن هو مسؤول عن هذه الجريمة حيث سمع صوت من الشريط يقول: من واجب كل مسلم قتل الأمريكيين وحلفائهم المدنيين منهم والعسكريين".

ويظهر المحقق وهو يستمع إلى الشريط وعلامات الدهشة والاستغراب بادية واضحة على وجهه ويتأكد أن المدنيين اليمنيين الذين قتلوا ليسوا أبرياء بل إنهم كانوا هم البادئيين في إطلاق النار على رجال البحرية الأمريكية وتظهر صورة هؤلاء المدنيين وهم يطلقون النار في أحد مشاهد الفيلم.

ويقول المحقق أنه اكتشف حقيقه مذهلة وهي أن الفتاة مقطوعة الرجل التي التقى بها سابقا وتعاطف معها هي ليست بريئة (وتظهر صورتها وهي تحمل مسدس) ويقول المحقق أنها ليست أفضل من هؤلاء اليمنيين الذين قتلوا وهم يطلقون النار على رجال البحرية.

ومن التدقيق في مشاهد الفيلم وتحليل أحداثه يمكن الاستنتاج:

1. الادعاء بوجود خطر يحيق بالأمريكيين في البلاد العربية من خلال إظهار الفيلم للسفارة الأمريكية وهي تقوم بعملية إجلاء المدنيين من اليمن وهي تطلب مساعدة رجال البحرية في ذلك بسبب شدة المظاهرات أمام السفارة! وكأن هناك حرب أعلنت ضد الوجود الأمريكي في اليمن.

2. اتهام المدنيين العرب بأنهم إرهابيون وقتلة من خلال الادعاء بأن المتظاهرين المدنيين كانوا هم البادئين بإطلاق النار على رجال البحريه الأمريكية.

وزيادة في تشويه صورة العرب تدعي احداث الفيلم بأن المحقق توصل إلى أن الطفلة التي رآها مقطوعة الرجل وتمشي على عكازين وتعاطف معها هي أيضا ارهابية كانت تساهم في إطلاق النار على رجال البحرية الأمريكية، وبالتالي تستحق ما جرى لها لأنها كانت بادئة بالاعتداء!

وهكذا فحتى أطفال العرب ارهابيون!

وبالتالي برر الفيلم قتل المدنيين لأنهم كانوا معتدين وليسوا متظاهرين سلميين!

3. محاولة الزج بالإسلام في أحداث الفيلم بهدف ايجاد علاقة بينه وبين الإرهاب المدعى في الفيلم والذي قام به المدنيون اليمنيون كما أظهرهم الفيلم.

وتظهر محاولة الربط بين الإسلام والإرهاب جليّة من خلال إظهار صوت جماعي بقراءة القرآن وكأن لهذا علاقة باعتداء المتظاهرين على رجال البحرية الأمريكيه كما أظهر الفيلم وبالتالي فالمتظاهرين مسلمون! وكذلك من خلال الادعاء بوجود شريط يحرض على قتل الأمريكيين وبالتالي فما قام به هؤلاء المتظاهرين اليمنيين من اعتداء على رجال البحريه الأمريكية هو التزام بأوامر دينهم الذي أمرهم يقتل الأمريكيين رجالا ونساء شيباً وشباباً واطفالا!

وهذا هو المقصود من الفيلم والهدف الرئيسي منه! فالعرب قتلة مجرمون متعصبون غدارون... وهم في ذلك ينفذون أوامر دينهم الذي يحضهم على ذلك.

4. اظهار عدالة الولايات المتحدة الأمريكية وحرصها على معرفة الحقيقة فيما جرى من قتل للمدنيين اليمنيين فقامت بإرسال لجنة تحقيق في ذلك.

وهناك فيلم بعنوان «أكاذيب حقيقية» بطولة ممثل أمريكي يدعى هنري.

ويحكي الفيلم قصة مجموعة من العرب تمكنوا من سرقة أربعة رؤوس نووية ويودون استخدامها في تدمير الولايات المتحدة لأنها تقتل الأطفال والأبرياء في بلاد العرب... ويظهر في الفيلم عدد كبير من المسلمين العرب وقائدهم يوجه خطاباً وتهديدات إلى الأمريكيين...

وجاء في الخطاب: «أنتم قتلتم نساءنا واطفالنا ودمرتم مدننا.... وتجرؤون أن تطلقوا علينا ارهابيين... والآن الوضع قد اختلف وامتلك المقهورون سلاحاً فتاكاً ليستطيعوا أن يردوا العدوان على أعدائهم... اسمعي يا أمريكا إذا لم تقومي

بسحب قواتك من منطقة الخليج حالاً وإلى الأبد فإن جماعة الجهاد ستقوم بإمطار مدينة أمريكية بالنيران كل اسبوع...».

ويقوم بطل الفلم الأمريكي هذي بالبحث من خلال الحاسوب عن صور الارهابيين من ذوي الاسبقيات.. وأثناء ذلك يقوم الإرهابيون (العرب) بإلقاء القبض عليه ولكن هذي يستطيع أن يفلت من هؤلاء ينجوا من زخات قوية من الرصاص يمطره به المسلمون بل ويتمكن من قتل جميع المسلحين المدججين بالسلاح..".

والفلم كما هو واضح من أحداثه:

1- يصور العرب كإرهابيين يسرقون السلاح النووي وبالتالي فالمخاوف الأمريكية من احتلال العرب والمسلمين لهذا السلاح مخاوف حقيقية وجدية حيث أن تلك الأسلحة يمكن أن تنتقل إلى أيدي الجماعات الجهادية "الإرهابية" والتي يمكن أن تستخدمها لضرب الولايات المتحدة.

2- كما أن تهديد جماعة الجهاد لأمريكا بأنها ستقوم بقصف المدن الأمريكية بالسلاح النووي هو إظهار لصورة الجماعات الإسلامية بصورة القتلة المجرمين الذين يهددون بقصف المدن الأمريكية دون تمييز بين مدنيين وعسكريين.

3- ويظهر من استخدام اسم جماعة الجهاد الهدف لزج اسم الإسلام في الأعمال الإرهابية وبالتالي ترسيخ صورة المسلمين كقتلة وإرهابيين في أذهان الأمريكيين.

4- اظهار العرب والمسلمين بصورة الجبناء الذين يتمكن شخص واحد من الإفلات من بين أيدي العديد من المسلحين منهم بل ويتمكن من قتلهم جميعاً!

وفي فيلم «البندقية العارية» نجد هذا الفيلم يبدأ بمشهد لمدينة بيروت وتظهر صورة مسجد ويسمع صوت الآذان يرفع منه ثم تظهر صورة رجال عرب بلباسهم العربي وشواربهم الغليظة وبعضهم يقود جمال..

وتظهر في الفيلم صورة لغرفة اجتماعات يقف على بابها المغلق حراس عرب وداخل الغرفه عدة اشخاص: يحمل أحدهم شكل ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بكوفيته ولباس الكاكي الذي اشتهر به، وآخر بشكل الرئيس الليبي السابق معمّر القذافي، وشخص ثالث بصورة آية الله الخميني قائد الثورة الايرانية، وآخر بصورة ميخائيل غورباتشوف الرئيس السوفياتي الأسبق، وخامس يحمل شكل الرئيس الأوغندي الأسبق عيدي أمين.

يدور حوار بين هؤلاء الزعماء يقول فيه أحدهم:

قتل بعض الرهائن ليس بمشكلة (الحديث عن الرهائن الأمريكيين الذين احتجزوا في السفارة الأمريكية في طهران عام 1980 في أعقاب قيام الثورة الايرانية).

يرد من يحمل شكل عيدي أمين: الأمريكان ليسوا بشيء ذي أهمية والأمريكان يجب أن يعانوا ويعذبوا...

يقول من يقوم بدور ياسر عرفات: دي مش كفاية جنرال أمين يجب أن نجبرهم ليذهبوا إلى دمشق حتى نشركهم في عملية السلام:

يقول من يلعب دور القذافي: كلام فاضي هذا الحل ليس دموياً لليبيا إني أقول يجب أن نفعل شيئاً في واشنطن ونيويورك.

يرد من يمثل دور غورباتشوف: ماذا تقول!! هكذا تضيع ثلاث سنوات من العلاقات العامة الجيدة، الأمريكان يعتقدون أني رجل رائع، وفي بعض استطلاعات الرأي حصلت على شعبية أكثر من رئيسهم.

يقول من يمثل دور الخميني: أيها السادة... أيها السادة.. كل هذا لن يجعلنا نتقدم إذا لم نفعل شيئاً هذا الأسبوع، يجب على الأقل أن نفكر في عمل ارهابي واحد يُري العالم كله أن الولايات المتحدة ذلك الشيطان الكبير... دولة ضعيفة.. شعب ضعيف، شعب خُلِق للإبادة... بقر... لا... لا يستطيعون القتال.

وعند هذا المشهد يظهر شخص ملثم يقوم بصب الماء في كأس أمام الخميني ثم يقوم هذا الشخص برفع اللثام عن وجهه ويلكم الخميني بضربة قوية ويرش الماء على غورباتشوف، ويبدأ بكيل اللكمات والركلات إلى جميع هؤلاء (القادة) وبعضهم يموت من أول ضربة تلقاها، ويقوم بالقاء آخرين من الشباك.

وبعد أن ينتهي من قتل الجميع يظهر شخص يسأله من أنت؟! فيجيب وهو يهم بمغادرة الغرفة: أنا فرانك ريبين من القوات الخاصة (الأمريكية).

وفي فيلم بعنوان «المنقذ» يحكي قصة بطل امريكي يدعى جوشا ويعمل مسؤول أمن في السفارة الأمريكية في فرنسا.

وعد جوشا زوجته وابنه بأن يصحبهما إلى احدى دور السينما مساء، ولكن اخبارية تصل اليه بنية إحدى الجماعات الإسلامية القيام بعملية ارهابية فيضطر جوشا إلى ترك أسرته والتوجه إلى عمله مرة أخرى، وفي طريقه إلى السفارة الأمريكية (مكان عمله كمسؤول أمن) يحدث تفجير قوي في المطعم الذي ترك فيه زوجته وابنه وتظهر صورة مروّعه للقتلى والدمار الذي أحدثه الانفجار، مصوراً ألسنة النيران المتصاعدة. ويكون بين القتلى زوجته وابنه وعندما يرى زوجته وابنه ضمن القتلى يصرخ بأعلى صوته طالبا المساعدة.

أمام هذه الفاجعة يقرر جوشا الانتقام ممن ارتكبوا هذه الجريمة وهم حسب الفيلم المسلمون، فيذهب مباشرة إلى أحد المساجد وتظهر صورة المسجد وعدد كبير من المصلين فيه يؤدون صلاة الجماعة فيدخل جوشا إلى المسجد ويقتل جميع المصلين بإطلاق النار عليهم.

ثم يقرر جوشا مغادرة فرنسا ليعمل مرتزقاً في الجيش الصربي أثناء حربه ضد مسلمي البوسنة، ويتعرف جوشا أثناء خدمته في الجيش الصربي على جندي صربي قام بقطع أصابع امرأة مسلمة بالسنجة وأخذ خاتمها.

- يسأل جوشا هذا الجندي لماذا فعلت ذلك؟!
- يجيبه زميله لأنها مسلمة بنت زانية ويقوم بلبس خاتم المرأة المسلمة وهو ملطخ بالدماء.

ثم يُعيّن جوشا وزميله الصربي مسؤولان عن النساء الصربيات اللاتي اغتصبهن المسلمون!

ثم يحكي الفيلم قصة إحدى الصربيات التي اغتصبها المسلمون، ويظهر أن أهل هذه المرأة حاولوا قتلها لأنها حملت من مسلم! وحاول زميل جوشا الصربي قتل جنين هذه المرأة لنفس السبب لأنه جاء من مسلم؟!

ولكن جوشا يتعاطف مع هذه المرأة ويضطر إلى قتل زميله دفاعاً عنها فينقذها مع جنينها ويسافر بها إلى الولايات المتحدة.

ويظهر الفيلم المسلمين بأنهم قتلوا أهل هذه المرأة بعد ذلك وقاموا بشنق أحد القساوسة!

هوليود تتولى كِبَر الصورة النمطية

تعتمد الدول في تنفيذ سياساتها على قوانين:

1. القوة الصلبة كالقوة العسكرية...
2. القوة الناعمة والتي تستطيع الدولة عن طريقها تنفيذ سياساتها وتحقيق أهدافها دون إثارة أو صناعة أعداء لها أو اجتذاب كراهية ضدها، بل تصنع الموافقة والتأييد لسياساتها وتعزز مصداقيتها وتضفي الشرعية على أهدافها. وللقوة الناعمة وسائل كثيرة كالتعليم، والبعثات العلمية والمساعدات... ولا شك أن الإعلام - وخاصة المرئي المسموع منه- من أكثر وسائل القوة الناعمة أهمية وتأثيراً.

وقد لعبت صناعة السينما في الولايات المتحدة دورا كبيرا في نشر الثقافة الشعبية الأمريكية والترويج لقيمها وخاصة قيم الحرية والفردية.

وهكذا تم استغلال الأفلام السينمائية إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، وكان لذلك أكبر الأثر في تحقيق أهداف الدول وتنفيذ سياساتها، حيث كان يتم من خلال الأفلام السينمائية إرسال رسائل سياسية أو تغيير ثقافة أو قيم معينة، أو الترويج لايديولوجيا أو سياسات أو مواقف معينة.

وتعبيراً عن الأثر الكبير للسينما في تحقيق وتنفيذ سياسات الغرب في هذه الحرب (الباردة) قال جوزيف ناي:

«فالبرامج الدعائية والثقافية السوفياتية التي كانت تديرها الدول لم تستطع أن تضاهي تأثير الثقافة الأمريكية الشعبية التجارية في المرونة والجاذبية. فجدار برلين كان قد تم اختراقه بالتلفزيون والأفلام السينمائية قبل زمن طويل من سقوطه في عام 1989. وذلك أن المطارق والجرافات ما كانت لتنتج لولا انتقال الصور المبثوثة من ثقافة الغرب الشعبية على مدى سنوات طوال فاخترقت الجدار قبل أن يسقط»[1].

1- جوزيف ناي، القوة الناعمة ص83- ص84.

فالأفلام السينمائية التي أصبح المواطن في دول المنظومة الاشتراكية – في حينه- يشاهدها رغم الرقابة الصارمة هناك بيّنت له حقيقه الحياة في الدول الغربية وسعة حرية وعيش المواطن في هذه الدول مما لا يتوفر مثله أو بعضه للمواطن في الدول الاشتراكية، وبالتالي فتحت عيونهم على صعوبة الحياة التي يعيشونها وعلى عدم صحة الصورة السلبية للحياة الغربية التي كان الإعلام في الدول الاشتراكية يبثها.

وفي صناعة الصور السلبية النمطية للعرب والمسلمين وشيطنتهم تم تسخير كافة وسائل الإعلام في الغرب عامة وفي الولايات المتحدة خاصة لذلك.

ولخطورة السينما ودورها الكبير في صناعة وتوجيه العقول وصناعة الرأي العام فقد تم تسخيرها في قولبة صورة العربي والمسلم في قالب سلبي وحصرها في إطار مشوه ساهم في زيادة كراهية الغرب للعرب والمسلمين وفي النفور منهم.

وفي الولايات المتحدة كانت هوليود بامكاناتها المالية والفنية المذهلة وبتوجهاتها الصهيونية في معظم انتاجها هي الذراع الضارب في ذلك، حيث تولت حصر صورة العرب والمسلمين في كل قالب من شأنه الدفع باتجاه ازدراء العرب والمسلمين والسخرية منهم والاساءة اليهم!

وهو دور لعبته هوليود ضد كل أعداء الولايات المتحدة خاصة والغرب عامة.

وقد قال الامير تركي الفيصل:

«إن الشرير اليوم في أفلام هوليود هو العربي أو المسلم. فنحن نُصَوَّر على أننا جميعاً بن لادن الذي يتولى قتل الأمريكيين لكونهم أمريكيين ليس إلا... وأعتقد أن هذا موقف عنصري ضد العرب والمسلمين»[1].

وقد قال الشاعر كارل ساندنيرغ عن أهمية هوليود:

«ماذا؟ هل هوليود أهم من هارفارد (أقدم وأعرق جامعة أمريكية) والجواب أن هوليود ليست لها نظافة هارفارد، ولكنها مع ذلك أقدر من هارفارد على الوصول إلى أمرٍ أبعد»[2]

1- صحيفة الرياض النسخة الالكترونية يوم 13/ 6/ 2002.

2- القوة الناعمة ص 81.

وهي مقارنة لا تحتاج إلى تعليق!

وقد لعبت هوليود في خدمة السياسة الأمريكية أدوراً متقلبة ومتناقضة تبعاً لتقلب وتناقض هذه السياسة التي عكست مصالح الولايات المتحدة، فقد تولت شيطنة الهنود الحمر مبررة إبادتهم وتهجير من تبقى منهم خارج الولايات المتحدة وإتاحة الفرصه لاستيطان المهاجرين الجدد.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية دعت هوليود عبر أفلامها إلى:

- محاربة نزعة العزلة الأمريكية بابتعاد الولايات المتحدة من الاشتراك في الحرب، وقد لعبت هوليود في ذلك دوراً تحريضياً كبيراً بهدف دفع الولايات المتحدة للاشتراك في الحرب لدرجة أن بعض دور السينما الأمريكية داخل الولايات المتحدة امتنعت عن عرض بعض هذه الأفلام في المدن التي يتواجد فيها الأمريكان من أصل ألماني! ومن هذه الأفلام: فلم «وحوش برلين» الذي انتج عام 1939.
- شيطنة الألمان وتشويه صورتهم لتبرير دخول الولايات المتحدة الحرب ضدهم فقد صورت الأفلام السينمائية الألمان بصورة رجال عصابات ومنتهكي حقوق النساء.
- رفع معنويات الهنود الأمريكان وحلفائهم في الحرب وبيان شجاعة وانتصار جنود الحلفاء.
- وبعد انتهاء الحرب وبدء الحرب الباردة وتحول بعض أعداء الولايات المتحدة إلى أصدقاء لها وبالعكس بدأ دور جديد لهوليود:
  1- شيطنة الاتحاد السوفياتي بعقيدته الشيوعية.
  2- تلميع صورة الألمان كأصدقاء للولايات المتحدة.

2- التلفزيون

والتلفزيون باعتماده على الصورة والصوت والترجمة من لغة إلى أخرى يعتبر وسيلة إعلامية وتعليمية وثقافية وترفيهية... فعّالة تجمع بين ميزات وسائل إعلامية عدة كالسينما والإذاعة والصحافة.

وللتلفزيون بوظائفه المتعددة ميزات منها:

- وسيلة اعلامية جماهيرية واسعة الانتشار يستطيع المشاهد تشغيله والاستفادة منه في أي وقت دون جهد أو تكلفة كبيرة.
- يمكن للمشاهد متابعة الأخبار أولاً بأول والبقاء على علم بكل ما يحدث في العالم عن طريق التنقل بين القنوات الفضائية ومتابعة نشراتها الاخبارية المستمرة.
- اعتماده على الصورة يعطى الأخبار والبرامج مصداقية كبيرة ويجعلها أكبر تأثيراً في جذب المشاهد وزيادة تركيزه وبالتالي تعظيم أثر التلفزيون وبرامجه.

كما أن هناك سلبيات صاحبت انتشار التلفزيون كأثره على الترابط الأسري وعن الأطفال...

وليس هنا مجال التفصيل في ذلك...

وقد تم استغلال التلفزيون - ببرامجه المختلفه - في الغرب في تشويه صورة العرب والمسلمين وتنميطها، وفي ترسيخ هذه الصورة في الأذهان هناك.

وعموماً فإن صورة العرب والمسلمين في التلفزيونات الغربية لا تختلف عن صورتهم في السينما فهم:

مضاربون يسخرون ثرواتهم لشراء العقارات في أمريكا ويتسببون في ارتفاع الأسعار وانخفاض مستوى المعيشة هناك.

وهم غير متحضرين وبرابرة، وتجار للرقيق الأبيض وهم أثرياء جمعوا ثرواتهم من بيع النفط الذي هو عصب الحضارة الغربية، وبالتالي فإن سيطرتهم على آبار النفط والتحكم في انتاجه هو سبب الأزمات الاقتصادية في العالم، وبالتالي سبب تدهور الأحوال الاقتصادية والمعيشية هناك.

وتزداد خطورة سيطرة العرب على آبار النفط - كما تصور في الغرب- من كون العرب - كما يدعى - معادين للحضارة الغربية ولأسلوب الحياة هناك، إضافة إلى تصويرهم كأعداء للمسيحيين.

وامعاناً في الاساءة للعرب والمسلمين وفي تشويه صورتهم فإنه لا يتم إظهار صورتهم إلا بلباسهم التقليدي وملتحين ويحملون في معظم الأحيان الخناجر.

كما لا يتم اظهار المرأة العربية الا بالنقاب ولا تؤدي الا دور راقصة مأجورة للترفيه عن الرجال:

اضافة إلى صفات أخرى ذميمة تلصق بالعرب والمسلمين سنتعرف عليها من خلال عرضنا لبعض البرامج المسيئة والتي تشوه صورتهم.

فقد قدمت كثير من القنوات التلفزيونية صورة قبيحة غير واقعية للعرب عن طريق اظهارهم كأثرياء مبذرين ومسرفين ومبددين ثرواتهم على نزواتهم وشهواتهم.

وقد عرضت بعض القنوات البريطانية لظاهرة استخدام بعض أثرياء العرب وأبنائهم لسيارات السباق في الشوارع الضيقة وفي الأحياء الراقية في لندن بما يزعج القاطنين في هذه الأحياء ويسيء للعرب ولقضاياهم.

وسنتعرض لشيء من التفصيل لذلك عند الحديث عن دور العرب ومساهمتهم في صنع الصورة السلبية لهم في الغرب.

كما ساهم التلفزيون الالماني حول معاملة السعوديين للاجئين السوريين وما يدور حول زواج بعض السعوديين(*) من قاصرات سوريات مستغلين حاجة اهاليهن والظروف الصعبة التي يمر بها المهجرون السوريون.

جاء في التقرير أن الشيوخ السعوديين يتاجرون بهؤلاء الفتيات ويتزوجون بفتيات صغيرات لمدة قصيرة جداً ثم يطلقوهن... ويظهر أثناء عرض التقرير صوراً لرجال بالدشاديش والكوفيه الحمراء. ويظهر في التقرير امرأة تدعى (أم ماجد) تعمل كوسيط، وتظهر مع عدد من الفتيات السوريات والمنقبات وتعرض عليهن رجلاً سعودياً عمره سبعون عاماً يريد الزواج بفتاة لا يتجاوز عمرها ثلاثة عشر عاما!.

وبعد البحث تجد (أم ماجد) فتاة عمرها أربعة عشر عاما تقبل بذلك! وتظهر معدة التقرير ويقف خلفها عدد من الفتيات السوريات صغيرات السن لا يتجاوز عمر أكبرهن عشر سنوات بل وتظهر في الصورة فتاة بعمر لا يتجاوز خمس سنوات.

(*) بالطبع لا تقتصر الاساءة بل لا تقصد الاساءة في هذا التقرير للسعوديين فقط بل هي اساءة وتشويه للعرب والمسلمين بل وللإسلام نفسه!.

فتقول معدة التقرير (وهنا يظهر المغزى من التقرير):

«تحاول منظمات حقوق الإنسان في المخيم (مخيم الزعتري الذي يضم مجموعات من اللاجئين السوريين في الأردن) أن توقف تجارة الفتيات لكنهم يفشلون في ذلك بسبب أن الشريعة الإسلامية تسمح بتزويج الفتيات الصغيرات في العمر إذا وافق الامام المسؤول عن هذا الزواج".

وهكذا يتم تصوير استغلال حاجة اللاجئين السوريين والمتاجرة ببناتهم- إن كانت صحيحة اصلا- على أنها تتم بحماية ورعاية الشريعة الإسلامية التي تبيح ذلك وتقف حائلاً بين منظمات حقوق الإنسان وبين وقف هذا الاستغلال!

فأي انطباع سيئ سيتركه هذا التقرير فيمن يشاهده على شاشات التلفزيون الالماني؟!

وأي صورة سوداوية داكنة ستتكون وتتعزز في أذهان المشاهدين هناك عن العرب والإسلام؟!

لا شك أن هذا التقرير بطريقة عرضه سيعزز صورة العرب الهمجيين الشهوانيين خاطفي النساء وتجار الرقيق الابيض... وصورة المرأة المظلومة مهضومة الحقوق التي لا ينظر لها إلا على أنها سلعة تباع وتشترى.

وصورة الشريعة الإسلامية التي تهضم حقوق المرأة بل وتقف حائلا دون تحريرها وحصولها على حقوقها وانسانيتها!(*)

وقد عرضت قناة تلفزيونية بلجيكية ناطقة باللغة الفرنسية في برنامج تقدمه بعنوان «قضايا اليوم» آراء وأفكارا سلبية عن المسلمين وقد اعتادت هذه القناة على تقديم مثل هذه الصورة السلبية للدين الإسلامي وللمسلمين.

وقد أثار ذلك موجة من الغضب والاحتجاج حتى من غير المسلمين، فقد صرح «فيليب حوري» مساعد رئيس «حزب فولن» ورئيس بلدية مولنبك وهي منطقة

(*) وقد عرض التلفزيون الاسرائيلي تقريرا مساء يوم 21/ 11/ 2013 اعدة الصحفى الاسرائيلي «هنريكا» الذي قام بزيارة مخيم الزعتري عن نفس الموضوع وبنفس النوايا الخبيثه...
وهذا دليل على أن التقريرين قد خرجا من جحر واحد وسنعرض للتقرير الاسرائيلي في الصفحات القادمة.

يكثـر فيهـا المـسلمون: بـأن تنـاول قنـوات التلفزيـون الـوطني لموضـوعات العرقيـة والإسـلاموفوبيا أصبح لا يطـاق ولا يمكـن قبولـه. وأضـاف قولـه: أن هـذا البرنـامج يحـاول ببعض النمـاذج الـسيئة غير المقنعـة أن ينـشر صـورة سيئة عـن المـسلمين وسـط الرأي العام. وانتقد «حورى» معدي البرنامج المذكور لأنهم لهم يذكروا شيئاً ايجابياً عن المسلمين.

كمـا انتقـدت «مـاهيفور ازدمـير» نائبـة عـن منطقـة بروكسل العامـة وهـي مسلمة من أصل تركي هذا البرامج وقالت:

إن البرنـامج يعكـس صـورة غير أخلاقيـة عـن المـسلمين البلجيكيين، وهـذا مخالف لحيادية التلفزيون في الدولة[1].

وفي إطار تشويه صورة العرب ورسم صورة سلبية لهم، ومساهمة من القنـوات التلفزيونية الغربية في ذلك، فقد أجرت إحدى هذه القنوات مقابلة مع باحثة هولنديـة اسمها «انتونيت فليخر» Antoinatte Vlieger حول رسـالتها التي أعـدتها لنيـل درجـة الـدكتوراة والـتي كـان موضـوعها عـن المـشاكل الـتي تعانيهـا الخادمـات في الـبلاد العربية وخاصة الخليجية منها، وقد زارت السعودية أثناء إعـداد الرسـالة. وقـد حضـر المقابلة عدد من الباحثين إضافة إلى جمهور كبير من الحضور.

قالت الباحثه: «إن عدد الخادمات في دبي يساوي عدد الاماراتيين الآن فكـل امـاراتي لـه خادمتـه الخاصـة أولئـك الرجـال الـذين تـشاهدوهم علـى التلفـاز بـأثوابهم البيـضاء النقيـة يبـدلون ملابـسهم أربـع مـرات في اليـوم... فهـم يحتـاجون لمـن يغـسلها ويكويهـا... والنـساء أيضا في أثوابهن يحببن تغيير الملابس أربـع أو خمـس مـرات في اليـوم... إنهـم أنـاس مترفـون ألـيس كـذلك؟! مـدللون... وتحـدثت عـن الاسـاءة إلى الخادمات من حيث عملهن طيلة أيام الاسبوع ولمدة سبع عشر ساعة يومياً واحتجـاز جـوازات سـفرهن مقابـل مـئتي دولار شـهرياً، إضـافة إلى تعرضـهن للـضرب والاغتصاب...

1- شبكة الالوكة.

قالت الباحثة «في السعودية يُفصل بين الجنسين والرجال غالباً لا يرون النساء غير الأقارب، وعندما يبلغ الشباب الثامنة عشر يثورون جنسياً فتستحب الأمهات أن يغتصبوا الخادمة من اغتصاب بناتهن (أي أخواتهم)!! فالخادمات لسن بشراً في نظرهن"!!

فهل هذه الصورة القبيحة موجودة فعلاً في السعودية؟! وإن وجدت فهل تكون بهذه الصورة الداكنة: بأن تفضل الأم أن يغتصب ابنها الخادمة بدلا من اغتصاب أخته؟!

هل تتم عملية الاغتصاب بهذه السهولة وتحظى بالقبول طالما أنها لم تكن ضد الاخوات؟!

كلا فلا يزال مرتكب هذه الكبيرة منبوذاً في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ولن تجد من يقبل بها كما تصور هذه الباحثة!

إنه تشويه لا يقصد به مجتمع دولة عربية بعينها، بل هي اساءة للعرب، كل العرب، وللمسلمين كل المسلمين، فما هذه الصورة إلا اسقاطاً لتصورات غربية مغرضة يأمل أصحابها ويعملون دائبين على إيجادها في مجتمعات العرب والمسلمين.

وحول سؤال وجه لها هل يقارن (السعوديين) الخادمات بحيوانات المنزل؟!

قالت: نعم كما انه عندما نخرج نحن هنا (الغربيين) من المنزل نغلق على كلابنا فهم هناك (السعودية) يفعلون نفس الشيء بالخادمات...

ويعيد السائل سؤاله بقوله: إنهن عبيد أليس كذلك؟

تجيب: أجل بالتأكيد استعباد!

وهذا كما هو ملاحظ كلام مغرض لا هدف له سوى ادعاء جلافة العرب والمسلمين وقسوتهم في تعاملهم مع الآخرين! واستغلال ضعف الضعفاء والاستقواء عليهم!

وهذا ترسيخاً لما استقر في الذهن الغربي من صورة سلبية ظالمة للعرب والمسلمين.

وبعد عرضها صور لحالات تبين تعرض الخادمات للضرب والتعذيب، وجه لها سؤال: أين يمكن لهؤلاء الفتيات اللجوء في حال تعرضهن للضرب؟

أجابت: بعضهن تهرب إلى سفارة بلدها ولكن البعض لا ملجأ لها!

قال لها السائل: في بلد غربي يلجأ المرء إلى الشرطة...

قالت الباحثه: هناك (في السعودية والامارات...) فإما أن يقوم رجال الشرطة باغتصابك لأنك ضائعة أصلاً أو يعيدونك إلى رب عملك ويقولون له: هذا مخجل فخادمتك تمكنت من الهرب! أحكم غلق الابواب!

عقب السائل: مقارنة بالكلب الهارب.

تجيب: نعم.

وحول الزيارة التي قامت بها للسعوديه أثناء إعدادها لرسالة الدكتوراة وجه لها سؤال مغرض خبيث:

ألم يكن الأمر صعباً عليك كامرأة شقراء جميلة تزورين تلك المنطقة بين أولئك الرجال الذين عبرت عنهم بكونهم ثائرين جنسيا؟!

أجابت: أجل لقد عملت في مكتب به ستون رجلاً؛ رجال فقط، البعض كان متحضراً يسلمون عليّ ويناقشونني، لكن البعض كان يعتقد أنه من الخجل أن ينظر إلي مثل هؤلاء الرجال، دائماً بحاجبين كثيفين فيما يبدو أكثر قسوة (وعند هذا القول تظهر صورة لرجال ملتحين ويلبسون الدشاديش ويضعون الكوفيات بدون عقال...) وتتابع الباحثة قولها يعتقد هؤلاء الرجال أنه كلما كانت النظرة أكثر قساوة كلما كان مظهرهم أكثر خشوعاً... وليس حول رؤوسهم الخيط الاسود (العقال) وهذا يعني أنه (الرجل) من النوع الأكثر سوءاً.

وفي كلامها السابق دس وافتراء واضحين وهو ما يتضح أيضا من الأسئلة الموجهة اليها!

فهل من المستغرب أن تقوم امرأة شقراء بزيارة السعودية (والمقصود بلاد العرب كافة) دون أن تخشى على نفسها الاختطاف أو الاغتصاب أو القتل...؟!

أهذه صورة حقيقية؟! وهل تتعرض النساء الأجنبيات لشيء من هذا عند زيارتهن للسعودية أو لأي دولة عربية أخرى؟!

ألا يقصد من السؤال والجواب تأكيد صورة الرجل العربي المفتراة في الذهن الغربي كزير النساء شهواني لا هم له إلا ملاحقة النساء؟!

وهل صحيح أن نصيب كل من تصل إلى الشرطة هو الاغتصاب؟ هل يحدث ذلك في بلادنا فعلا؟ أم أنه الدس والتشويه ليس إلا؟

وللنظر إلى السخرية في حديثها من العرب كوصف الرجال بالعبوس والقسوة وخاصة من لا يضعون (الخيط الاسود) على الرأس وهو العقال في اشارة واضحة إلى الكثير من علماء وشيوخ المسلمين وهم اسوأ الرجال كما قالت!

وبهذه الأكاذيب والافتراءات يظهر جلياً الهدف الحقيقي من كلامها الذي جاء في هذه المقابلة والذي ملأته دساً وطعناً في العرب والمسلمين انسجاماً مع الأحكام المسبقة الراسخة في الذهن الغربي تجاه العرب والمسلمين!

وهل جاءت رسالتها للدكتوراة حول معاناة الخادمات في البلاد العربية من باب الحرص على هؤلاء الخادمات على حقوقهن؟! أم كانت مساهمة في تدمير صورة العرب والمسلمين وزيادتها سوءاً وظلاما في الغرب؟!

وليت حرائر فلسطين والعراق وسوريا وأفغانستان يحظين بما تحظى به الخادمات الفلبينيات والسيرلانكيات...؟!

وكذلك ساهمت برامج الأطفال التي تعرض في التلفزيونات الغربية في صناعة وترسيخ صورة العرب والمسلمين المشوهة.

وقد تبين أن الطالب الأمريكي يقضي من الوقت أمام الشاشة الصغيرة (التلفزيون) أكثر من الوقت الذي يقضيه على مقاعد الدراسة.

فالطفل الأمريكي في مرحلة ما قبل الابتدائية يشاهد التلفزيون بمعدل ثلاثين ساعة اسبوعياً.

كما أن معظم المراهقين يقضون خمس وقت يقظتهم أمام شاشة التلفزيون. وحين ينهي الطالب المرحلة الثانوية يكون قد أمضى اثنين وعشرين ألف ساعة في مشاهدة التلفزيون، مقابل أحد عشر الف ساعة قضاها في المدارس[1].

1- د. اديب خضور، صورة العرب في الاعلام الغربي ص 45.

وفي ضوء ذلك يمكن تصور خطورة هذا الجهاز في المجتمع الغربي خاصة برامج الأطفال وما يبث فيها من سموم تسيئ إلى العرب والمسلمين وإلى قضاياهم المصيرية وترضع الطفل وتغذي الشباب هناك بكل ما يساهم في قولبة صورة وسمعة العربي والمسلم.

وكمثال على ذلك مسلسل «طرزان» ومسلسل The speed ومسلسل سوبر مان التي تسيء إلى العرب إساءات بالغة وتصورهم على انهم متخلفون يعيشون في الصحراء بكل ما تعنيه من بداوة وبدائية وسذاجة.

وهذه الصورة السلبية التي تغرس في أذهان الأطفال الغربيين تشكل الأساس الذي يبني عليه كامل الصورة السلبية للعرب والمسلمين في المراحل التالية من العمر حيث تساهم كافة وسائل الإعلام والمناهج الدراسية والموسوعات العلمية... في تدعيم ما رسخ في ذهن الطالب من صورة سوداوية عن العرب والمسلمين.

3- المسلسلات الكرتونية والرسوم الكاريكاتورية

وقد سارت هذه المسلسلات على نفس الطريق الذي سارت عليه السينما ووسائل الإعلام والمناهج الدراسية في شيطنة العرب والانتقاص من كرامتهم والسخرية منهم وحصرهم في إطار صورة سلبية مهينة فقد وجد منتجو أفلام الكرتون في كتاب ألف ليلة وليلة مادة دسمة غنية لإنتاج وتوظيف أفلام للأطفال تؤكد على الصورة الشنيعة للعرب وترسخها في العقلية الغربية.

ففي فيلم «علاء الدين والمصباح السحري» المستوحى من كتاب ألف ليلة وليلة يتم تصوير علاء الدين على أنه لص محترف يعتمد في حياته على السرقة والكسل ومصاحبة الأشرار بل ويسخر من العمل الجاد والشريف ويسخر ممن يدعو اليه (بينما هو في القصة الأصلية يعمل من أجل إعالة والدته).

ويبدأ الفيلم بأغنية تسيء للعرب وتقدح في أخلاقهم وتؤكد على الصورة الكالحة لهم في الغرب فهو يقول:

«أنا من بلاد يقطعون فيها أذنك إذا لم يعجبهم وجهك، وهذه همجية ولكن هذا وطني...»

وفي الفيلم اشارات إلى أن القوة التكنولوجية تكون شريرة بأيدي العرب وذلك من خلال اظهار جعفر بمظهر العربي بأنفه المعكوف وهذا رمز العربي الشرير في الذهن الغربي واظهار أن قوة الجن السحريه تصبح شراً بين يديه... في حين أن نفس القوة تصبح عنصر خير حين يستخدمها الجندي الأمريكي...

وهكذا يرسخ في ذهن الطفل البريء أن العرب قوم متوحشون يعتدون على الناس دون سبب كأن لا يعجبهم شكل الإنسان...

وهم قوم شريرون حتى أن الجن يتعلم منهم الشر والاساءة، في حين أن هذا الجن نفسه يتحول إلى عامل خير في يد الغير وخاصة الأمريكي.

فأي اهانة وأي تنقص وذم هذا؟!

وفي فلم «القط الطائر» يظهر العرب قتلة مجرمين يتحدث الفيلم عن سكان كوكب جميعهم من القطط، وقد بلغت هذه القطط مستوى متطور من الحياة والتقدم العلمي لدرجة أن سكان الارض من البشر يظهرون أمامهم متخلفين جداً.

وفي احدى الزيارات التي يقوم بها مجموعة من القطط إلى الأرض يتخلف قط بسبب تعطل مركبته وهذا القط يملك اسوارة الكترونية يستطيع بها تحقيق المعجزات، فيستعين هذا القط بعالم أمريكي لمساعدته في تصليح المركبة المعطلة. ويوافق العالم الأمريكي على أن يمكنه القط من حل معادلات علمية للقضاء على الفقر والجوع في العالم الثالث.

ولكن!... تظهر فجأة عصابة عربية تحمل اسماء محمد، أحمد، زكريا، علي... ويتحدثون بلهجه بدوية يحاولون الاستيلاء على هذه الاسوارة صانعة المعجزات. وبعد مغامرات قوية يتدخل الجيش الأمريكي ويلقي القبض على هؤلاء العرب وينتصر القط!!

وهكذا ففي هذا الفلم الخيالي:

- صورة الأمريكي كشخص نبيل متفان في خدمة البشرية، يحاول انقاذ سكان العالم الثالث من الفقر والعوز(*)
- صورة الإنسان العربي وتحديداً المسلم - وذلك من خلال أسماء الأفراد العصابة- هو لص همجي بدوي يعيق عمل الخير ويؤذي الغير...
- التأكيد على نبل الأمريكي وصورته المشرقه وقوته، وجبن العربي المسلم وانهزامه أمام قوة (الحق) الأمريكي.

وهي عين الصورة النكدة التي جلبت السخرية من العرب والاستهزاء بهم!

وهو نفس الهجاء الفاحش للعرب والمسلمين الذي عرفناه من وسائل الإعلام والمناهج الدراسية في الغرب ومن قبل في كتب المستشرقين وسيرة الرحالة!

وفي فيلم «رامبو يقام الإرهاب» يصور مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين يقودهم مجرم مجهول الهويه اسمه «وورهاوك» وهذه المجموعة تتخد من العالم العربي وبعض الدول الأخرى مراكز للممارسة نشاطها.

وتقوم هذه المجموعة باختطاف الأطفال وتطالب بدفع فديه لاطلاق سراحهم! كما تقوم هذه المجموعة بتلغيم الآثار والمعالم الحضارية في بعض البلدان مثل تمثال الحرية ايفل وتهدد بنسفها إذا لم يتم الاستجابه إلى مطالبتها بدفع فدية مالية... ويبين الفيلم أن هذه المجموعة تستخدم الأموال التي تحصل عليها بالابتزاز والإرهاب في اقامة معسكرات لتدريب الإرهابيين وتجنيدهم للقيام بمزيد من أعمال الخطف والابتزاز.

ويظهر الفيلم رامبو الذي وضع نفسه في خدمة البيت الأبيض في أمريكا وهو يقوم بتخليص الأطفال المخطوفين وهزيمه هذه العصابة الخطرة.

وفي هذا الفيلم تشويه للعرب وكفاحهم:

(*) في حين أن الولايات المتحدة بسيطرتها على المؤسسات الاقتصادية الدوليه وسياساتها الاستعمارية هي السبب الرئيسي فيما تعانيه معظم دول العالم الثالث من فقر ومجاعات.

- تشويه نضال الشعب الفلسطيني من أجل تحرير وطنه فلسطين، وبتصوير الفلسطينين كعصابة تقوم بالقتل وتمارس الإرهاب من أجل المال فقط، وبالتالي فالتصدي لهم واجب.
- تشويه صورة العرب والفلسطينيين بتصويرهم على أنهم ارهابيون دوليون ولا يقتصر نشاطهم المسلح على إسرائيل فقط بل يطالب كافة بلدان العالم الحر بجمع المال لدعم الإرهاب! وتقوية الإرهابيين!

وبالتالي فليست إسرائيل وحدها هي من تعاني من أذى هؤلاء بل جميع بلدان العالم معرضة لتلقي ضربات هؤلاء القتلة والإرهابيين وهكذا فالحرب ضد الإرهاب مسؤولية جميع دول العالم!

- وقوف أمريكا إلى جانب الضعفاء ودعمها لمطالبهم العادلة في مواجهة قوى التطرف والظلام.

4 - وللألعاب في تنميط صورة العرب والمسلمين دور...

للألعاب دور كبير في تشكيل عقل ووجدان الطفل بما ترسخه في ذهنه من قيم ومفاهيم سلبية وايجابية. وقد صمم دغاركيون لعبة فيدو باسم «رزيدت ايفل» ومعناها «الشيطان المقيم» وقد انتجتها شركة ألعاب يابانية.

وتقوم اللعبة على:

1. الاستهزاء برموز الدين الإسلامي وتشويهها كالقرآن الكريم والكعبة والمسجد النبوي...

ويظهر ذلك من خلال:

- ما يظهر في هذه اللعبة من أن يكون الانطلاق يبدأ بتفجير أحد المساجد مما يدفع الطفل بشكل لا ارادي ليقوم بهذه المهمة وهو ما يغرس في ذهنه أن التخلص من رموز الإسلام وعباداته شرط ضروري للتقدم.
- القاء القرآن الكريم على الأرض واطلاق النار عليه والمرور من فوقه للانتقال من مرحلة إلى أخرى.

وهو ما يوحي للطفل ويغرس في ذهنه أن التغيير والتطوير لن يتم الا بالتخلي عن القرآن بل اعدامه والتخلص منه نهائيا.

- وجود مبنى يشبه الكعبة في هذه اللعبة ويحاول «كريس ريدفيلد» وهو الشخصية الرئيسية فيها أن يدخل إلى هذا المبنى ويقتل ما بداخله لأنهم شياطين.

وهو ما يشعر الطفل بأن الكعبة قبلة المسلمين ما هي إلا ملجأ ومسكناً للشياطين وبالتالي لا بد من التخلص منهم بأي ثمن.

- وجود مسجد في هذه اللعبه - يشبه المسجد النبوي وضع على بابه علامة للشيطان.

وهي اشارات واضحة لا تحتاج إلى تفسير بل هي اساءات وتشويه لا تحتمل التأويل.

2. تعتمد اللعبة على الفنون القتاليه مع ما يعنيه ذلك من خلق شخصية عدوانية بتنشئة الطفل على القتال والعنف.

وهي في ذلك تكرس صورة المسلم كمتطرف وارهابي لا يجيد إلا القتال والغزو وبث الرعب في نفوس الناس.

5 - الدعايات التجارية ومقاطع الفيديو

فقد ساهمت الدعايات التجارية التي تصمم للترويج للمنتجات والسلع في تشويه صورة العرب والمسلمين وزيادتها سوداوية وقباحة!

ففي دعاية كشركه «كوكا كولا» تظهر صورة عربي بدوي وسط الصحراء يلمح من بعيد زجاجة كوكاكولا ضخمة فيحاول أن يظفر بهذه الغنيمة فيسير باتجاهها وخلفه قافلة جمال، وبالطبع يجد صعوبة في ذلك بسبب بطء المسير وتوقف الجمال مرات كثيرة أثناء المسير واضطراره لحثها على السير.

ولكن في جهة أخرى تكون هناك مجموعة من رعاة البقر تقوم على مسابقة هذا العربي البدوي للوصول إلى الزجاجة، إضافة إلى مجموعة من الراقصات يقدن باصاً ومجموعة من راكبي الدراجات يتجهون نحو الزجاجة.

وبالطبع تصل جميع المجموعات إلى الزجاجة قبل العربي الذي يَجُر جماله خلفه...

دعاية أخرى لشركة «فوكس فاجن» يظهر فيها رجل عربي يلف كوفية حول عنقه ويدخل في السيارة ويسير فيها إلى مكان مزدحم بالمدنيين ليقوم بعملية تفجيرا

وعندما تتوقف السيارة في المكان المنوي القيام بعملية التفجير فيه ويحاول تفجيرها يظهر الانفجار على شكل وهج فقط ولا يخرج من السيارة لاظهار شدة وصلابة السيارة ومتانة صناعتها

6 - الصحف والمجلات

لعبت الصحف والمجلات كوسائل اعلام دوراً كبيراً في تشويه صورة العرب والمسلمين وهو دور لا يقل خطورة عن الدور الذي لعبته وسائل الإعلام الأخرى في هذا المجال.

ويعتمد الإعلامي الغربي في صياغة الأخبار وطريقة عرضها على مفاهيم وتصورات وموروثات تسكن العقل الغربي وتحدد اتجاهاته مما ساهم في صنع وتبني صورة سلبية سوداوية للعرب والمسلمين في هذه المجتمعات، وهي صورة تمت قولبتها في الذهن الغربي وفق أحكام مسبقة راسخة في الذهنية الغربية تؤكد كل ما من شأنه تعزيز هذه الصورة وتعميق جذورها.

ومن خلال دراستنا لعدد من الرسائل العلمية والمراجع والمقالات والأبحاث المختصة في هذا الموضوع(*) خرجنا بأن الصحف والمجلات في الغرب جاءت من خلال ما يكتب وينشر فيها بكل ما يرسخ الصورة المشيطنة للعرب والمسلمين ولتاريخهم

(*) مثل «صورة العرب في الصحافة البريطانية» حلي خضر ساري وهي رسالة علمية، وكتاب "صورة العرب في عقول الامريكيين" ميخائيل سليمان، رسالة علمية، كتاب "صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية" د. سامي مسلّم، رسالة علمية بالاضافة الى كتب وأبحاث ومقالات كثيرة تناولت هذا الموضوع.

وحضارتهم في الذهن الغربي، إضافة إلى الاساءة لحاضر العرب وقضاياهم وهي نفس الصورة الكالحة الداكنة الضاربة الجذور في الموروثات العقيدية والتاريخية الغربية والتي ساهمت كافة وسائل الإعلام في زيادتها سوداوية وفي ترسيخها في الأذهان هناك.

سابعا: وللإذاعات الغربية في تشويه صورة العرب والمسلمين نصيب

جاء في حوار عبر محطة WTKK- FM في بوسطن، وهي مدينة امريكية تحتضن جامعة «هارفارد» ومعهد، ما "ساتشوستس للتكنولوجيا" ما يلي:

مذيع البرنامج: اعتقد أن المسلمين في أمريكا طابور خامس... ولاؤهم ليس لأمريكا بل للإسلام... وهم يريدون السيطرة على ثقافتنا وعلى بلدنا... لتصبح الولايات المتحدة الإسلامية وليس الولايات المتحدة الأمريكية.

المذيع Severin: يسأل أحد المستمعين على الهاتف «هل تعتقد أن علينا ان نصاحب المسلمين»؟

رد المستمع واسمه كريس من ولاية رود ايلاند: أعتقد أن من مصلحة أمريكا أن نصاحب المسلمين... لأنهم سيساعدوننا في التخلص من زعمائهم في المنطقة لأنهم ليسوا مسلمين حقا فالمسلمون في هذا البلد يحبون الحرية على ما يبدو».

المذيع: أنت تعتقد أن علينا أن نصاحب المسلمين ولكني أرى أن علينا أن نقتلهم!!

ولو كان هذا الحوار عبر إذاعة عربية أو مسلمة ودعا المذيع فيها إلى قتل الأمريكيين أو حتى الإسرائيليين فلك أن تترك لخيالك العنان لتصور ما يحدث وتخيل ما سيثيره ذلك من أمواج عاتبة من الاحتجاجات في العالم وعواصف من الاتهامات باللا سامية والهمجية والعنف.

وبالتأكيد فإن ذلك سيؤدي في أحسن الأحوال إلى فقدان المذيع لوظيفته وربما لحياته.

8 - الكوميديا

وقد جرى قولبة وتشويه صورة العرب والمسلمين عبر الأعمال الكوميدية بالدس والافتراء واختلاق أحداث لم تقع ووضع ذلك في قالب كوميدي مضحك ليسهل ادخاله وترسيخه في أذهان المشاهدين والمستمعين ويقول إريك بارنو، مؤرخ التلفزيون الأمريكي.

«ان مفهوم الترفيه في تصوري هو مفهوم شديد الخطورة اذ تتمثل الفكرة الأساسية للترفيه في أنه لا يتصل من بعيد، أو قريب بالقضايا الجادة للعالم، وإنما هو مجرد شغل أو ملء ساعة من الفراغ. والحقيقة أن هناك ايديولوجية مضمرة بالفعل في كل أنواع القصص الخيالية، فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل آراء الناس»[1].

وهناك الكثير من الأعمال الكوميديه التي سخرت لذلك:

فقد روى الكوميدي الأمريكي «غابريال اغلاسياس في حديث له امام جمهور امريكي كبير بث في قناة فوكس نيوز- أنه زار المملكة العربية السعودية بناء على طلب أحد الأمراء السعوديين.

وقد ملأ حديثه دساً واستهزاء حول طريقة الحياة في السعودية كما سخر من بعض المظاهر الإسلامية كل ذلك وسط ضحكات جمهور المشاهدين الأمريكيين الذين كان يتحدث أمامهم عن هذه الزيارة.

وقال: «كأمريكي عندما حضرت إلى السعودية ملأت الاستبيان بأني متفهم أنني ذاهب إلى السعودية، وأنه إن حصل لى خطف أو قتل فليست أمريكا مسؤولة عني".

1- هربرت. أ. شيللر «المتلاعبون بالعقول» ص96.

وتحدث عن التشاؤم الذي يسود الناس في السعودية، وكذلك عدم حبهم للمزاح أو التسلية... والتهديد بالقتل الذي كان يصك سمعه عند كل خلاف بالرأي مع أحد...

كما وصف الجمهور السعودي الذي تحدث أمامه أثناء وجوده هناك بأنهم قتلة سفاكون.

وتحدث متندراً عن الفصل بين الجنسين في المسرح السعودي اضافة إلى لبس العباءة التي تغطي كامل جسد المرأة باستثناء العينين وقال مستهزءاً انه مزح مع امرأة سعودية وقال لها انه رأى رقبتها... فكان جوابها سوف توقعني في ورطة!

كل ذلك وسط ضحك وتندر الجمهور الذي يجلس أمامه. وتحدث عن زيارة قام بها إلى أحد الأمراء بناء على دعوة تلقاها من هذا الأمير.

وقال أنه عندما دخل إلى القصر رأى العديد من الحيوانات كالنمور والقردة والحمار الوحشي والثعابين والصقور المخصصة للصيد والتي يتكلف الواحد منها حوالي مائة الف دولار!!

ويقول لقد أبلغه هذا الأمير «أن الجمهور في السعودية فرح لأن هناك أمريكي بيننا فالناس صغارا وكبارا يضحكون... المتدينون يضحكون... الشرطة الدينية (أعضاء هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) يضحكون.

ويضيف الأمير قائلا كم هذا الأمر شيئاً رائعاً لنا... لقد كان أمريكياً بيننا يسلي الناس من الشرق الأوسط... الجميع كانوا يبتسمون... أمريكياً كان هنا...».

وإذا تمعنا في هذا الحديث الطافح بالاستهزاء والسخرية، نجد أنه يركز على الانطباعات الموجودة لدى الجمهور الأمريكي عن العرب والمسلمين ويؤكد عليها وعلى القوالب الذهنية والصور النمطية لهم في أذهان الأمريكيين فالداخل إلى الدول العربية مفقود والخارج مولود وهم شعوب من اليائسين المتشائمين....

المبحث الخامس: العرب

ولكن ألم يسهم العرب والمسلمون في رسم صورة مشوهة لهم عند الغير وخاصة الغربيين؟!

أليس ما يقوم به بعض العرب في الخارج من أعمال وتصرفات ما يسيء إلى الأمة العربية والإسلامية وقضاياها العادلة ويساهم في ايجاد وترسيخ الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين في الغرب؟! وبالتالي في شيطنة العرب ومضايقتهم هناك؟

لا شك أن لذلك أثر كبير على صورة العرب والمسلمين في كل البلاد لأن الغربي لا بد أن يَتَأثّر حكمه على العرب والمسلمين بما يشاهده ويلمسه في بلاده من تصرفات بعض العرب والمسلمين.

ففي القناة الرابعة في التلفزيون البريطاني يتم أحياناً عرض برامج لظاهرة استخدام بعض الأثرياء العرب وأبنائهم لسيارات السباق في الشوارع الضيقة في الأحياء الراقية في لندن مثل (نايتس بريدج) المعروف بهدوئه والذي يسكن فيه بعض الأثرياء العرب ويقوم كثير من الشباب بقيادة سياراتهم الفارهة من نوع فيراري بسرعات جنونية ويقومون بالتفحيط وبطريقة تشابه أفلام الحركة والاثارة السينمائية وبطريقة تسبب الازعاج للمواطنين هناك وتعرض حياة الكثيرين من المارّة للخطر.

وتقول القناة البريطانية أن سبب عدم اتخاذ الشرطة أي اجراءات ضد هؤلاء رغم الشكاوى المستمرة من سكان الحي هو أن هؤلاء الأثرياء يأتون غالباً محملين بصناديق من الأموال التي يصرفونها في المحلات وفي الملاهي الليلية مما يضخ الكثير من الأموال في الاقتصاد!!

وفي فيلم بعنوان Arab Millionaire By Racer supercars in london يظهر صورة بعض العرب خاصة من الخليجيين وهم يستعرضون سياراتهم بسرعة كبيرة في شوارع لندن مطلقين محركات سياراتهم وسط الأحياء السكنية هناك مع ما يصاحب ذلك من ازعاج للسكان وتذمر بينهم.

ويظهر الفيلم أحد هؤلاء الذين يقودون سيارة سباق فارهه يقول: «أنا أشعر أنني أقود سيارة فورملر... الجميع ينظرون الي... لقد رأيت طفلاً يبكي متأبطا أمه ويقول هذا بات مان ثم يطلق ضحكة...

وآخر يقول "أتمنى أن أعرف ما الذي يفكرون به (البريطانيون) عندما يرون العرب".

ويظهر الفيلم صورة سيارة يقودها أحد هؤلاء العرب وعندما يسمع صوت جرس يستفسر السائق من زمليه عن هذا الصوت؟ فيرد عليه انه صوت «بيج بن» فيقول السائق «اللهم أسكت صوتها المزعج..!

وفي مقابلة أجريت أثناء عرض هذا الفيلم مع بعض هؤلاء الذين يقودون السيارات يظهر أحدهم فيقول:

«إنه حزين لعودته إلى الصحراء» أي عندما سيعود إلى بلده الاصلي. ويتم الترويج لهذا الفيلم وغيره عبر اليوتيوب وفي الصحافة البريطانية.

ويقوم بعض كبار الأثرياء العرب ورجال الأعمال باستئجار سيارات فارهة لتأمين تنقلاتهم في لندن بأجره يومية تصل إلى اثني عشر الف جنيها استرلينياً أي ما يعادل تسعة عشر الف دولار.

وقد أثار قيام (رومان ايراموفيتش) مالك نادي تشيلسي البريطاني بالإعلان باللغة العربية عن بيع سيارة «لامبورجيني» في لندن استفزازات البعض هناك.

حيث جاء في صحيفة الديلي ميل البريطانية تعليقاً على ذلك! هل يعتقد مالك نادي تشيلسي أن من يقرؤون العربية هم فقط الذين يستطيعون دفع ثمن السيارة «اللامبورجيني»؟!

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن العرب في لندن قد أنفقوا خلال شهرين اثني عشر مليار جنيهاً استرلينياً أي ما يعادل ثمانية عشر مليار ونصف المليار دولار أمريكي ثمنا للسكن في الفنادق والشقق المفروشة والمواصلات الخاصة.

ويكفي أن تظهر بعض الصحف البريطانية بهذه العناوين:

- سيارة ثري خليجي من الذهب الابيض.
- الحجز على سيارة «لامبورجيني» مملوكة لشيخ قطري في لندن.
- العثور على سيارة من نوع بنلي تعود إلى ثري عربي في كراج في لندن كان قد اشتراها قبل عام ونسيها.
- أمير عربي يحجز ديزني لاند لعدة ساعات.

تكفي هذه العناوين لرسم صورة سلبية جداً في أذهان البريطانيين للعرب.

وقد أصبحت تجارة اللوحات الخاصة بالمركبات تجارة مجزية مربحة في بريطانيا حيث تصمم بعض اللوحات بأرقام خاصة أو أحرف معينة تحوي أحرفاً من اسم الشخص أو البلد الذي ينتمي اليه، وتباع بعض هذه اللوحات بملايين الدولارات وقد أكد أحد البائعين أنه باع لوحة لثري عربي بخمسين ألف جنيهاً استرلينياً أي ما يعادل اثنين وثمانين الف دولار امريكي.

ومن الواضح ما ترسمه هذه الممارسات والأعمال من صور سلبيه للعرب والمسلمين جميعاً وتؤكد ما رسخ في الذهن الغربي من الصور النمطية المشوهة والمفتراة لهم:

1. فالعربي يظهر هنا سفيهاً مبذراً لا يعرف قيمة المال ولا هم له سوى هدر أمواله وانفاقها.
2. عدم مراعاة العرب لمشاعر الآخرين وذلك بعدم مبالاتهم بازعاج الآخرين وتعريضهم للخطر.
3. جهل العربي وحماقته كما يظهر حين يشتم ساعة «بيج بن» ويتمنى إسكات صوتها.
4. التأكيد على ارتباط حياة العرب بالصحراء والبداوة وعدم حبه لوطنه وحزنه من العودة اليه.

ولا يخفى ما لهذه الانطباعات من أثر كبير في تشويه صورة العرب والمسلمين - المشوهة أصلاً- وترسيخ تلك الصورة في الذهن الغربي.

وفي ذلك - بالطبع- ظلم كبير يلحق بالعرب والمسلمين جراء هذا الاختزال الظالم لصورة العرب في عدد من الأشخاص يسيئون لقيم العرب والمسلمين وأخلاقهم بل ويشوهون حقيقة بلادهم ومواقفها المشرفة من قضايا العرب والمسلمبن. فلماذا يتم التركيز على هذه الفئة القليلة الفارغة ويتم تجاهل الآلاف من طلبة العلم العرب الجادين من الدول الخليجية وغيرها الذين يكملون دراساتهم العليا في الجامعات الغربية ويقومون بالعديد من الأبحاث والدراسات، هذا اضافة إلى الكثير من العلماء العرب في جميع مجالات العلوم ممن ساهموا من خلال أبحاثهم ودراستهم في اكتشافات علمية أفاد منها الغرب؟!.

ان التركيز على هذه الفئة القليلة التي لا تمثل العرب ولا المسلمين ولا حتى البلاد والمجتمعات التي أتت منها. لا هدف له إلا ترسيخ صورةالعرب السلبية التي استقرت في الوعي الغربي والتي تكونت وترسبت نتيجة عوامل كثيرة، فمظاهر السفه والتبذير وازعاج الآخرين والاعتداء على حرياتهم تجيء مؤيدة ومؤكدة لصورة عميقة الجذور في الذهن الغربي، انعكست على رؤية ومواقف الدول الغربية من القضايا العربية الإسلامية وبررت لمواقف العنصريين ضد الجاليات العربية والمسلمة في الغرب.

وكذلك نضيف إلى المساهمة في تشويه صورتنا في الغرب ما تبثه محطات التلفزيون والقنوات الفضائية من برامج ومسلسلات وأفلام لا تخرج عن إطار ما تنتجه هوليود وما تبثه الفضائيات ودور السينما الغربية.

المبحث السادس: المناهج الدراسية

ومن دراسة الكثير من الأبحاث والدراسات التي أجريت على المناهج الدراسية الغربية يتبين ان هذه المناهج تتناول الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة بأسلوب منفر وغير علمي ويرسخ في أذهان الغربيين صورة العرب والمسلمين المظلمة السوداوية التي غرست فيها بكافة الوسائل والأساليب كالاستشراق والرحالة والإعلام... وهي صورة تصب في القناة التي تغذي فرية (الإسلاموفوبيا) في خيال الغربيين وتسهم في زيادة اشتعالها.

كما توفر مادة دسمة لكل من يريد التطاول على العرب والمسلمين والإساءة اليهم.

ومن هذه الافتراءات التي تزخر بها الكتب الدراسية في مختلف المراحل في الغرب:

أولا: الإسلام دين تشدد وهذا أحد خصائصه وتظهر هذه الفرية في المناهج الدراسية الغربية من خلال الأكاذيب التالية:

- المسلمون يكرهون الغربيين.
- كثرة الحديث في هذه المناهج عن الحرب المقدسة والتي يقصد بها الجهاد.

- التركيز على الروح القتالية في الإسلام وإهمال الحديث عن العقيدة الإسلامية.
- وصف القومية العربية بالعدوانية.
- الحديث عن الأتراك المسلمين ووصفهم بالغزاة والقسوة والاستبداد.
- تكرار عبارات مثل «الغزاة المسلمين» والقراصنة المسلمين بحق المسلمين في هذه المناهج.
- الحديث عن قسوة العقوبات الإسلامية كالحدود مثل حد السرقة والزنا والخمر والحرابة... دون الاشارة إلى ان الشريعة الإسلامية حال تطبيقها كفيله بمنع الكثير من أسباب هذه الجرائم وبالتالي قلة وقوعها في المجتمع الإسلامي.
- الحديث عن انتشار الإسلام بالسيف.
- كثرة الحديث عن صعوبة اندماج المسلمين في المجتمعات الغربية لأسباب دينية وثقافية...

ثانيا: الصاق فرية اعاقة التطور والتنمية بالإسلام، ويظهر ذلك من:

- الادعاء بأن تمسك المسلمين الحرفي بنصوص القرآن هو سبب تعطيل العقل المسلم وتجميده عن التفكير والإبداع والتجديد.
- الحديث عن الفقر والبطالة وتفاوت الطبقات في العالم الإسلامي ومحاولة تصوير الحل لهذه المشكلات بأنه يأتي بالارتباط الكامل بعجلة الغرب!
- التركيز على البدع والممارسات الشاذة لبعض الفرق الإسلامية المنحرفة (كالصوفية) وتصويرها على أنها هي الإسلام.
- اعتبار العاطفة الدينية والصحوة الإسلامية هي سبب خمول وانكفاء المسلمين على أنفسهم وسبب خشيتهم من الغرب وتشكيكهم في نواياه تجاه المسلمين رغم تقدمه العلمي والتكنولوجي وضرورة الاستفادة من ذلك.
- تقديم الإسلام على أنه مصدر للصراعات الاجتماعية والسياسية وتصويره على أنه سبب الفقر والتخلف في بلاد المسلمين.
- التقليل من شأن الحضارة الإسلامية ودورها في النهضة الاوروبية.
- الادعاء بدونيه المرأة في المجتمع الإسلامي.

ثالثا: انكار سماوية الدين الإسلامي وذلك من خلال الأكاذيب التالية:

- نسبة تأليف القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم.
- اظهار النبي صلى الله عليه وسلم على أنه مصلح اجتماعي ورئيس دولة.

رابعا: الادعاء بدور إسرائيل في تطوير ونهضة البلاد العربية مع الحديث عن عداء العرب لها وهو ما يظهر من هذه الافتراءات:

- الترويج لأكذوبة دور إسرائيل في تطوير واستصلاح الصحراء العربية وتحويلها إلى أراض زراعية منتجة والتأكيد على أن الأمل معقود على إسرائيل لايقاظ العرب من غفوتهم الطويلة!
- ادعاء وتصوير أن إسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط.
- الحديث عن تعصب العرب تجاه إسرائيل ومعاداتها ومحاولاتهم المستمرة للقضاء عليها دون بيان أسباب ذلك بل التركيز على بيان وجهة النظر الإسرائيلية في الصراع العربي الإسرائيلي.
- الاعتماد في الحديث عن فلسطين على ما ورد في العهدين القديم والجديد كمرجع موثوق.
- الادعاء بأن الصعوبات التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط سببه العداء العربي لإسرائيل والأصولية الإسلامية!
- الحديث عن الفلسطينين ومآسيهم من خلال:
  - اغفال دور الاحتلال الإسرائيلي في تهجير الفلسطين واضطرارهم إلى العيش في المخيمات خارج وطنهم فلسطين.
  - تصوير الفلسطينيين على أنهم «مفجرو طائرات» و «ارهابيون» لا هدف لهم إلا تدمير إسرائيل «رمي شعبها» في البحر.
- الحديث عن الحركة الصهيونية على أنها حركة تحرير قومي وبالتالي فإن كل ما قامت به إسرائيل من احتلال وقتل وتدمير هو عملية تحرير لأرضها المغتصبة من العرب.

خامساً: الحط من قيمة العرب والصاق صفات وتهم مكذوبة وغير صحيحة أو مبالغ فيها بهم ويتبين ذلك من:

- تصوير العرب جميعاً بأنهم أثرياء كبار مبذرين ويقفون وراء ارتفاع الأسعار في الغرب.
- تصوير العرب على أنهم أمة بدائية من الفلاحين والبدو الرحل يعتمدون في معيشتهم على الزراعة والتنقل والهجرة... فهم غير مستقرين وكسولين وقليلي الانتاج.
- التركيز على النفط وأثره في زيادة ثقة العرب والمسلمين بأنفسهم، وفي ذلك إشارة إلى خطورة امتلاكهم وسيطرتهم على منابع النفط، خاصة مع انتشار الأصولية الإسلامية كما يدعون وفي ظل صراع الحضارات.
- الحديث عن العرب وتصويرهم على أنهم غزاة محتلون لبلاد الغير وهم برابرة متوحشون أيضاً.
- الصاق تهمة تجارة الرقيق بالعرب.
- تجاهل مصطلح العالم العربي والتركيز على «الشرق الأوسط» و«الشرق الأوسط وشمال أفريقيا» و«الصحراء الكبرى» و«الجزيرة العربية».

وواضح مما ورد في هذه المناهج الدراسية الغربية الإصرار على حصر صورة العرب والمسلمين في القالب النمطي السلبي وتجريدهم من الصفات الإنسانية، مع ترسيخ هذه الصورة البعيدة عن الواقع في أذهان الناشئة في الغرب وينتج عن ذلك زيادة حدة الخلاف وسوء التفاهم بين العالم العربي والإسلامي وبين الغرب.

وقد أكد عالم التربية «لوثر ايفانز» خطورة المناهج الدراسية وتأثيرها على الطلبة في المستقبل بقوله:

«إن الكتب المدرسية والمدرسين يمكن أن يكونوا بمثابة البذرة لمحصول من التفاهم الدولي والصداقه الدولية من خلال عرض الحقائق عرضاً صحيحاً من

الناحيتين الكمية والنوعية وبمنظور سليم، ولكن يمكن أيضا أن يكونوا بذرة لمحصول من سوء التفاهم والكراهية والازدراء بين وتجاه أنماط الحياة الأخرى وذلك من خلال عرض المقولات غير الدقيقة وغير المتوازنة وغير المناسبة على أنها حقائق»[1].

وواضح مما ورد في هذا المناهج الإصرار على إبقاء صورة العرب والمسلمين ضمن إطار الصورة النمطية السلبية، والعمل على ترسيخ هذه الصورة البعيدة عن الواقع في أذهان الطلبة وهم جيل المستقبل وبُناته وتهيئتهم للقبول بكل ما يصدر ضد العرب من تهم وقرارات ومواقف في الغرب.

ولعل هذا ما يفسر اللا مبالاة التي يجدها العرب والمسلمون من العالم الغربي تجاه قضاياهم العادلة بل والوقوف ضدها في الكثير من الأحيان.

فإذا كان الإسلام ديناً متشدداً يعلّم أتباعه العنف وكراهية الآخر ويوجب الحرب المقدسة ضده... الخ، فأي غرابة في أن يخشى الغرب الإسلام وانتشاره؟! وأي غرابة في أن ينتشر «الإسلاموفوبيا» في المجتمع الغربي وبين أبنائه وينعكس على سلوكهم تجاه العرب والمسلمين؟!

وأي عجب فيما نسمعه من أصوات تجهر ليل نهار بضرورة إبعاد العرب والمسلمين عن المجتمع الغربي وتجريدهم من حقوقهم التي كفلتها لهم الدساتير كمواطنين يحملون جنسيات هذه الدول؟!

واذا كان العرب - كما تصورهم هذه المناهج- غزاة معتدين يهددون دولة إسرائيل، والتي تشكل واحة للديمقراطية وسط صحراء قاحلة إلا من الدكتاتوريات والتخلف! فكيف نتوقع من الغرب الوقوف إلى جانب مطالب العرب والفلسطينيين في صراعهم معها؟!

وهكذا في كل ما ألصق بالعرب والمسلمين من نعوت في هذه المناهج مما شكل قولبة وشيطنة لهم في نظر الغربيين وغرس في أذهان أبنائهم هذه الصورة

1- صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، ص15.

الحالكة الظلام لهم مما جعلهم يتقبلون بل ويؤيدون مواقف بلادهم المعادية للعرب والمسلمين دون تحقق أو تثبت!

وقد امتد الدس والافتراء والتزوير والتشويه لصورة العرب ليشمل القواميس والمعاجم التي يفترض فيها الموضوعية والعلمية في طرح المواضيع، ففي معجم «مكنز ويبستر» للمترادفات ورد في تعريف كلمة عربي المعاني التالية:

- Vagabond المتشرد: وهو الذي ليس لديه وطن ثابت للاقامة، أو مصدر إعالة واضح.
- Clochard المتسول: شحاد، فقير، ليس له مستقر ولا مأوى، مومس، متسكع، طوّاف متسول، الآفاق، العالة على غيره.
- Drifter: منحرف طائش.
- Floater متسكع: متنقل من مكان لآخر، من يقوم بالتصويت بشكل غير قانوني في مراكز اقتراع متعددة.
- Hobo: ليس له مكان اقامه ثابت معروف بل هو متنقل طلباً للعيش والعمل.
- Roadster: متنقل من مكان لآخر كسيارة خفيفة ذاهبة آيبة، كالطفل المنبوذ من أهله يجوب الشوارع.
- Tramp: شخص متشرد بلا مكان يأوي اليه يعتمد في حياته على التجوال بغاية التسول أو على الأعمال الحقيرة، يشبه امرأة مومس احترفت الزنا.
- Vagrant: شخص متسكع متنقل هائم في الحياة ليس له عمل ولا وظيفة ثابتة.
- Hawker: مدرب صقور ومتصيد بواسطتها، بائع متجول.
- Duffer: غبي، بائع متجول يبيع سلعاً رخيصة تافهة.
- Peddler: بائع متجول يعمل بالتوافه.
- Higgle: مساوم كثير المساومة على الثمن.
- Huckster: بائع متجول ومساوم.
- Mongrer: تاجر، بائع.
- Outerier: يعمل في المزاد العلني.
- Pat man: بائع متجول.

- Vendor : بائع مضارب.

ومما يدل على قصد التشويه وتلطيخ السمعة في تعريف كلمة عربي كما ورد في المترادفات السابقة التسييس الواضح الذي يكمن خلفها والمقاصد الخبيثه التي ترمي اليها.

ففي تعريف لمعاداة السامية (dntisemitism) جاء:

1. معاداة اليهود كأقلية عرقية ودينية وغالباً ما يصاحب هذا تميزاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً".
2. التعاطف مع أعداء دولة إسرائيل.

في حين كان هذا التعريف في طبعات سابقة للقاموس يقتصر على قوله «معاداة اليهود كأقلية عرقية ودينية وغالباً ما يصاحب هذا تمييزاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

فانظر كيف أضيف إلى التعريف الجديد معنى آخر من معاني معاداة السامية وهو التعاطف مع اعداء دولة إسرائيل، وهو ما يعني أن سيف اللا سامية سيطال كل مؤيد لحقوق العرب والفلسطينيين حيث أن ذلك تعاطف مع أعداء إسرائيل.

فربما يشمل هذا التعريف لمعاداة السامية كل من يتعاطف مع العرب والمسلمين في أي قضية أو مشكلة حتى لو كانت هزة أرضية أو جدولة دين!!

حيث أن التعريف السابق لمعاداة السامية لم يقصر ذلك على من يدعم أعداء إسرائيل ضدها بل أطلق ذلك ليشمل كل من يتعاطف مع أعداء إسرائيل في أي مجال!.

ومن دراسة هذه التعريفات والمترادفات لكلمة عربي والتمعن في ظلالها وما تعنيه نخلص إلى أن هذه المترادفات والمعاني تصب في القوالب السلبية للشخصية العربية في الغرب وتسهم في صياغتها وتشكيلها وفقا لأحكام مسبقة هناك.

فالتمعن في هذه الصفات نخرج منها بتصور عن الإنسان العربي بأنه:

1. انسان بدائي ما زال يعيش في مرحلة البداوة، يتنقل باستمرار ولا يعرف الاستقرار في عمل أو سكن!

2. فقير، معدم لا يسعى للعمل وهو خامل يحب عيشة التسكع والتشرد والاعتماد على التسول.
3. انسان غبي خفيف العقل، منحرف يسير وفق هواه.
4. خارج عن القانون يقوم بأعمال غير شرعية ولا اعتبار لديه لقانون أو خلق.
5. تافه لا يقوم بعمل منتج وإذا قام بشيء من ذلك فهو بائع لسلع تافهة ولا استقرار لديه ويعمل دون ترخيص مثل المومس تؤجر نفسها دون حساب لسمعة ولا للكرامة!

وواضح من هذه الافتراءات التي من المستغرب أن ترد في معجم يفترض في واضعه شيء من الموضوعية وللعلم أنها أوصاف قديمة أطلقها بعض الرحالة أو المستشرقون على بدو الصحراء العرب حسبما رأوه أو اختلقوه أثناء رحلاتهم التي لم تكن بريئة في معظم الأحيان!

وكما رأينا عند حديثنا عن دور الرحالة في تشويه صورة العرب والمسلمين أن ما ورد في مذكرات هؤلاء مما شاهدوه أو اختلقوه من أكاذيب كان له أكبر الأثر في صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي والمناهج الدراسية في الوقت الحاضر.

ولنعد قراءة ما قاله الدكتور عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم في الجزء الثالث من كتابه «روايات غربية» عن رحلات في شبه الجزيرة العربية:

يقول جميع الرحالة الغربيون - ونحن لا نبالغ حين نقول جميعهم وتبعهم في ذلك ثلة من المستشرقين والمستغربين- إن العربي لا وطن له ولا ارتباط له بالأرض وأن كل نصيبه من الوطن خيمة وجمل، فهو يطرق منطقة ما ويرعاها، ثم يرحل إلى أخرى ليصيب من خصبها أيضا ثم ينتقل إلى غيرها.

وترى مغالاة هؤلاء المستشرقين عندما يقارنون بين البدوي والعناصر الأخرى من البشر التي يعدونها متخلفة حضارياً في أفريقيا وغيرها ويقولون: إن لكل من أفراد هذه العناصر كوخاً يستميت في الدفاع عنه ما يجعله يدرك معنى الوطن أكثر مما يدركه العربي الذي لا يعني الوطن له شيئاً فهو في ترحال دائم لا يملك كوخاً يستوجب الدفاع عنه ولا ولاء له للأرض».

فأي فرق بين أقوال هؤلاء الرحالة والمستشرقين الذين عبروا هذه البلاد قبل مئات السنين وعاشوا بين البدو في الصحراء وسجلوا ما شاهدوه من حياتهم في الصحراء أو ما افتروه من عند أنفسهم أي فرق بين أقوال هؤلاء وبين ما ورد في هذا القاموس المؤلف في القرن الواحد والعشرين والذي يفترض فيه العلمية بحق العرب؟!

هل ما زال العربي بدوي متنقل لا استقرار عنده؟ هل العربي اليوم فقيراً معدما...؟! هل هو متشرد متسكع...؟!

أيصح أن يصف أحد كائناً من كان العرب اليوم بأوصاف أطلقها رحالة قبل مئات السنين على مجموعات من البدو العرب في الصحراء؟!

ألا يدل اعتماد الكثيرين في الغرب على ذلك أن هناك أهدافاً ومقاصد لقولبة صورة نمطية سوداوية للعرب والمسلمين في الذهن الغربي وشيطنتهم لأغراض لا علاقه لها بالعلم ولا بالبحث العلمي؟!

المبحث السابع: أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001

بتاريخ 2001/9/11 اصطدمت طائرتان ببرجي مركز التجارة العالمي في منهاتن/ نيويورك واصطدمت طائرة ثالثة بمبنى وزارة الدفاع الأمريكية «البتاغون» في واشنطن، فيما سقطت طائرة رابعة في بنسلفانيا.

وقد أدت هذه الأحداث إلى تدمير برجي مركز التجارة العالمي وقتل وجرح الآلاف من مختلف الجنسيات ممن كانوا متواجدين فيهما.

وقد اتهم تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن بتدبير وتنفيذ هذه الأحداث بأيد عربية مسلمة وخاصة من الجنسية السعودية.

ولسنا هنا بصدد الحديث بالتفصيل حول هذه الحوادث وما يحيط بها من شبهات وما يلفها من غموض.

وقد تحدث الكثير من الكتاب الغربيين عن هذه الشبهات وأكدوا أنها أحداث مدبرة من جهات داخل الولايات المتحدة بتواطؤ من أجهزة استخباراتية وأمنية أمريكية(*).

(*) على سبيل المثال كتابي «الخديعه» و«الفضيحة» لتيري ميسان وكتاب «المؤامرة 11/ 9 تأليف ماتياس بروكرز.

ولكن موضوعنا هنا يتعلق بأثر هذه الأحداث في زيادة تشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب وفي انعكاسها على تسريع البحث في كثير من الملفات المعدة مسبقا كالحرب على العراق والهجمة على المناهج الدراسية في الدول العربية ومحاربة الحركات الإسلامية وفي شيطنة المقاومة ضد الاحتلال وخاصة المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي وفي التركيز على ملفات أخرى مثل الخطاب الديني وقضايا المرأة العربية والمسلمة.. الخ.

وسيقتصر حديثنا هنا على أثر هذه الأحداث في زيادة صورة العرب والمسلمين قُبحاً في الغرب(*) حيث أضيفت إلى صفات العرب السلبية التي أنتجتها الحروب الصليبية والاستشراق والرحالة... صفات الإرهابيين والقتلة والظلاميين الذين يحقدون على الغرب وطريقته الديمقراطية في الحياة بل ويحقدون ويعادون الحضارة الإنسانية ويعملون على تدميرها.

وقد انعكست هذه الأحداث وما تبعها من شيطنة للعرب والمسلمين على نشر المزيد من الكراهية ضدهم في الغرب عامة وفي الولايات المتحدة خاصة مما ظهر أثره جلياً في الكثير من المضايقات والتحرشات بالعرب هناك باليد واللسان والاعتقالات والاعتداءات على المساجد وعلى المصلين وفي أماكن العمل بل وحتى على المارين العرب في الشوارع.

كما ظهر ذلك أيضاً في زيادة اجراءات التفتيش على العرب والمسلمين في المطارات وفي محاربة المؤسسات الماليه والمصرفية والجمعيات الخيرية الإسلامية وفي محاربة كل ما يرمز إلى الإسلام كاللحية والحجاب بل وحتى الاسماء الإسلامية.

وكان الأثر الأكبر لهذه الأحداث هو نشرها لما أصبح يعرف بـ «الإسلاموفوبيا» أي الخوف من الإسلام وكأنه أصبح مرضا معديا سريع الانتشار

(*) فيما سيتم الحديث بشيء من التفصيل عن بقية المواضيع عند حديثنا عن توظيف الصورة السلبية للعرب والمسلمين في الغرب في الهجوم على العالم العربي والاسلامي.

يجب الحذر منه وتجنب الإصابة به ووجوب البعد عن أسبابه بمختلف طرق ووسائل الوقايه والعلاج!! مع وجوب الأخذ بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة!!

فقد انطلقت موجة مسعورة من التهويل والتضخيم لخطر الإرهاب الإسلامي والاصولية الإسلامية لدعم ادعاءات القادة الغربيين بخطورة الإسلام على الحداثة والحضارة الغربية وفي حلول الإسلام كعدو للغرب مكان الشيوعية بعد انتهاء الحرب الباردة وتساءل الرئيسي الأمريكي بوش «لماذا يكرهوننا»؟!

وبالتالي فالواجب على الغربيين حشد الطاقات وتسخيرها لاحتواء الإسلام حفاظاً على المجتمعات المتمدنة والديمقراطية في الغرب!

وقد ظهر ذلك واضحا في الكثير من التصريحات التي أطلقها قادة دينيون وسياسيون في الغرب أكدت أن هذه الأحداث قد زادت الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين شيطنة وقتامة في الغرب بل حتى وفي البلاد العربية نفسها!

فقد صرح روبرت باتسون «أن المسلمين اسوأ من النازيين»

كما صرح دانيال بايبس «أن ازدياد أهمية المسلمين الأمريكيين وتكاثرهم وحصولهم على الحقوق المدنية سيشكل خطراً على اليهود الأمريكيين.

وقد جاء في قول للمعلق الصحفي دون فيدر «بأن الإسلام كرس نفسه خلال تاريخه الممتد لأكثر من 1400 عاما للتعصب والإرهاب والقتل الجماعي والظلم وإرغام الناس على اتباعه بحد السيف "وهناك تصريحا لـ «غيانكارلو حتيليتي» مؤسس حزب رابطة الشمال وايطاليا- أدلى به إلى قناة فرانس 24 جاء فيه:

«نريد تحرير شوارعنا من المهاجرين غير الشرعيين... لا أريد مساجد في البلاد" كما ظهرت الكثير من الملصقات التي تحمل عبارات معادية للمسلمين مثل "لا للمسلمين لا للارهاب" .

هذا إضافة إلى المقالات الصحفية التي أخرجت ما كانت تكنه الصدور وتختزنه القلوب من حقد وكراهية للعرب والمسلمين، ففي مقال له بعنوان «إني أكره الإسلام» في صحيفة لوموند الفرنسية بتاريخ 2004/8/12 كتب الكاتب والمحلل النفسي الفرنسي «باتريك ويكليرك» يقول:

"إن الإسلام دين يجلب الجنون لأنه يقيم فصلاً بين الجنسين ويمارس القمع والإرهاب على المرأة وهو نسق فكري يقوم على الحرب المقدسة ومن ثم فإن الترويع وقطع الرؤوس ظاهرتان تتدرجان في قلب الإسلام ذاته".

كما جاء في افتتاحية لأسبوعية «لوبان الفرنسية» يوم 21/ 11/ 2001 كتبها كلو دامبير».

إن الإسلام لا يفصل بين الديني والدنيوي كما نفعل نحن، إنه يدفع الأفراد والشعوب إلى الصلاة والالتزام بقانون قرآني يخنق العلمانية فتعليمه الديني يجمع بين المدني والقانوني، ولنلاحظ غياب الديمقراطية عن المناطق التي يوجد فيها من يميل إلى الدعوة بالكلمة أو السيف... فلنفكر في غرابة هؤلاء العنصريين الذين يجوبون أحياءنا الجامعية، وينتقلون من الحاسوب إلى الصلاة ويحضرون أنفسهم كطيارين مبتدئين للانتحار تعظيما لله»[1]

كما جاء لنفس الكاتب في افتتاحية العدد الصادر يوم 14/ 9/ 2001 من نفس المجلة (لوبان) قوله[2]:

"إنه من ضمن العديد من الملاحظات التي نخرج بها من هذا الحدث، هو أن الإرهاب المستشري في العالم اليوم يتعلق بالتطرف الإسلامي، ويضيف أن الغرب يجهل القوة الصامتة للحركات الإسلامية وللمسلمين كافة، لأن هناك ملياراً منهم في العالم وأنه حتى لو كان هذا المليار لا يساند الإرهابيين فإنهم لا يعارضون الانخراط في أعمال الجهاد والحرب المقدسة لأنها تمثل إحدى أهم أركان الإسلام".

وليس بعيداً عن هذا القول لامبير قول طوني بلير- رئيس وزراء بريطانيا آنذاك حيث جاء في مذكراته قوله:

"....إن ما اتضح هذه الأيام هو مدى التحدي وهو المدى الذي اختلف على مستويين عما فكرنا في البداية فيه، أما المستوى الأول فهو وجود طيف واحد،

1- بحث بعنوان «تجليات خطاب الكراهية في الوسائط الاعلامية الفرنسي: بحث في المصادر" الصادق رابح.

2- د. محمد بشاري «صورة الاسلام في الاعلام الغربي» ص107.

وليس عدة أطياف، في عقلية الإسلام الحديث. أما في الطرف الأبعد من الطيف فهناك المتطرفون الذين يناصرون الإرهاب من أجل تعزيز هدفهم الذي يقضي بإنشاء دولة إسلامية وإعادة إحياء الخلافة التي تأسست في الأعوام التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، صحيح أن عدد هؤلاء ما زال قليلاً، لكن الذين يتعاطفون معهم هم أكثر بكثير مما نظن، والصحيح أن كثيرين لا يوافقون على الإرهاب إلا أنهم يفهمون سبب حدوثه.

إننا نجد في هذا الطيف ذاته اولئك الذين يدينون الإرهاب لكنهم يفعلون ذلك بطريقة غريبة بحيث اننا نقتنع ببعض رؤيتهم إلى عالمهم، يتفق هؤلاء مع المتطرفين في ان الولايات المتحدة تعادي الإسلام وهم يعتبرون أن غزو أفغانستان والعراق هو غزو لدولتين مسلمتين لأنهما دولتان مسلمتان، ينظر هؤلاء كذلك إلى إسرائيل على أنها رمز التعصب الغربي المعادي للإسلام تحتل هذه الفئة من الناس على نحو مقلق يمثل مساحة واسعة من وسط الطيف.

أما النقطة الثانية فهي وجود فئة لم تشق طريقها بثقة بعد بالنسبة إلى صوغ رؤية صالحة وحديثة للإسلام... وإذا جمعنا المعطيات السابقة كلها، فإني أخشى أن أقول إن هذه المعركة ليست بين مجموعة صغيرة من المتطرفين لا تمثل الإسلام وبيننا أو على الأقل ليست تلك هي الصورة برمتها، لأنها هي كذلك صراع عقائدي أصولي يواجه العقل والقلب وروح الإسلام»[1].

فالسيد بلير يرى أنه وإن كان معظم المسلمين ليسوا إرهابيين إلا أنهم يتفهمون أعمال الإرهاب ودوافعه بل ويؤيدون «المتطرفين» في مطالبهم وبناء عليه يشير صراحة أن معركة الغرب ليست مع فئة قليلة من المسلمين بل مع معظم المسلمين ويكاد يُصرح بأنها مع الإسلام نفسه!!

وكما قلنا أننا هنا لا نقصد الرد على هذه الأقوال لأن موضوعنا هو فقط عن أثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 على صورة العرب والمسلمين

1- طوني بلير، مذكرات طوني بلير: مسيرة رئيس وزراء ص 482- ص483.

وبالتالي فالمقصود من نقل هذه الأقوال والتصريحات هو بيان كيف زادت صورة العرب والمسلمين سلبية وقتامة بعد هذه الأحداث.

وكذلك كانت صورة الإسلام والمسلمين والعرب في صحافة معظم الدول الغربية عبر افتتاحياتها أو من خلال مقالات كتابها صورة سوداوية عمَّت ورسَّخت الصورة السلبية لهم التي رسمها الرحالة الأوربيون قبل مئات السنين والمستشرقون عبر افتراءاتهم على الإسلام وعلى المسلمين والعرب.

بل إن الصورة زادت قتامة وسلبية عبر اتهام المسلمين والعرب كافة بالإرهاب والعنف... واتهام الإسلام وكتابه بأنه مصدر هذا الإرهاب والعنف وكل السلبيات في حياة العرب والمسلمين!

فكثر استعمال مصطلحات «التطرف الإسلامي» و"الإرهاب الإسلامي" و"الشبكات الإرهابية الإسلامية" و"الإسلام المحارب" و"الاصولية الإسلامية" و"الفاشية الإسلامية"....

وفي وسائل الإعلام الأخرى كالسينما استمرت الأفلام في عرض الصورة السلبية للعرب والمسلمين مع تأثر واضح بأحداث الحادي عشر من سبتمبر التي أضافت أبعاداً جديدة لهذه الصورة بإلصاق صفة التطرف والتعصب والإرهاب بكل عربي ومسلم.

وقد شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر دافعا قويا - اضافة إلى ما رسخ في ذهن الغرب وتراثه وعقيدته- لتشويه صورة العرب والمسلمين بل- كما قلنا سابقا- أضافت أبعاداً أخرى إلى هذه الصورة السلبية تمثلت في صفات الإرهاب والتعصب والكراهية التي ألصقت بالعرب والمسلمين.

وقد تم هذا التشويه عبر عدد من الأساليب:

أولاً: التحذير المبالغ فيه والمستمر من الإسلام والمسلمين وادعاء خطورتهم على المجتمع الغربي وحضارته وقيمه وهو ما عرف بـ: «الإسلاموفوبيا» والتي تعني الخوف المرضي من الدين الإسلامي ومن اتباعه، حتى أصبحت كلمة مسلم

مساوية تماما للارهابي! وقد كثرت التصريحات والمقالات والبرامج والأفلام التي تحذر من خطورة الإسلام والمسلمين على الغرب، وظهر ذلك من:

1. التأكيد على أن الإسلام هو العدو اللدود للغرب بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة. ففي مقال نشر في صحيفة الصانداي تلجراف بعنوان "هذه الحرب ليس موضوعها الإرهاب بل الإسلام" بقلم ديفيد سيلبورن جاء فيه: «لقد كان الاتحاد السوفياتي ذات مرة امبراطورية الشر المتحدية للغرب. أما الآن فإن تمرد الإسلام أو ولادته الجديدة هي التي تمد ظلالاً من الفزع على العالم غير الإسلامي عندما حرر سقوط الدول المسلمة في الكتلة السوفياتية من قيودها أخذ الإسلام الصدارة في النشاط المعادي للغرب سياسياً ودينياً وعسكرياً إنه يهدد بالبنادق في يد والنصوص المقدسة في يد أخرى مُحَوِلاً أمريكا والصهيونية والمسيحية إلى شياطين»[1].

وهي لهجة تحريضية واضحة تستهدف بث الخوف في المجتمع الغربي من الإسلام والمسلمين وحث الغربيين على مواجهة هذا العدو القديم الجديد!

2. الادعاء المبالغ فيه بخطورة الإسلام والمسلمين على الحضارة الغربية وقيمها وعدم إمكانية التعايش بينها يقول القس هول لندسي محذرا:

«إن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل، ولكنهم يريدون تدمير الثقافة اليهودية المسيحية التي تشكل أساس الحضارة الغربية، إنهم كالشيوعيين في أعماق فلسفتهم توق شديد لدفننا جميعاً"[2].

وهناك مدون وكاتب مسيحي أمريكي هو «روبرت سبنسر» اشتهر بمقالاته التي تهاجم الإسلام والمسلمين وبمعاداته للشريعة الإسلامية وهو من أبرز مروجي «الإسلاموفبيا» يحذر عبر مدونته المعروفه باسم «جهاد ووتش» من وجود

1- د. محمد بشاري، مرجع سابق ص109.

2- محمد السماك، الدين في القرار الامريكي ص67.

مخططات إسلامية لتدمير المجتمعات الغربية وضمها بالقوة إلى العالم الإسلامي أو فرض تطبيق الشريعة بالقوة في الغرب.

وتظهر هذه المبالغة في خطورة الإسلام والمسلمين على الغرب في الكثير من المظاهر والعناوين:

كعقد مؤتمر في باريس عام 2010 تحت عنوان «المؤتمر الدولي ضد أسلمة أوروبا» وتأسيس حركات باسم «أوقفوا أسلمة أوروبا و«أوقفوا أسلمة أمريكا».

وتأليف كتب تحت عنوان «استعمار العرب للغرب» لمؤلفه «لارس هيد جارد» وآخرين.

3. التحذير من كثرة النسل بين المسلمين والخطورة الديمغرافية في ذلك.

فقد شكل ارتفاع نسبة الخصوبة وكثرة النسل في المجتمعات الإسلامية والعربية مصدر قلق للغرب خاصة في ظل ما تعانيه المجتمعات هناك من قلة النسل ووصول الكثير منها إلى ما يمسى بمجتمعات الشيوخ التي تكثر فيها نسبة المعالين وقلة المنتجين.

وقد جاء هذا التحذير عبر أقوال لقادة ومفكرين وتقارير صادرة عن جهات متخصصه، وهو ما سنتعرض له في الصفحات القادمة.

يقول... «تشارلز مور» رئيس تحرير مجلة «لاسبكتاتور" البريطانية الشهيرة: «بسبب إصرارنا العنيد على عدم إنجاب الأطفال سوف تبدأ الحضارة الغربية في الذبول بدلا من أن تتجدد مع الدماء الجديدة، عندها سوف تنتصر الجموع المصممة (المسلمون) وسوف يتم تدريس القرآن كما قال جيبون في بنوءته الشهيرة في مدارس اكسفورد[1].

ثانيا: التركيز على المملكة العربية السعودية- لما تمثله من رمز في العالم العربي والإسلامي- في الهجوم وتشويه الصورة:

1- غازي عبد الرحمن العصيبي، امريكا السعودية، ص55.

فلوزن المملكة ولما تمثله في العالم العربي والإسلامي فإن التركيز على مناهجها الدراسية والمدارس الدينية والمرأة السعودية هو تركيز وهجوم على مناهج الدراسة في كافة أنحاء العالم العربي والإسلامي، وبالتالي فتشويه صورة المملكة وشعبها ومناهج التعليم فيها هو تشويه لكل ذلك في كل البلاد العربية والإسلامية.

وقد جاء في دراسة عن صورة المملكة العربية السعودية في مجلة «النيويورك» الأمريكية للفترة من كانون ثاني 2003 وحتى كانون اول 2003 للاستاذه أُمامه مصطفى اللواتي:

إن هناك مواقف متحيزة ضد المملكة العربية السعودية ومحاولة لتنميط صورة ذهنية سلبية عن المملكة، فقد قدمت المجلة صورة غامضة وغير واضحة عن المجتمع السعودي- خلال فترة الدراسة المشار اليها- دون التطرق إلى أي وجه ايجابي لهذا المجتمع.

وقد دل اتجاه المصطلحات الواردة في المجلة عن المملكة العربية السعودية خلال فترة الدراسة أن المصطلحات السلبية احتلت ما نسبته (75٪) في حين كانت نسبة المصطلحات الايجابية (20.6٪) وقد احتلت المصطلحات المحايدة ما نسبته (3.4٪).

وقد أكدت القراءة التحليلية في الدراسة أن هناك توجه لربط المملكة بقضية الإرهاب من حيث التعاون مع الإرهابيين وتقديم الدعم المالي بل والتوسط على مستوى الحكومة والأفراد في الأعمال الإرهابية وعدم كفاية الاجراءات التي تتخذها المملكة ضد الإرهابيين.

كما تم تصوير المملكة في بعض المقالات خلال فترة الدراسة في صورة سلبية جداً وأنها بؤرة لتفريخ الإرهابيين.

وكان الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر قد صرح بتاريخ 19/ 3/2004:

"السعوديون ليسوا أهلا للثقة كما كنا نعتقد سابقاً في حماية أنفسهم وحمايتنا من تهديد الإرهاب فلا يزال هناك احساس أن الحكومة السعودية تواصل بالسر تمويل عناصر في المملكة العربية السعودية تدعم الجماعة الإرهابية"[1].

وجاء في قول لصحفية تعمل في الإذاعة البريطانية:

«باعتباري امرأة لا أرى في السعودية مكاناً جذاباً، أنا أعتقد أن الشريعة الإسلامية هي شيء منفر لكل شخص يؤمن بالليبرالية وبالديمقراطية. ومعاملة السعوديين للمرأة لا ترضي أحداً، السعوديون عنصريون وما نسمعه عن معاملتهم للخادمات الفلبينيات أمر مزعج جداً»[2].

وقد شاركت السينما في الحملة على السعودية مثل فيلم «المملكة». ويظهر الفيلم عداءً واضحاً للعرب والمسلمين مع تركيز واضح على السعودية، والفيلم يحكي قصة تفجيرات حصلت في السعودية في مجتمعات الأمريكيين والتي يحضر على أثرها فريق من المحققين الأمريكيين للتحقيق فيها.

وأثناء قيام الفريق بالتحقيق يتعرض أفراده إلى هجوم آخر من أشخاص ملتحين يرتدون لباس الشرطة السعودية، حيث يقوم هؤلاء الملتحون بإطلاق النار على الأمريكيين وعائلاتهم نساء وأطفالا، ويوقعون عدداً كبيراً من الإصابات بين قتيل وجريح.

كما يظهر الفيلم حدوث انفجارات أخرى تتسبب في أعداد كبيرة من القتلى والجرحى. والأهداف الحقيقية من هذا الفلم واضحة وهي تشويه صورة العرب والمسلمين وربط المملكة السعودية بالإرهاب!

ثالثا: مشاركة زعماء سياسيين في حملة تشويه صورة العرب والمسلمين:

فقد وصف الرئيس الأمريكي في حينه - جورج دبليو بوش- أن الحرب التي تشنها الولايات المتحدة وحلفائها هي حرب صليبية ضد من يستهدفون الحضارة الغربية التي هي- كما قال حضارة اليهود والمسيحيين وطلب إلى الدول العربية

1- وليام سيعبسون، الامير ص372.

2- غازي القصبي، مرجع سابق ص52.

إيقاف حملة الكراهية لأمريكا وإسرائيل التي يبثها إعلام هذه الدول. كما صرح «سيلفيو بيرلسكوني» - رئيس وزراء ايطاليا آنذاك- بتاريخ 26/ 9/ 2001.

إن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية... ولا بد من انتصار الحضارة الغربية على الإسلام الذي يجب أن يهزم لأنه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسان، وأن الغرب سيواصل تعميم حضارته وفرض نفسه على الشعوب... وأن الغرب قد نجح حتى الآن في تعميم حضارته وفرض نفسه مع العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي(*).

كما صرحت «مادلين اولبرايت» وزيرة الخارجية الأمريكية:

«إننا معشر الأمريكيين أمة ترتفع قامتها فوق جميع الشعوب وتمتد رؤيتها أبعد من جميع الشعوب.

وهي تصريحات- كما هو واضح- عنصرية تعبر عن استعلائية صليبية عميقة الجذر في عقل هؤلاء وفكرهم، تهدف إلى تجريد غيرهم وخاصة العرب والمسلمين من كل صفة انسانية والصاق النعوت السلبية وعدم الإيجابية بهم لتبرير جرائم هذه الدول ضدهم وسطوها على ثرواتهم ومقدرات شعوبهم.

ولعل هذه العنصرية البغيضة كانت الدافع وراء تصريحات مادلين اولبرايت بتاريخ 1996/5/12حول موت أطفال العراق نتيجة الحصار الذي فرضته الولايات المتحدة على العراق!

فقد سئلت: سمعنا أن نصف مليون طفل قد مات! أعني أن هذا العدد من الأطفال أكثر من ضحايا هيروشيما! هل النتيجة تستحق مثل هذا الثمن؟

أجابت: أظن أن هذا خيار صعب جدا.. نظن أن النتيجه تستحق هذا الثمن!

---

* وقد قدم برلسكوني نفسه- بفضائحه الجنسية والمالية المتلاحقة الدليل الناصع والقاطع على هذا التفوق!

وأي جريمة في أن يقتل نصف مليون طفل من غير أطفال أمريكا وإسرائيل!! طالما أن قامة الأمريكيين وبتأكيد الإسرائيليين ترتفع على قامة جميع شعوب الأرض الأخرى(*)!!

وللانصاف فإن هذه النظرية العنصرية الاستعلائية الاستقصائية هي التي تسود الغرب عامة وليس الولايات المتحدة الأمريكية فقط، وهي التي تقف وراء المحاولات الأوروبية لفرض الحضارة والمصالح الغربية، عموماً في جميع مجالات الحياة وعلى حساب الثقافات والشعوب الأخرى غير الغربية وخاصة الشعوب العربية والإسلامية التي ينظر لها في الغرب نظرة دونية وهو ما يظهر من تصريحات برلسكوني السابقة.

* وألبرايت هي احدى المساهمات في اطلاق الشبكة النسائية العالمية للطفولة والتي تهدف لمواجهة التحديات والعوائق التي تواجه المجتمعات فيما يتعلق بارتفاع وفيات الامهات والمواليد الجدد! ولا بأس بقتل ملايين الأمهات والمواليد الجدد و"القدامى) من سوء التغذية وقلة الدواء وانتشار السرطانات نتيجة حصار العراق ولا بأس بتحويل العراق وفلسطين إلى بلاد أرامل وأيتام!

الفصل الرابع

الدور الصهيوني في تشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب

قامت إسرائيل من خلال سيطرة اليهود والصهاينة على الكثير من جوانب الحياة في الغرب كالمال والإعلام اضافة إلى نفوذ الصهاينة في الكثير من مراكز صنع القرار هناك بدور كبير في تشويه صورة العرب والمسلمين وصناعة الصورة النمطية السلبية لهم في الغرب.

وقد أكد كثير من المختصين هذا الدور للصهاينه، فهذا الباحث الامريكي «نيشان لبن» يقول في كتابه "صناعة الإسلاموفوبيا: كيف صنع اليمين الخوف من الإسلام":

«إن حالة التشنج مدى عقد من الزمن (بعد أحداث 11 سبتمبر) التي هزت الرأي العام الأمريكي هي نتاج ظهور اتحاد متماسك ومترابط من «تجار الخوف اليمينيين وجاهد أعضاء الاتحاد منذ يوم سقوط البرجين لإقناع مواطنيهم أن المسلمين يكتسبون تأثيراً خطيراً في الغرب، ومن أعضاء فريق تجار الخوف مدمنون متعصبون وسياسيون عنصريون وزعماء دينيون أصوليون وفوكس نيوز والصهيونية الدينية ليخلقوا صناعة الكراهية: صناعة الخوف من الإسلام".

وقد ساعد إسرائيل والصهيونية في ذلك عدة عوامل عرفوا كيف يستغلونها ويسخروها في خدمة أغراضهم:

أولا: السيطرة والنفوذ في مجال الإعلام

للإعلام كما هو معروف دور كبير في تشكيل العقول والتأثير على القناعات والأفكار والسلوك.

فللإعلام - بكل وسائله وما يبث فيها - دور كبير في تشكيل الرأي العام وتوجيهه في كل قضايا المجتمع والامة، وفي التأثير في فكر وسلوك الفرد وتشكيل منظوره لبلده ولغيرها... وقد ساعد الصهيونية على استغلال الإعلام في الغرب وتوجيهه لصناعة الصورة النمطية المشوهة للعرب والمسلمين عوامل منها:

1. سيطرة اليهود والصهاينة وأنصارهم على الكثير من وسائل الإعلام في الغرب حيث تشير الأرقام إلى سيطرة تامة لليهود على شركات الانتاج السينمائي في الولايات المتحدة كشركة فوكس التي يملكها اليهودي «وليام فوكس وشركة غولدين التي يملكها اليهودي «صاموئيل غولدين».

كما يمتلك اليهودي لويس ماير شركة مترو وكذلك شركة أخوان وارتر يمتلكها اليهودي هارني وارنر وشركة رامونث يمتلكها اليهودي هودكنسون»[1].

كما تشير بعض الاحصائيات إلى أن أكثر من 90٪ من مجموع العاملين في الحقل السينمائي الأمريكي انتاجاً وإخراجاً وتمثيلاً وتصويراً ومونتاجاً هم من اليهود.

وقد مرّ معنا الدور الكبير والخطير الذي لعبته امبراطورية هوليود في تشويه صورة العرب والمسلمين في أذهان الغربيين وفي خدمة إسرائيل وأهدافها التوسعية والدفاع عن جرائمها وما كان ذلك ممكناً لولا سيطرة اليهود والصهيونية على هذه الامبراطورية وتحكمهم في معظم ما ينتج فيها من أفلام.

وقد بلغت سيطرة اليهود والصهاينة على هوليود حداً كبيراً مما دفع بالممثل الأمريكي «مارلون براندو» أن يصرح في لقاء معه على الهواء مباشرة في برنامج لاري كنج شو:

"اليهود يحكمون هوليود بل انهم يملكونها فعلا"

وتشير الاحصائيات إلى أن ما نسبته 80٪ من اجمالي البرامج التلفزيونية الأمريكية و70٪ من المطبوعات هي تحت سيطرة الصهاينة[2] وقد اشتكى ديفيد ديوك عضو الكونغرس الأمريكي الأسبق من دور اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة حيث قال في كتابه «الصحوة» عن سيطرة اليهود على بعض وسائل الإعلام فيها:

«يوثق الدكتور ادوارد فيلدز بعناية الهيمنة اليهودية على ثلاث شبكات تلفاز كبرى في أمريكا ABC, CBs, NBc.

1- منصور عبد الحكم بروتوكولات حكماء صهيون: المخططات الماسونية للسيطرة على العالم ص401.

2- كتاب دور الصهاينة في تشكيل صورة العرب في الثقافة الغربية على موقع www.alriyadh.com .

دققت بعناية في مصادر فيلدز التي شملت سيرا ذاتية نشرها اليهود.

في الوقت الذي بدأت فيه تقصياتي الأولى كان ريتشارد سارنوف (Richardsarnoff) رئيس NBC وكان وليام بما يلي (William Paley) رئيس الـ CBS وكان ليونارد غولدنسن (Leonard Goldenson) يدير الـ ABC.

وقد دهشت عندما علمت أن الثلاثة يهود وكلهم كانوا نشطاء في الحركة الصهيونية، وكلهم كرموا بجوائز قدمت لهم من مجموعات يهودية صهيونية مؤيدة لإسرائيل ثم اكتشفت أن الصحيفة الرائدة في أمريكا وهي «نيويورك تايمز» يملكها ويحررها يهود، وكذلك الحال بالنسبة إلى الصحيفة ذات النفوذ على الحكومة الفيدرالية أكثرمن سواها وهي الواشنطن بوست، كما يملك اليهود أكثر الصحف الأمريكية اليومية توزيعا وانتشاراً... ولدى إلقاء نظرة على نشر المجلات والكتب اكتشفت ثانية الكثرة الساحقة لليهود في هذا الميدان ومعظمهم يكرس نفسه للمصالح اليهودية..»[1] وكان لهذه السيطرة الطاغية دوراً كبيراً في توجيه وسائل الإعلام وجهة صهيونية في خلق وترسيخ صورة مظلمة للعرب والمسلمين في الذهن الغربي، حتى قال ريتشارد كورتيس المحرر التنفيذي لشؤون الشرق الأوسط في «واشنطن ريبروت» وهي مجلة نصف شهرية: «سيكون من الصعب أكثر فأكثر أن يكون المرء مسلماً في الولايات المتحدة إلى أن تحل القضية الفلسطينية، فاللوبي الإسرائيلي بسبب نفوذه غير المعقول في وسائل الإعلام سيواصل تصوير كل العرب وكل المسلمين كإرهابيين يجب تقييدهم واعتراضهم والسخرية منهم وحتى ترحيلهم من أجل أمن المجتمع غير الإسلامي"[2].

1- ديفيد ديوك: الصحوة ص165- ص166 وفي الكتاب تفاصيل كثيرة مذهله عن اللوبي اليهودي في امريكا

2- بول قندلي: لا سكوت بعد اليوم ص311.

2. قوة وسائل الإعلام الغربية وسيطرتها على الفضاء العالمي وهي قوة نابعة ومستندة إلى قوة الغرب الاقتصادية والعسكرية والصناعية والتطور التكنولوجي المذهل هناك.

فالدول الغربية بما تملكه من احتكارات كبيرة وشركات عابرة القوميات وامبراطوريات اعلامية كبيرة يمكنها خلق وتهيئة مناخات لصناعة وتوجيه رأي عام مؤيد لسياساتها في مختلف أنحاء العالم.

ومن خلال هذا الإعلام بوسائله المختلفة استطاعت الصهيونية بنفوذها صناعة وترسيخ صورة قاتمة للعرب المسلمين وجعلت تلك الصورة نمطية في الذهن الغربي.

3. ضعف الإعلام العربي وعدم حضوره الفعّال في المشهد الغربي وفقدانه التأثير والمصداقية في الغرب بل وفي عالمنا العربي أيضاً بسبب ضعف الساسيات الإعلامية الحقيقية أو حتى فقدان هذه السياسات نهائياً، اضافة إلى عدم استقلال الإعلام واعتماده في الغالب على تلقف ما يصنع في الغرب بخيره وشره.

ثانيا: ضعف العرب والمسلمين:

إن حالة الضعف والتفكك والاحباط التي تعيشها الأمة العربية الإسلامية جعلت منها لقمة سائغة لأعدائها، وجعلتها وما تملك نهباً ومطمعاً لهؤلاء الأعداء وقد تمثلت استفادة الصهيونية من هذا الوضع واستغلاله في بث سمومها وافتراءاتها على العرب والمسلمين من خلال:

- عدم قدرة العرب - بتفرقهم واختلافهم- على مواجهة افتراءات الصهيونية وتفنيدها وعدم قدرتهم على التأثير في الرأي العام الغربي تجاه القضايا العربية والإسلامية مما ترك الساحة للصهيونية وأتباعها وأنصارها يسرحون فيها ويمرحون ويتلاعبون بالعقول والأفكار ويبثون سمومهم وأكاذيبهم.
- استغلال خوف الكثير من الجهات في الغرب من الإسلام وانتشاره بعقيدته وقيمه والمبالغة في خطورة ذلك على الحضارة الغربية وقيمها وتقدمها وخاصة في ظل طروحات صراع الحضارات التي جعلت من الإسلام تهديداً حقيقياً للحضارة الغربية ومن المسلمين أعداء ينبغي الحذر منهم! خاصة في ظل النمو والتكاثر

السريع للمسلمين في بلادهم وفي الغرب مما جعل ذلك خطراً يقض مضاجع قادة الغرب ومفكريه. ففي مقابلة له مع صحيفة «دي فليت» الألمانية قال برنارد لويس اليهودي والصهيوني المعروف:

"إن الأوروبيين يتزوجون متأخرين ولا ينجبون أطفالاً إلا بعد قليل، بينما يبرز النقيض المعاكس تدريجياً والذي يتجلى في حضور تركي كبير في المانيا، وعربي كبير في فرنسا وحضور إسلامي باكستاني في انجلترا وأن هؤلاء يتزوجون باكراً وينجبون أطفالاً بكثرة وفي هذا السياق من التطور الحالي ستتحول أوروبا في نهاية القرن الحالي الواحد والعشرين إلى قارة مسلمة وإلى جزء من المغرب العربي".

وهي كما هو واضح لهجة لا تنقصها صراحه في التحريض ضد العرب والمسلمين والتحذير من تكاثرهم ومن خطورة ذلك على أوروبا ومسيحيتها وما يعنيه ذلك من ضرورة التوحد لمواجهة هذا الخطر الداهم!

وفي فرنسا قال كلود امبير في افتتاحية العدد (1567) لمجلة (Le point) الصادرة بتاريخ 2002/9/27:

«إن الملاحظة الأولى هي ان الإسلامويه(*) داء كامن في الإسلام ولا تعيش إلا في داخله، أن القول بعدم وجود علاقه بين الاثنين ضرب من العبث فالإسلام «السيئ» ليس إلا نسخة مقاتلة من قانون قرآني لم تقم أي قوة إسلامية معتبرة بالتحذير منه...

والملاحظة الثانيه هي أنه لم يحدث إلى الآن أي إصلاح مؤثر لتطهير هذه العقيدة السماوية التي نزلت في القرن السابع على جزيرة عرب محمد ورمالها وجمالها وسيوفها المخضبة بالدماء...»[1].

وتتضح لغة التحريض في هذا القول من خلال:

- الادعاء بأن التطرف والتشدد والأصولية بالمفهوم الغربي والتي تعني التعصب - ضاربة الجذور في الإسلام وتنبع من كتابه القرآن!

(*) التطرف الاسلامي.

1- فنسان جيسير، الاسلاموفوبيا: المخاوف الجديدة من الاسلام في فرنسا ص44.

- عدم إجراء أي إصلاحات داخل الدين الإسلامي كما حصل في الديانات الأخرى بالحذف والإضافة لإخراج طبعة جديدة منه تتناسب مع المجتمعات الغربية وتخفف من صراحة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي حددت الولاء والبراء والموقف من غير المسلمين.
- تشويه صورة المسلمين بالإصرار على ربطهم بالصحراء والجمال والسيوف المخضبة بالدماء وتجاهل ما نشره الإسلام من عقيدة وشريعة حكمت الناس بالعدل ونشرت العلم وأسست حضارة اقتبست من علومها واهتدت بنورها أوروبا.

ولا تخفى الأصابع الصهيونية التي تعبث من خلال هذه الأقوال والتحذيرات والتي تصب في مصالح الصهيونية بتشويه صورة الإسلام وتنميطها بما يخدم مصالح إسرائيل وأهدافها.

وفي تحليل لأغلفة الصحف الصفراء الفرنسية خلال الفترة من (1991-2003) تبين أن نموذج المسلم:

«يتم تناوله بانتظام على ذات الهيئة: مصلون يتم تصويرهم من الخلف عجزهم إلى الأعلى، حشود متراصة، تصرخ وتهدد، نساء محجبات، شخص ذو لحية كرمز للتفكه فاغراً فاه وزائغ العينين"[1].

وفي الولايات المتحدة الأمريكية نرى نفس الصورة والتحذير حيث نجد:

"إن معظم الأمريكيين ينظرون إلى المسلمين بقلق، إن لم أقل بخوف. فهم يرون فيهم مصدراً لعنف أحمق، ولنزاع ديني وتهديد للمسيحية، ولنظام حكمنا وحرياتنا الأساسية، إنهم يعتقدون أن رجال المسلمين يسيئون معاملة النساء ويعاملونهن كأنهن متاع"[2].

وهذا الخوف المفتعل ساهمت الصهيونية بنفوذها الواسع في الدول الغربية باختلاقه ونشره وجني ثماره بشيطنة العرب والمسلمين. بل الإسلام نفسه بعقيدته

1- المرجع السابق ص39.

2- بول فندقي، لا سكوت بعد اليوم ص 213.

وشريعته وحضارته في نظر وأذهان الغربيين وتسخير ذلك لخدمة أهدافها في دعم إسرائيل ومخططاتها...

ثالثا: تهويد المسيحية في الغرب

تمكنت اليهودية والحركة الصهيونية من إيقاع المسيحية الغربية في شباكها وتهويدها وتسخيرها لخدمة مخططاتها وفي تنفيذ أهدافها...

وقد نتج عن هذا التهويد أن نشأت ما عرف بـ «الصهيونية المسيحية» التي تبنت أكاذيب اليهود وأساطيرهم واجتهدت في خدمة اليهود ودعم دولتهم إسرائيل دون قيد أو شرط لأن هذا الدعم من وجهة نظرها استجابة لأمر وإرادة الله!

فكل من يعارض إسرائيل وحقها في فلسطين ويقاوم سياساتها لا يعارض إسرائيل فقط بل يحارب الله ويرفض إرادته ومشيئته!

وقد قال الناقد والكاتب الانجليزي الأمريكي ت. س. اليوت: أن الغرب استقى ثقافته من ثلاثة مصادر رئيسية هي أثينا وروما وإسرائيل[1].

وقد أصبحت الصهيونية المسيحية من أكبر ركائز اللوبي الصهيوني في الغرب وفي الولايات المتحدة على وجه الخصوص تستغلها إسرائيل لتحقيق أهدافها وللتأثير في المواقف والسياسة لصالحها هناك.

يقول بول فندلي- وهو ممثل ولايه الينوي في الكونغرس الأمريكي لمدة اثنتين وعشرين سنة:

"....وهناك العديد من المسيحيين المحافظين الذين يرون في هذا التأييد (لإسرائيل) عملا لاهوتيا في أساسه إذ ينسبون لإسرائيل دوراً بارزاً في تفسير المعتقد المسيحي فهم يعتقدون من جهة أن إسرائيل تستحق التأييد المسيحي لأن وجودها هو تحقيق لنبوءة التوراة ويستشهدون في كثير من الأحيان بفقرات من العهد القديم دفاعاً عن هذا الرأي. ومن جهة ثانية يدعم الكثيرون من المسيحيين دولة إسرائيل لاعتقادهم بأن اليهود ما زالوا كما كانوا زمن التوراة شعب الله المختار ومنهم من يستشهد في دعمه لإسرائيل بهاتين الحجتين معا"[2].

1- فؤاد شعبان، من أجل صهيون ص 182.

2- بول فندلي، من يجرؤ على الكلام، ص413.

كما كانت الصهيونية المسيحية مؤيدة لإسرائيل وداعمة لها من خلال عدائها السافر للإسلام والمسلمين وتبني الأكاذيب والافتراءات ضدهم وشيطنة صورتهم وزيادتها سلبية وسوداوية.

يقول جارد تيلور رئيس تحرير مجلة الصحوة الأمريكية:

"إن الإسلام بأشكاله وصوره المختلفة يقف اليوم على تقاطع محورين هما من أكثر محاور السياسات الأمريكية المشحونة بالأيديولوجية والمدمرة ذاتيا: الهجرة والعلاقات العرقية، وقد كان من الحماقة إلى حد بعيد السماح باستيراد أعداد غفيرة من المتعصبين ذوي البشرة الداكنة الذين لديهم استعداد لقتل بعضهم بعضاً وقتلنا نحن كذلك من أجل صراعات غامضة في الشرق الأوسط... إن استقدام هؤلاء المتعصبين الذين يعبدون ذات الإله الذي يعبده المسلمون السود هو براعة في الحماقة"[1].

وفي ظل التأييد الأعمى لإسرائيل وفي ظل هذه الصورة القاتمة المظلمة للعرب والمسلمين عند هؤلاء الصهيونيين المسيحيين وجدت إسرائيل والصهيونية تربة خصبة لأكاذيبها وأساطيرها لتشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب.

كيف قامت الصهيونية بتشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب

اتبعت الصهيونية في تحقيق أهدافها في تشويه وتنميط صورة العرب والمسلمين في الغرب عدة أساليب:

أولاً: إطلاق التصريحات من قبل بعض الأكاديميين اليهود أو الصهاينة المدافعين عن إسرائيل بالتحذير من الإسلام والمسلمين والعرب والادعاء بخطورتهم على الغرب وحضارته كما رأينا في الصفحات السابقة.

وقد اتخذت هذه التصريحات في بعض الأحيان طابعا أكاديميا وتم إضفاء صفة علمية عليها، فهذا المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما صاحب نظرية نهاية التاريخ يقول في إحدى المقابلات معه:

1- مايكل كولينز باير كهنة الحرب الكبار ص 217.

لكن الخطر الحقيقي المستقبلي من الإسلام يتمثل في جانبين أساسيين:

1. أسلحة الدمار الشامل وامكانية وقوعها في يد جماعات صغيره تستطيع من خلالها تحقيق دمار كبير للقوى الكبرى.
2. وجود أقليات إسلامية ضخمة في أوروبا وروسيا، وليس بالصورة نفسها في الولايات المتحدة، والتي يبدو من الصعوبة تأقلمها مع نمط الحياة الغربية الليبرالية. وأكد أن نموذج المجتمعات الليبرالية هو البديل الأفضل... [1]

وهكذا فالتحذير هو من أي تقدم علمي يمكن أن يحققه العرب والمسلمون خاصة في مجال أسلحة الدمار الشامل. وحتى يخفي حقيقة أهدافه بمنع امتلاك الدول العربية والإسلامية لهذه الأسلحة، يدعي أن الخوف فقط هو من وقوع هذه الأسلحة في أيدي الجماعات الإسلامية!!

ولهذا السبب فقط قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووي العراقي المصمم للأغراض السلمية ولنفس السبب قامت أمريكا بغزو العراق وتدميره وإعادته إلى العصر الحجري...!

ولنفس السبب فقط تم تدمير مصنع الراية الليبي وفرض الحصار على إيران وشنت الحملات على الباكستان!!

وربما يدخل في هذا الإطار الحملة على كوريا الشمالية!! كل ذلك من أجل ضمان عدم وقوع هذه الأسلحة في أيدي الإسلاميين!

وبالمقابل لا مانع من امتلاك إسرائيل لهذه الأسلحة! فلا خوف بل لا ضير من وقوعها في أيدي المتطرفين هناك!! وكذلك التحذير من خطورة وجود الأقليات الإسلامية في المجتمعات الغربية، ولذلك فكل ما جرى من قتل وذبح وتشريد واغتصاب للمسلمين في البوسنه والهرسك وفي الشيشان وبلغاريا... مبرر ومتفهم!!

وهكذا كل ما يجري للمسلمين من مضايقات في الغرب يمكن أن يفهم في هذا الإطار!

1- «نهاية التاريخ تحت مجهر الفكر العربي» ص90 وفرانسيس فوكوياما مفكر امريكي من اصل ياباني وهو الذي الف كتاب «نهاية التاريخ».

ومن الواضح جدا أن هذه الأقوال وأمثالها ما هي إلا وقودا في ماكينة صنع الصورة النمطية السلبية الجاهزة للعرب والمسلمين في الغرب.

وواضح جداً ايضا ان الهدف من هذه الأقوال ليس إلا صناعة وبث الكراهية في الغرب ضد العرب والمسلمين بل وتبرير كل الجرائم المرتكبة ضدهم هناك.

فهذه الأقوال المفتراه ترسخ صورة العرب والمسلمين كإرهابيين ومتطرفين حاقدين على الحضارة الغربية وقيمها الإنسانية وهم يعملون ليل نهار لدمارها ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾.

ثانياً: تشجيع ورعاية نشر الكتب والروايات التي تسيء إلى الإسلام والمسلمين والعرب وترسم صورة داكنة مظلمة لهم وتعزز من تلك الصورة السلبية التي رسخت في أعماق الغرب.

فقد قام الدكتور «جون لافين» بتأليف كتاب بعنوان «خنجر الإسلام» The Dagger of Slam.

وهدف الكتاب كما يقول الدكتور عبد القادر ياسين الاكاديمي الفلسطيني المقيم في السويد هو النيل من العالم العربي ومن الدين الإسلامي على وجه التحديد فالمعروف أن أحد الرموز السلبية التي يمثل انتشارها في الأدب المعاصر أحد نجاحات الصهيونية العالمية في مجال الرأي العام الغربي هو اعتبار الخنجر اختراعاً عربياً يشير إلى تكريس العرب لأداة الغدر مقابل السيف الذي يمثل الفروسية في القتال ومن هنا كما يقول د. ياسين يكتسب عنوان الكتاب «خنجر الإسلام» مغزاه في هذا السياق.

وهكذا فالخنجر نظراً لقصر طوله يمكن أن يخفى ويكون استعماله بالطعن وغالباً من الخلف وعلى حين غرة فارتبط بالغدر والجبن وهي صفات يحاول الغربيون والصهاينة إلصاقها بالعرب والمسلمين.... أما السيف فيرتبط اسمه بالمبارزه بين ندين وجها لوجه فهو يعبر عن الشجاعة والفروسية والمواجهة.

وبالتالي فخنجر الإسلام يعني ما يعنيه الخنجر واستعمالاته وقد صدر لنفس الكاتب د. جون لافين الطبعة الخامسة من كتاب The Arab Mind «العقل العربي» عن دار Cassell إحدى كبريات دور النشر البريطانية.

وقد وصفته الدكتوره هيلاري بركينز في مراجعة لها للكتاب نشرت في مجلة The Midde East بأنه محاولة لتقديم صورة هي من قبيل الاغتيال الجماعي للشخصية العربية، إضافة إلى هجومه على كل من يدعم نضال الشعب الفلسطيني من أجل الحصول على حقوقه المشروعة.

ومن خلال قراءتنا لمراجعة د. عبد القادر ياسين لهذا الكتاب (العقل العربي) يمكن أن نستخلص عدة نقاط تشير إلى أن مؤلفه يحاول تقديم صورة مظلمة سلبية للعرب والمسلمين بل وللإسلام نفسه!

فمؤلفه جون لافين يقول أن هذا الكتاب يستهدف تحديد بعض الملامح النمطية الرئيسية لما يسميه العقل العربي:

- يحدد المؤلف ملامح معينة للعقل العربي هدفها قولبة هذا العقل ومن يحمله في قالب نمطي واحد بأحكام مسبقة جاهزة رغم وجود اختلافات اقليمية وبشرية بين أجزاء العالم العربي.
- اختلاق خطر عربي على الغرب من خلال الادعاء بوجود نزعة توسعية عند العرب وعدم احترامهم لحدود الدول.
- ادعاء التمييز والتفرقه عند العرب بين الذكر والأنثى في التربية وتوزيع المهمات والمسؤوليات، وادعاء تسلط الرجل على المرأة استناداً لأحكام القرآن!
- مهاجمة اللغة العربية والادعاء بوجود عيوب فيها:

– الخطابية والمبالغة وزيادة التأكيد وكثرة التكرار وعدم قدرتها على التعبير الدقيق!!.

وهذه (العيوب) هي من ميزات اللغة العربية ودقة التعبير فيها الذي يختلف إيجازاً وإطناباً وتكراراً وتأكيداً حسب الحالة المتحدث عنها وحسب الشخص المتحدث اليه...

بل للكلمة المفردة من الخصائص التي تؤخذ بالاعتبار عند التعبير ما جعل اللغة العربية بدقتها في التعبير فريدة بين اللغات في العالم.

ويكفي د. جون أن يعرف أن معجزة الإسلام الكبرى (القرآن الكريم) التي وقف العرب - أصحاب اللغة وأهل الفصاحة والبلاغة- أمامها عاجزين حتى عن مجرد محاولة تقليدها هي معجزة لغوية بيانية.

– الادعاء بأن الأزمنة والأفعال في اللغة العربية مرتبكة ويعزو ذلك إلى «عدم اعتداد العرب بعامل الوقت ودقته واحترامه».

ويقول أن اللغة العربية لا تعرف الماضي من الحاضر والمستقبل ويؤكد أن على اللغة العربية أن تتدارك هذا القصور الفاضح حتى تستطيع مواكبة الحياة العصرية.

وهي ادعاءات باطلة كسابقتها فليس هناك من لغة أوضحت الأزمنة والأفعال كما هي واضحة في اللغة العربية.

وقد اتضح ما يهدف اليه من تشويه من قوله أن عيوب اللغة العربية جاءت من عدم اعتداد العرب بعامل الوقت ودقته واحترامه!

فلا هدف له من هذا الافتراء إلا الصاق صفات عدم الدقة وعدم احترام الوقت وإدراك أهميته بالعرب!!

ويكفي للدلالة على جهله باللغة العربية وحقده عليها قوله عن كتابه (العقل العربي).

"تستطيع أن تقول أن هذا الكتاب ممتع أو مثير للاهتمام بأية لغة أوروبية إلا أنك لا تستطيع أن تعبر عن هذه الفكرة البسيطة باللغة العربية فحتى الاهتمام أو حب الاستطلاع بصيغه المتقدمة لا يمكن صياغته باللغة العربية"!!

- الادعاء بوجود كبت جنسي عند العرب وهذا بالطبع قياساً إلى الانحلال والانفلات في المجتمعات الغربية ولكنه يسوغ وصف العرب بالشهوانيين.
- الادعاء بأن العرب قوم عاطفيون وإن عواطف العرب حادة ومن الصعوبة التحكم بها، وكذلك قوله إن الكراهية متأصلة عند العرب لدرجة أن من السهولة بمكان أن تنفلت من عيارها.

وهكذا فالعرب عنده قوم لا عقل لهم يحكم تصرفاتهم، فهم منقادون خلف عواطفهم لا يملكون كبح جماح الكراهية للآخر المتأصلة في ثقافتهم وعقيدتهم!!

هذا ما يَود د. جون قوله، وهو ما يعبر عن صورة عن العرب راسخة في ذهنه ضارية جذورها في عقيدته وثقافته بمصادرها المختلفة!.

- الادعاء بأن من يتقن لغة أوروبية أو أكثر من العرب، إضافة إلى لغته العربية الأصيلة يجد نفسه على هامش المجتمع العربي معانياً من الازدواجية الثقافية التي تؤدي إلى انفصام ثقافي بين النخبة والجماهير.

وهذا ادعاء كاذب باطل يرفضه الواقع العربي حيث أن اتقان العربي للغة أوروبية أو أكثر اضافة إلى لغته العربية - وهي حالات كثير جداً - لم يؤد إلى قبول هؤلاء لثقافة وضم المجتمعات التي أجادوا لغتها، بل إن تعلم لغات أخرى غير العربية كان في كثير من الأحيان فاتحة لتقدم علمي وتطور عقلي واستفادة من منجزات وتقدم هذه المجتمعات وإفادة المجتمعات العربية بها اضافة إلى توسيع مدارك وخبرات واطلاع الفرد العربي وقدرته على العطاء وخدمة مجتمعه.

- تشويه صورة العرب والمسلمين بالادعاء أن العربي شخص متواكل لا يرغب ولا يقدر على تغيير ما بنفسه لئلا يتعارض هذا التغيير مع إرادة الله!

يقول د. جون «إن العقل العربي المحكوم بالإسلام وبالعيش على أمجاد الماضي الغابر قد اتجه إلى المحافظة أكثر من الابتكار بالقدر الذي اتجه فيه إلى الاستمرارية أكثر من المبادرة...".

وهذه المفاهيم أبعد ما تكون عن الإسلام والعقيدة الإسلامية، التي هي المكون الرئيسي للشخصية العربية كما أكده د. جون نفسه. فالأمر بتغيير الحال إلى الأفضل والأحسن والأخذ بأسباب التقدم والتطور والتغيير هو من أوامر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة للمؤمنين في كل زمان ومكان.

والقدرية بمعنى التواكل وإهمال الأسباب المادية هي مفاهيم تصادم عقيدة الإسلام وسنن الحياة.

وقد رفض الإسلام القعود عن العمل والعيش على أمجاد الآباء والأجداد، وقد كان الإسلام بعقيدته وصياغته للشخصية المسلمة هو الدافع لكافةحركات التحرر من الاستعمار في كافة أرجاء الوطن العربي والإسلامي رفضاً للظلم والاستكانة.

وهذا ما أثار خشية كثر من القوى في الغرب والصهيونية من الإسلام ومن عودته ليحكم حياة المسلمين، فقاموا يحاولون بشتى الوسائل لتشويه صورته واضعاف سلطانه على أتباعه المؤمنين ليمكنوا لاستعمارهم واحتلالهم في بلاد المسلمين ولأطماعهم في نهب ثرواتهم!

- محاولة تبرير الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين والعرب من خلال الادعاء بأن هذه البلاد جنت فوائد عظيمة من ذلك، حيث عرفت الأمة العربية بتخلفها وتقدم الغرب، كما أدى الاستعمار إلى ايقاظ العقل العربي ودفعه إلى احتلال مكانة مرموقة!

وهي ادعاءات باطلة حاقدة، افترتها الصهيونية لتبرير احتلالها لفلسطين حيث ادعت الحركة الصهيونية بأن فلسطين كانت قفراً بلقعا وصحراء قاحلة عمرها اليهود بسرقتها وسيطرتهم عليها... وبالتالي فهم كمن أحيا أرضاً مواتاً أحق بها من أصحابها الذين أهملوها ولم يستغلوا أرضها!!

وهي أكاذيب وافتراءات استعمارية واضحة الهدف مفضوحة الغاية.

فقد كان الاستعمار دائماً سبباً في تخلف وتأخر البلاد العربية والإسلامية التي ابتليت به، حيث دمرّ بنيتها واغتال خيرة شبابها وعلمائها ونهب ثرواتها وخيراتها ثم تركها ضعيفه في قبضة أذنابه وعملائه!!

وهذه الادعاءات هي ترويج للأكاذيب الاستعمارية الصليبية والصهيونية وتبريراً لجرائمهم ضد البلدان التي اغتصبوها وتشويهاً لكل مقاومة لهم ولأطماعهم فيها.

واستمراراً لدفاعه عن الاستعمار وجرائمه في البلاد العربية يشير إلى أن القومية العربية رغم نجاحها في تحرير البلاد العربية إلا أنها ظلت - في رأيه- مصطبغة بالكراهية العميقة للغرب.

ويقول إنه رغم تقدم التعليم والتقدم التكنولوجي ومظاهر التقدم الحديثة التي انتشرت في الدول العربية فإن العقل العربي لا يستطيع أن ينسى أن الغرب كان الجني الشرير والعدو المكروه الذي لا بد من لومه على كل الأزمات والمشاكل التي يعاني منها العرب.

وكـل هـذه الافـتراءات والأكاذيـب هـي ادعـاءات صـهيونية لوصـم العـرب بالحقـد علـى الحـضارة الغربيـة وكـراهيتهم لأسـاليب الحيـاة هنـاك وكـأن هـذا هـو سبب العداء بين الغرب والأمة العربية الإسلامية!

وقد قال د. عبد القادر ياسين في بداية مراجعته للكتاب:

لا أغـالي إذا قلت أن هـذا الـكتـاب يعتبر مـن أبـرز المحـاولات الـتي تقـوم بهـا المنظمة الصهيونية العالمية لتشويه صورة الإنسان العربي.

- اتهام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ابتدع الخلاف بين العـرب واليهـود. وهـو سـبب العـداء بـين الجـانبين، واعتبـار الـصراع العربـي الإسـرائيلي الحـالي امتـداد لذلك الصراع وسيرا على سنة رسول الله في ذلك.

وهـكذا فلا علاقة لاحتلال إسرائيل واغتصابها لأراضـي العـرب، ولا عـلاقـة لطـرد الفلـسطينيين مـن بلادهـم وإقامـة دولـة إسـرائيل عليهـا، ولا عـلاقـة لجـرائم إسرائيل التي ارتكبتها ضد العرب في الصراع، فكل ما في أمر الـصراع أنـه فتنـة لا أكثر أشعل نارها المسلمون الأوائل!

وأي شـهادة أكـبر مـن ذلـك علـى صـهيونية المؤلـف «جـون لافـين» وصـهيونية دوافعه وأهدافه.

وكما قلنا أكثر من مرّة أننا لا ننوي من ايراد هذه الأقوال والافتراءات الرد عليها فلذلك مكاناً آخر، ولكن ما نهدف اليه هو بيان ما تقوم به كثير مـن القـوى المعادية لأمتنا العربية الإسلامية من الاساءة اليها وتشويه وقولبة صورتها وفق أحكام مسبقة راسخة في ثقافة وعقيدة هذه القوى ومنها الصهيونية.

ومـن الأسـاليب الـتي اتبعتهـا الـصهيونية في تـشويه صـورة وسمعـة العـرب والمسلمين في الغـرب: نـشر القـصص والروايـات عـن أحـداث معينـة حـدثت في الـوطن العربي والإسلامي وملء هذه القصص والروايات بالأكاذيب والافتراءات والخيـالات المريـضة والادعـاء بـأن مـا ورد فيهـا هـي حقـائق تعـبر عـن واقـع وحـال الأمـة العربيـة وثقافتها.

ومـن هـذه القـصص مـا نـشرته الـكاتبـة والمحاضـرة الأمريكيـة الـصهيونية «جين ساسون» عن حياة بعض الأميرات في المملكة العربية السعودية.

وقد ملئت هذه القصص بالدس والافتراء لخدمة أهداف الكاتبة الخبيثة التي ادعت بأن ما ورد في هذه القصص وقائع حدثت فعلياً.

ومن هذه القصص «سمو الاميرة» و«بنات سمو الاميرة» و«حلقة الاميرة سلطانه» و«لأنك ولدي» عن افغانستان.

وقد ترجمت هذه الافتراءات إلى اللغة العربية وصدرت عن شركة المطبوعات للتوزيع في لبنان.

ومن قراءة هذه القصص والروايات التي تدعي مؤلفتها صدق ما ورد فيها- فإننا نؤكد بأن كل ما ورد فيها إن هو إلا افتراءات ليس لها من هدف إلا تلطيخ صورة العرب والمسلمين وزيادتها سوداوية في الذهن الغربي، فهي:

1. تشوه صورة المجتمع السعودي كمجتمع اسلامي بالادعاء الكاذب بانتشار الخيانات الزوجية والعلاقات غير الشرعية بين الأسر، واستشراء التفكك الأسري في المجتمع السعودي.

وهي أكاذيب تقولها على لسان (أميرتها):

"امرأة تريد أن تخسر حياتها؟ وأكدت له انه عندما تسافر فتياتنا يبحثن عن شركاء جنسيين ويقدمن هديتهن الأثمن إلى غرباء... وهذا موضوع معروف، فزمن العذارى بدأ يتلاشى من أرضنا" (سمو الامير، ص252).

وهذا دس رخيص وافتراء واضح الهدف! فهل المرأة السعودية والمقصود كل امرأة مسلمة لا تسيء التصرف داخل بلادها خوفاً من القتل حتى إذا غادرت بلدها انقلبت خلقاً آخر فهي التي تبحث عن شريك حتى أنه لم يبق منهن من لم تنحرف كما تفتري الكاتبة الصهيونية؟!

أهذا حال المرأة في بلادنا العربية والإسلامية؟!

2. انتشار المتاجرة بالنساء وشراؤهن من أولياء أمورهن من الدول الإسلامية والآسيوية والادعاء بعدم وجود ما يمنع ذلك في المملكة العربية السعودية.

فالكاتبة تفتري على لسان الاميرة المختلقة قولها:

"ترى الفساد الخلقي معششاً في أرواحنا القائمة فيتم استعباد الشابات لأغراض جنسية والأنكى من ذلك أن الوسائل القانونية غير متوافرة أمام الناس الشرفاء لتحرير أولئك النساء، شعرت بالغضب والخجل الشديد من بلادي ومواطنيها" (حلقة الاميرة سلطانة ص164).

ولا يشك عاقل في أن مثل هذا الكلام هو مجرد كذب واختلاق خدمة لأغراض خسيسة عند الكاتبة ومن وراءها، فليس هذا الكلام إلا شيطنة للعرب والمسلمين وتقبيحا لصورتهم في الغرب.

3. الادعاء بوجود صراع مرير وتنافر شديد بين الرجل والمرأة في المجتمع السعودي (والمقصود كل مجتمع اسلامي) فالأب ضد ابنته والزوج يكره زوجته والأخ يظلم شقيقته، فالكل ضد المرأة وضد نيلها لحقوقها وضد عملها بل حتى ضد خروجها من بيتها. وهكذا يصور البيت السعودي والبيت الإسلامي بأنه أوهن من بيت العنكبوت، فهو خال من المودة والرحمة والسكينة، فالكل يكيد للكل ويتآمر عليه، فالأميرة المختلقة تقول "على كل امرأة سعودية أن تجمع ما يكفي من الحجارة لترجم بها الرجال" (حلقة الأميرة سلطانه ص58).
وهي تقول أيضاً: "من يدري ما الذي يخططه الرجال ضد النساء الصالحات".
وهذه نظرة صهيونية صليبية دمرّت الأسرة في الغرب بافتعال الحروب بين الجنسين وبث الكراهية بينهما، وتعمل الكاتبة وأمثالها لنقلها إلى مجتمعنا لتفكيك الأسرة وتدميرها.

4. تشويه الصورة المشرقة للدين الإسلامي بالادعاء بأن كثيراً من الظلم والانحراف في المجتمعات الإسلامية والعربية لها جذور في الدين الإسلامي.

فهي تقول على لسان الاميرة سلطانة التي اختلقتها خيالات الكاتبة:

ضجراً من عدم قدرتها على ممارسة أي هواية أو الحصول على سعادة: "وكيف عساي أفعل ذلك؟ فالحجاب يتدخل في كل ما أقوم به! لا أصدق أن الحظ خاننا وجعلنا نولد في بلد يجبر نساءه على وضع أكفان سوداء.." (حلقة الأميرة سلطانه ص77).

وهي تختلق على لسان أميرتها تعليقاً على رجم زانية قولها:

«عدت إلى جناحي، حملت طفلي بحنان كبير وفكرّت في الراحة التي شعرت بها لأنه ليس من الجنس الاضعف تطلعت إلى وجهة الصغير بعجب، هل سيتمسك هو أيضاً وبالتالي يقوّي النظام الذي كان على هذا القدر من الظلم لوالدته وشقيقاتها؟ نظرت في امكانية أن يتم قتل جميع الإناث لدى ولادتهن في أرضي... جاشت مشاعري حيال زوجي وأنا أرى أنه لم يبال كثيراً بمصير فتاة وضيعة، تنهدت تنهيدة كبيرة وشعرت بالوحدة وبالخوف مما قد أواجهه أنا وبناتي المستقبليات في السنوات القادمة" (سمو الأميرة ص240).

فانظر إلى هذا التشويه وكأن رجم زانية يعني بأن الرجم هو مصير كل فتاة وامرأة! حتى أنها تقترح قتل كل مولودة أنثى لتخليصها من الظلم الذي سيقع عليها!

وكل هذا فحيح لا يصدر إلا من أفعى صهيونية تنفث سمومها لتلطخ صورة الإسلام والعرب والمسلمين والتأليب ضدهم في المجتمعات الإنسانية وخاصة الغربية منها.

وإلا فما علاقة رجم زانية بالخوف على كل امرأة وفتاة من نفس المصير؟! لا شك أنه ما من علاقه بين هذا وذاك إلا أن ذلك يعبر عن أمنية تعمل الكاتبة وأمثالها على تحقيقها في العالم العربي والإسلامي.. وهي أن تصبح كل امرأة وكل فتاة مثل هذه المنحرفة وبالتالي لا بد من العمل على حمايتهن والدفاع عنهن!

وتشويه كل مظهر إسلامي بالأكاذيب والافتراءات يملأ كتبها فهي تفتري على لسان الأميرة سلطانه قلقها الشديد لأنها رأت إحدى بناتها تصلي: "هرعت نحو زوجي وقلت له بلهجة عنيفة إن أماني تصلي! ...صرخت به أجل إنها تتعب نفسها بالصلاة... تعال انظر بنفسك. وضع كريم القرآن على طاولته بتردد وتبع زوجته مشككاً... ثم يقول كريم مطمئناً زوجته... سوف ترين ما إن نعود إلى نظام حياتنا العادية حتى تعود مجدداً إلى هواية تجميع الحيوانات الشاردة وسرعان ما تنسى تطرفها الديني" (بنات سمو الأميرة ص175).

فهل قيام بنت بالصلاة يستدعي كل هذا القلق والخوف عليها من الانزلاق إلى التطرف؟! وهل يتطلب ذلك التطمين بأن هذا الأمر ما هو إلا سحابة صيف سوف تتقشع قريباً؟!

وتقول الأميرة المختلقة عن ابنتها:... "فتابعت أماني بعد أن ينتهي دوامها في المدرسة جلسات قراءة القرآن اليومية مع أقربائها اللواتي كن يرغبن في العودة بنا إلى عصور الظلمات" (بنات سمو الاميره ص225).

فهل قراءة القرآن تعيد القارئ إلى عصور الظلمات؟ وهل من مسلم يقول ذلك؟!

5. اختلاق أقوال على لسان بعض العرب والمسلمين ممن تدور هذه القصص حولهم فيها ذم وتحقير وشتائم للعرب.

فهي تفتري على لسان خادم يدعى عمر سوداني الجنسية يعمل في بيت الأميرة قوله: "لا يحمل عرب هذه المنطقة في قلوبهم سوى القليل القليل من الإنسانية ولم أشهد شخصياً فعلا ينم عن اللطافة منذ زمن بعيد جداً".

كما تنقل على لسان الأميرة قولها عن الأزواج الغيورين على زوجاتهم:.. "إنهم غير عقلانيين. وتردف: وهذا ليس بالشيء الغريب لدى المسلمين والعرب" (حلقة الأميرة سلطانه، ص210).

"كما ثمة رجال بدو يعاملون جمالهم أفضل مما يعاملون نساءهم فمن المألوف أن ترى فصال الجمال في المقعد الأمامي من شاحنة مكيفة فيما تقبع النساء المحجبات في القسم المفتوح في الخلف" (حلقة الأميرة سطانه ص201).

ولا قصد من هذه الافتراءات إلا ترسيخ الصورة السلبية النمطية للعرب والمسلمين كبدو راكبي جمال ومحتقرين للمرأة ومقيدين لحريتها وحركتها!

انظر إلى هذا القول المكذوب على لسان الاميرة المكذوبة سلطانه عن بعض سنن الفطرة في الإسلام- إزالة شعر الإبط...- "وأعلنت جهاراً أن هذه المسألة تثبت أننا نحن السعوديين أشبه بالدواب التي تفتقر إلى الخيال! نسلك المسار المتعب نفسه كالدابة، حتى ولو أدى بنا ذلك إلى السقوط في الهاوية. ولن نتطور ونخلف حقبة اولئك البدائيين وراءنا، إلا إذا تطورنا كالحصان ذي الصحة وامتلكنا إرادة قوية خاصة بنا" (سمو الاميرة ص188).

هل من سعودي بل عربي يقول هذا الكلام؟! كلا ولكنها نفثة صهيونية حاقدة... لا تهدف إلا إلى تشويه صورة العرب والمسلمين وتحقيرهم...

وتقول الأميرة سلطانه - فيما تفتريه الكاتبة عليها من أكاذيب- عن رجل عربي مصري «تطلعت نحو الرجل عن بعد فلاحظت أن أنفه طويل ومنحن قليلاً وأن عظام خديه بارزة وأن له لحية كثيفة» (بنات سمو الأميرة ص181) وتقول عن هذا الرجل:.. "إنه يكره النساء".

ولا شك أن الكاتبة الصهيونية تحاول هنا أن تكرر أوصاف الشخص العربي في الذهن الغربي ..بأنف طويل معكوف ولحية وشارب غليظ.. وهي صورة وردت كثيراً في الأفلام والروايات الغربية.

وتواصل الكاتبة الصهيونية جين ساسون في كتابها «لأنك ولدي» - امرأة افغانية تبحث عن طفلها المفقود- «مسيرة الافتراءات والأكاذيب واختلاق الأحداث لتشويه صورة المرأة الأفغانية وافتعال كثير من المعاناة لها وذلك لتشويه صورة المرأة وصورة الإسلام والربط بينه وبين أي مظاهر سلبية موجودة في افغانستان ولتبرير الغزو الأمريكي والادعاء بأن من أهدافه تحرير المرأة ورفع المعاناة عنها!

تقول بطلة القصة الأكذوبة «علمتني حياتي في افغانستان ثم في السعودية أن النساء لا يملكن من الأمر شيئاً، وأن حياتهن في خطر دائم..." (لانك ولدي ص362).

وغير ذلك من الأقوال المفتراة والموضوعة على ألسنة نساء في الرواية لخدمة أهداف صهيونية خبيثة بتشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب وزيادة وتعميق النظرة السلبية لهم هناك.

ففي كل كتاباتها تظهر العرب والمسلمين بصورة قاتمة داكنة، رجالهم شهوانيون، مضطهدون للمرأة محاربون ضد حصولها على أي من حقوقها، وبيوتهم أوهى من بيت العنكبوت فلا مودة ولا سكينة فيها.

نساؤهم مضطهدات مهضومات الحقوق يعشن في أوضاع مزرية لا يحظين بما تحظى به الحيوانات من الاحترام! يعشن في قلق دائم وخطر داهم يتهدد حياتهن في أي لحظة!

«إن النساء لا يجدن متعة في هذه الحياة، وبرأيي سيكون من الأفضل أن تموت كل النساء»(*) (بنات سمو الأميرة ص337).

والعرب والمسلمون بدائيون متخلفون أنوفهم معكوفة قساة قتلة وقاطعي رؤوس.

وكل هذه النعوت والأوصاف تأتي على لسان أميرة عربية أصيلة، اختلقتها عقلية صهيونية استعمارية لأهداف واضحة مفضوحة مكشوفة!

وفي دراسة قامت بها بعض المتخصصات الأمريكيات لروايات أمريكية عن العرب يمكن الاستنتاج أن هذه الروايات تبين:

1. أن الحب يقع بين عربي أسمر وأمريكية بيضاء، وأن الأمريكية البيضاء تبقى أكثر حضارة وتمدناً من العربي الأسمر وبالتالي:

- تتمكن الأمريكية البيضاء المتحضرة من ترويض هذا الأسود المتخلف واخراجه من حياة البداوة والتخلف وتستعمره "فلا ينتصر التأخر على الحضارة".

(*) وليس شق الجيوب هذا واللطم الكربلائي حزنا على نساء العراق اللواتي قتلت الديمقراطية الغربية أزواجهن وأبنائهن وآبائهن ودمرّت أسرهن، ولا على نساء فلسطين اللواتي يعانين منذ عشرات السنين من جور وظلم الاحتلال الإسرائيلي الجاثم على الأرض والقلوب، والذي قتل وأسر عشرات الآلاف من الأزواج والأبناء والآباء، وأهلك الحرث والنسل، ولا عن نساء أفغانستان ولا البوسنه اللواتي قتلن واغتصبن بالآلاف فذلك لا يعني للغرب الحر الديمقراطي شيئا!

بل تقول ذلك حسرة وكمداً على النساء السعوديات لأنه لا يمكنهن قيادة السيارات ولا يملكن (حق) الاختلاط والسفور...!

- نتيجة هذه الهزيمة يتبنى هذا العربي الأسود ثقافتها، ثم يتجنس بجنسية وطنها الحضاري. فهي تتساءل: (لماذا ترك وطنه وجاء إلى وطني).
- ازدياد استعلاء الأمريكية نتيجة قناعتها بأن الرجل العربي ترك بنات وطنه واختارها فهي تسأل نفسها: (لماذا ترك بنات وطنه واختارني؟ لا بد أني أحسن منهن ولا بد أنني أحسن منه).

2. إن المرأة العربية لا تزال تعيش في مرحلة الحريم بدون استقلالية.
3. إن العربي منفصم الشخصية وغير مفهوم فلا هو هنا ولا هو هناك.

وكل ما يؤخذ من هذه الروايات يؤكد على الصورة التقليدية السلبية للعرب والمسلمين في الغرب ويعمق جذورها في الذهنية الغربية، اضافة إلى اظهار تفوق الغرب وحضارته على العرب والمسلمين.

فالعربي أسود، متخلف، شهواني، بدوي يشعر بالهزيمة النفسية تجاه الإنسان الغربي وحضارته.

والمرأة العربية مستعبدة محجوبة عن الحياة تابعة للرجل بل هي من ممتلكاته.

وقد حاولت الروايات تسخير هذه الصورة السلبية للعرب والمسلمين في الغرب لخدمة ادعاءاتها بتفوق الحضارة والإنسان الغربي على الإنسان العربي فلا ينتصر التأخر على الحضارة، وكذلك فالإنسان العربي يفضل العيش في الغرب حيث الحرية والديمقراطية والتفوق الحضاري وهو ما يؤدي إلى شعور الإنسان الغربي بالتفوق والاستعلاء.

وقد رأينا في الصفحات السابقة كيف شوهت وسائل الإعلام الغربية من صحف ومجلات وإذاعات تلفزيونية وسينما.. وبما يقدم فيها صورة العرب والمسلمين وشيطنة هذه الصورة وزادتها سوداوية في الذهن الغربي.

ولا يخفى على أي كان ملاحظة أثر الأصابع الصهيونية التي عبثت بوسائل الإعلام الغربية وساهمت في توجيهها إلى كل ما يسيء إلى العرب والمسلمين ويسهم في تنميط صورتهم وزيادتها سلبية وتشويها في المجتمعات الغربية.

الفصل الخامس

الدور الاسرائيلي في صناعة الصورة النمطية للعرب والمسلمين في فلسطين

أدركت الحركة الصهيونية أن مشروعها الاستعماري في اقامة إسرائيل في العالم العربي الإسلامي لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا بالمجازر والجرائم والافتراءات على الله وعلى التاريخ.

فمنذ شرعت الصهيونية بمعاونة الدول الغربية في تنفيذ مشروعها ارتكبت الكثير من المذابح وعمليات القتل بهدف إجبار السكان أصحاب فلسطين الأصليين على تركها ليحل محلهم يهود مهّجرين من بلادهم الأصلية بالترغيب والترهيب.

وقد أصبح من الثابت تاريخياً اليوم وجود علاقات وثيقة بين الحركتين الصهيونية والنازية لتهجير اليهود من أوروبا إلى فلسطين بعد اشعارهم أنهم غير آمنين على أنفسهم وأموالهم بما ارتكبته النازيه ضدهم من مجازر(*)

وكذلك كانت هجرة اليهود من البلاد العربية كالعراق هجرة قصرية تمت بأيد يهودية صهيونية(**).

ولتثبيت هذا الكيان الدخيل في بلاد العرب والمسلمين ولإيجاد شرعية له فقد عملت الحركة الصهيونية وابنتها إسرائيل على احتلال العقول بعد احتلال الارض لشرعنة ادعاءاتها وأكاذيبها، ولتسخير أصدقائها وأنصارها وتأليبهم ضد العرب والمسلمين.

وقد اتبعت الصهيونية في سبيل ذلك عدة أساليب ووسائل كاستغلال الدين المحرف في الغرب وتسخيره في خدمة أهدافها وجعله أحد أهم مرتكزات اللوبي اليهودي في الغرب.

وقد قامت إسرائيل بتعديل المناهج الدراسية في الأراضي الفلسطينية المحتلة بما يهيء عقول النشء العربي لقبول ادعاءاتها.

(*) وإن كانت هذه المجازر قد تعرضت إلى التضخيم كثيراً من قبل الحركة الصهيونية.

(**) وقد اعترف شلومو هليل بأنه ارتكب بعض اعمال العنف ضد يهود العراق لإشعارهم بعدم الأمان وإجبارهم على ترك العراق والهجرة إلى فلسطين جاء ذلك في كتابه "رياح شرقية" الذي أصدرته دار الجليل في عمان تحت عنوان شلومو هليل وتهجير يهود العراق.

كما طالبت بتعديل المناهج الدراسية في الدول العربية التي وقعت معها اتفاقيات سلام لتسهيل قيام التطبيع بينها وبين هذه الدول.

يقول «جاكوب كلا تزمان»:

«تؤلف دبابات السنتوريون عاملاً من عوامل الأمن والسلامة على المدى القريب، ولكن المدرسة والجامعة هي العوامل الأكثر أهمية بالنسبة للمستقبل البعيد، وإذا ما ابتلي المستقبل الثقافي الإسرائيلي بالركود والجمود بينما يأخذ مستوى الأعداء بالصعود فإن أيام استقلال إسرائيل معدومة. إن التربية هي أيضاً من مستلزمات الدفاع الوطني...».

ونحن هنا نريد بحث دور إسرائيل وأساليبها في صناعة الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين وتحقيرهم وشيطنتهم في عيون الآخرين وسلب الصفات الإنسانية عنهم بتشويه عقيدتهم وتاريخهم بما يسهل تحقيق أهدافها وترويج ادعاءاتها.

وقد تم لها ذلك من خلال:

1. الاستشراق الإسرائيلي:

وله العديد من المؤسسات والجامعات والمعاهد العلمية التي تقوم بالكثير من الدراسات والأبحاث عن العرب والمسلمين والإسلام وعقائده وحضارته وتاريخه وعن القرآن الكريم وعلومه واللغة العربية وآدابها.

ويتم تسخير كل هذه الدراسات والأبحاث لخدمة أهداف إسرائيل العدوانية تماماً كما كان الاستشراق الغربي دوماً في خدمة الاستعمار والتنصير في البلاد العربية والإسلامية.

وقد كان للاستشراق الإسرائيلي دوراً كبيراً في تشويه صورة العرب والمسلمين وقولبة هذه الصورة بشكل جامد سلبي من خلال تشويه السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي وإلصاق نعوت وتهم بالعرب والمسلمين وبدينهم.

ففي دراسة يتسحاق بن تسفي أحد زعماء الصهيونية وأحد رؤساء إسرائيل زعم أن العرب ليسوا أمة واحدة بل هم خليط من طوائف وقبائل.

فالعرب بروابط اللغة والدين والتاريخ المشترك والحضارة ليسوا أمة واحدة!

فما قوله عن اليهود الذين لا رابط بينهم من لغة ولا وطن ولا تاريخ؟ بل هم شذاذ آفاق جمعوا من مختلف أصقاع الأرض؟

وقول بن تسفي السابق لا يختلف عن أقوال المستشرقين الغربيين الذين يصفون العرب بأنهم بدو رحل لا يعرفون الاستقرار.

وهو تجاهل لأثر الإسلام العظيم الذي وحّدَ العرب وجعلهم أمة واحدة متآلفة ذات رسالة وشأن وحضارة، نورها يضيء بقاع العالم.

وفي افتراء عزرائيل كارلباخ الأكاديمي الإسرائيلي جاء:

"الخطر يكمن في تصور المسلمين الاستبدادي للعالم من حبهم للقتل المتأصل في دمائهم، من افتقارهم إلى المنطق في أدمغتهم السريعة الانفعال... إنهم عاطفيون ومختلون، وعديمو العقل. إن الإسلام عدو كل تفكير مثمر، وكل زمام مبادرة طيب وكل فكرة منتجة. إنه لم يقدم قط أي فضل في الماضي، ولن يقدم أي جميل في المستقبل... إنه الظلام والرجعية، والسجن لخمسمائة مليون مسلم".

وفي هذا الافتراء الصارخ نجد تشويها لصورة العرب والمسلمين ولعقيدتهم وإلصاق صفات ونعوت خبيثة بهم، مما يسهم في رسم وترسيخ الصورة الكالحة السوداوية لهم في الأذهان فهم:

- يحملون تصوراً استبداديا للعالم لا يقبل الآخر بل ويعاديه.
- قتلة والقتل متجذر في عقيدتهم وفكرهم.
- عاطفيون وانفعاليون لا يحكمون العقل ولا يرجعون إليه بل هم مختلو العقل بل لا يملكونه أصلاً!
- الإسلام دين عدو العقل والمنطق والتقدم يأسر أتباعه داخل سجن من الظلام والرجعية.
- لم يقدم الإسلام أي شيء مفيد للإنسانية!

وهي أكاذيب تنطلق من عقلية توراتية تلمودية تحقد على العرب والمسلمين بل وتعادي الإنسانية جميعها.

ولسنا هنا بصدد الرد على هذه الافتراءات التافهة. فلا العرب جميعاً عاطفيون ومختلو العقل أو منعدموه(*).

ولا الإسلام سجن ولا ظلام بل هو نور وإطلاق للطاقات ودعوة للتفكير والبحث.

وقد قدم الإسلام للإنسانية حضارة عالمية وعلماء عمالقة في كافة التخصصات خدموا الإنسانية وساهموا في رفعتها وتقدمها.

وهناك في كتابات المستشرقين الإسرائيليين كثيرا من التجني والأكاذيب على القرآن والسيرة النبوية والشريعة الإسلامية، ولكننا نكتفي بما أوردناه لبيان أثر الاستشراق الإسرائيلي في تشويه صورة العرب والمسلمين وتنميطها في الأذهان.

2. المناهج الدراسية:

للمناهج الدراسية دور كبير في صياغة عقل الطالب وتوجيه سلوكه وتجديد مواقفه من القضايا المختلفة وخاصة القضايا الوطنية التي تتعلق بروابط الإنسان بوطنه وانتمائه له وتحديد مواقفه من أصدقاء وطنه وأعدائه.

ومن هنا كانت المطالبات الملحة بتعديل المناهج الدراسية لها أولوية في اتفاقيات السلام التي عقدت بين إسرائيل ودولاً عربية. حيث أن هذه المناهج ونظرتها إلى إسرائيل والإسرائيليين قبل السلام لا يمكن أن تتناسب مع قبول إسرائيل كدولة طبيعية في المنطقة.

ومن هنا كان اهتمام إسرائيل الكبير بمناهج التعليم عندها وإخضاعها إلى فلسفة الحركة الصهيونية وتوجيهها لخدمة إسرائيل وأهدافها، ولا شك أن تشويه صورة العرب والمسلمين في نظر الإسرائيليين والعالم كان دوماً على رأس أهداف التربية والتعليم في إسرائيل لما في ذلك من تحقيق لمخططاتها وتبرير لجرائمها وأعمالها العدوانية.

(*) بل إننا عندما ننظر إلى ما يقوم به (مختلو العقل) اليهود كحرق المسجد الأقصى وجريمة الحرم الإبراهيمي سنة 1994 نتمنى ان نجد مختلاً عربياً واحداً فقط.

ففي استطلاع الرأي أعده تسماح (Zemach 1980) تبين ان هناك ميل نمطي يسود في أوساط الشباب اليهود نحو النظر إلى جميع العرب، أينما كانوا في دولة إسرائيل أو خارجها باعتبارهم جمعاً يشكل تهديداً ويضمر النوايا السيئة.. كما يبرز هذا الاستطلاع مستوى يبعث على القلق من التأييد للتدابير القانونية والسياسية التي من شأنها أن طبقت الحد من حرية المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل وتقييد حقوقهم المدنية وحتى حقوق الإنسان الواجبة لهم»[1].

وهي صورة تشير - كما يقول ريزيفل وموداك- إلى العنصرية التي يعاد انتاجها في أنماط خطاب النخبة كالصحف والكتب الدراسية والخطاب الأكاديمي والخطب السياسية والحوارات البرلمانية العنصرية التي تنفذ بعد ذلك وتسن في حقول اجتماعية أخرى كالجيش مثلا[2].

ومن خلال الاطلاع على عدة كتب ودراسات تعرضت لصورة العرب والمسلمين في المناهج الإسرائيلية تبين أن هذه الصورة كما يلي:

الفلسطينيون:

- إرهابيون، قتلة، متسللين، سبب إذكاء الصراع وإشعال نار الخلاف، بل هم بحد ذاتهم مشكلة ينبغي البحث لها عن حل وكذلك فالفلسطينيون عمالة رخيصة.

وقادة الفلسطينيين كياسر عرفات تجسيداً لهتلر وتشخيصاً للشيطان! ومنظمة التحرير الفلسطينية قبيلة من القتلة.

ويرسم الفلسطينيون أو يتم إظهارهم ملثمين مدججين بالسلاح!

- هم عرب إسرائيل أجانب ودخلاء غزاة.
- ينظر اليهم على أنهم يشكلون مشكلة ديمقراطية لإسرائيل يمكن أن تتمدد وتتوسع وتتطور إلى تهديد ديمغرافي، ولذا يجب التحكم بهذه المشكلة ومحاصرتها.

1- نوريث بيلد- الجنان «فلسطين في الكتب المدرسية ص101.

2- نفس المرجع.

- العرب بشكل عام والفلسطينيون منهم بالطبع يظهرون:
  - بدو رحل ومزارعين بدائيين يتبعون الأساليب التعليمية القديمة في الحرب والحصاد.
  - خانعين، منحرفين، مجرمين، أشرار، جبناء، متوحشين سفاحين، متآمرين لصوص، ناهبين، وغير حضاريين، ويعتمدون في معيشتهم على النهب والسلب والأعمال الوضيعة، بل هم كالزواحف (الأفاعي والحيات).

    وهم قبائل متنافرة ومتشردين وتجار رقيق.
  - واذا رسمت صورة للعربي فيظهر في سروال على بابا أو يرتدي جلباباً ويضع كوفية على رأسه ويطلق شاربه ويقود جملاً.

    والعرب يحملون صفات سلبية بطبعهم أو بالوراثة.
  - وصورة الفلاح العربي في سوريا والعراق ومصر جاهل متخلف يتبع الأساليب البدائية في عمله.
  - أما المسلمون الأوائل الذين نشروا الإسلام في العالم فتظهر صورتهم كمتوحشين وغير حضريين، أجبروا الشعوب الأخرى على اعتناق الإسلام بالسيف ولا يعرفون رحمة ولا شفقة.
  - الاساءة للمرأة العربية وتشبيهها بالجواري مسلوبة الحقوق... ولنا أن نتخيل صورة العربي والمسلم المشكلة والمركبة من كل هذه الصفات في الذهن الإسرائيلي!

ولنتصور ما هو انعكاس هذه الصورة السلبية الكالحة على سلوك وتصرفات الإسرائيليين تجاه العرب؟

كيف سيتعامل التلميذ اليهودي مع من يجلس معه على نفس المقعد في المدرسة إذا كان هذا عربياً؟

وما وجه الغرابة فيما يرتكبه الجندي الإسرائيلي من جرائم إذا كانت هذه الصورة للعرب والمسلمين هي التي تربى عليها وشب وهو يحملها؟!

وقد بين الدكتور جوني منصور الباحث الأكاديمي الفلسطيني في محاضرة له في مركز الرأي للدراسات بعنوان صورة العرب وفلسطين في المناهج وكتب التدريس في (إسرائيل).

إن الكتب المدرسية الإسرائيلية تقدم صوراً نمطية وتعتمد التحيز والتحامل في وصف الفلسطيني وهو ما يساهم في ترسيخ التحيز ونزع الصفة الشرعية وتصنيف الجماعات إلى فئات اجتماعية سلبية تتسم بالتطرف بحيث يتم اقصاؤها من الجماعات الإنسانية التي ينظر اليها على أنها تتصرف ضمن حدود القواعد والقيم المقبولة.

وكشف د. منصور أن الكتب المدرسية الإسرائيلية حتى بعد اتفاقات أوسلو لا تشتمل على أي جانب ثقافي أو اجتماعي ايجابي من حياة الفلسطينيين أو عالمهم سواء كان ذلك بالنص أو بالصورة... كما بين أن هذه الكتب لا تتضمن صورة فوتوغرافية للإنسان الفلسطيني، بل تمثله في أيقونات عنصرية أو صور تصنيفية تحط من شأنه وقدره وتسمه بسمات الإرهابي واللاجئ والمزارع البدائي.

فالعربي في كتب الأطفال الإسرائيليين انسان ذو وجه غليظ مثير للرعب متوحش ومزارع متخلف حضارياً ومزواج كثير النسل.

والإيجابية الوحيدة عنده أنه يعمل أحياناً كعميل لإسرائيل فيساهم في حفظ أمنها!

وهو حسن الضيافة أحيانا!

فماذا يتوقع من الطفل الذي سيربى وينشأ على هذه المناهج؟ كيف سيتصرف الجندي الإسرائيلي الذي درس وتعلم وشب على هذه المناهج؟

وقد عملت إسرائيل على تحريف المناهج الدراسية في المناطق المحتلة لتنسجم مع تلك المناهج التي تدرس للكلية والتلاميذ واليهود عبر المراحل الدراسية المختلفة.

وغرس هذه الصورة المشوهة يتم من رياض الأطفال حيث يغرس في ذهن الطفل الإسرائيلي صورة مشوهة سلبية للعرب والمسلمين تمهيداً وتهيئة لدور هذا الطفل في خدمة مخططات إسرائيل ومشاريعها.

ففي تحليل للصحفية الإسرائيلية «تسيدره شاردني» حول كتب الأطفال في إسرائيل جاء فيه:

"إن كتب الأطفال هي من الوسائل المستعملة في تربية الأطفال لتطوير عواطفهم وتفكيرهم وطاقاتهم، وتصطحب هذه الكتب الطفل من الروضة وعبر مراحل المدرسة ومسيرة تطوره جميعاً وبهذه الكتب يمكن اخصاب خياله وتربيته على المحبة والصداقه والتفاهم والتسامح وبها يمكن تربيته على القسوة والكراهية والتعصب القومي المتطرف والاستهانة بحياة الناس.

ومن المؤسف أن تظهر في السنوات الاخيرة كتب أطفال جديدة في إسرائيل كل غايتها التربية بروح التعالي القومي وكراهية الشعوب المجاورة العربية.

وتطبع عشرات المطابع عشرات الآلاف من النسخ في موضوع اليهودي والطفل اليهودي ينتصر على العرب"[1].

وكذلك أكد البرفسور الإسرائيلي «دانييل بارتلي» أستاذ علم النفس السياسي في جامعة تل أبيب هذا الدور الخطير للمناهج الإسرائيلية بقوله:

"إن المناهج الدراسية الإسرائيلية تعطي صوراً سلبية عن العرب لدى الأطفال اليهود بحيث يبقى العرب في تصورهم مفرده ملازمة لصفات سلبية شريرة وتهدف هذه المناهج إلى تنشئة مواطنين يؤمنون بالمبادئ الصهيونية في حين تتجاهل وجود العرب"[2].

3. صورة العرب في الأدب العبري:

لا تقل صورة العرب والمسلمين في الأدب العبري سوءاً إن لم تزد - عن صورتهم في الكتب الدراسية فهي صورة تلصق بها أحط التهم وأسوأ الصفات وتسير

1- محمد مختار المفتي، فلسفة واهداف تربية الطفل اليهودي ص158.

2- بحث على الانترنت بعنوان صورة المجتمع العربي في مناهج تدريس اللغة العربية في اسرائيل للدكتور ابراهيم نصر الدين.

في نفس الطريق الذي يسهم في تشكيل عقول ومواقف الناشئة والشباب الإسرائيليين تجاه العرب وقضاياهم وحقوقهم!

ففي قصة بعنوان مقاصة الأثر من الحدود الشمالية للقاص اليهودي الإسرائيلي «عوديد بيتر» يصور مستوطنة إسرائيلية وادعة مسالمة في شمال فلسطين (إسرائيل) تتعرض لعدوان العرب الذين يعكرون صفو الحياة بهجماتهم المتواصلة ويطلقون النار على المدنيين العزل ويزرعون الألغام في طريقهم حتى أصبحت حياة سكان المستوطنة جحيماً لا يطاق مما اضطرهم إلى قضاء معظم أوقاتهم في الملاجئ.

ويظهر في القصة تعليق أحد الجنود الإسرائيليين على هذه الهجمات بقوله:

«أي نوع من الرجال هؤلاء العرب لماذا لا يقتلون إلا العزل من الأطفال والنساء والشيوخ! لماذا لا يقاتلونا نحن الجنود».

وهكذا تعرض هذه القصة أحداثها بكل براءة وكأن:

- المستوطنون الصهاينة مواطنون مدنيون مسالمون يعيشون في بلادهم!
- هجمات العرب عليهم لا مبرر لها وكأن العرب لصوص وقطاع طرق ليس إلا!
- جبن العرب الذين يتعرضون للمدنيين وخاصة الأطفال والشيوخ والنساء ولا يجرؤون على مواجهة الجيش الإسرائيلي!
- إغفال كون معظم مواطني «إسرائيل» عسكريين يخدمون في الجيش الإسرائيلي، إضافة إلى إنهم محتلون لأرض هؤلاء العرب الذين يهاجمونهم.

قصة أخرى بعنوان «بين أب وابنه» للكاتب الإسرائيلي شموئيل يوسف عجنون.

في هذه القصة يجعل كاتبها الحرب قدراً مقضياً على كل يهودي وهي مقياس لوطنيته، فقتال أعداء إسرائيل العرب هو واجب وقدر حتمي على كل يهودي وهو مقياس لحب (وطنه) فلسطين.

صورة العرب في قصص الأطفال:

وهي قصص تسهم في غرس القيم وتوجيه السلوك، وذلك بما تتضمنه من معاني وأهداف ترسخ في ذهن الطفل وتضرب جذورها فيه بسبب صغر السن وصفاء الذهن الذي يعطي الطفل ميزة كبيرة في الحفظ والتلقي.

ففي قصة «الامير والقمر» وهي قصة للاطفال للقاص اليهودي «يوري ايفانز» جاء:

قالت الصغيره لي: من الذي سرق القمر؟

قلت: العرب

قالت: ماذا يفعلون به

قلت: يعلقونه للزينة على حوائط بيوتهم

قالت: ونحن

قلت: نحوله إلى مصابيح صغيرة تضيء أرض إسرائيل كلها.

ومنذ ذلك الوقت والصغيرة تحلم بالقمر وتكره العرب لأنهم سرقوا حلمها وحلم أبنائها.

هذا الصباح جاء أمير صغير إلى بيتنا وقال هل تقبلوني ضيفاً؟ رحبنا به لكن الصغيرة قالت: على أن تقول لنا من أنت؟

قال: أنا فارس من فرسان الأرض، محارب قديم في أرض إسرائيل مت صغيراً ولكني أخرج كل عام مرة أطوف في هذه الأرض (فلسطين) وأسأل هل شعبي يسكنها أم لا؟

قالت الصغيرة: نحن شعبك وأنا حبيبتك أيها الامير،

قال الأمير: ما أروعك... أطلب منك الملجأ ليلة واحدة فتفتحين لي قلبك أنت يهودية حقاً.

قالت: نعم كلنا هنا شعب إسرائيل.

ضرب الامير برمحه وقال: إذن تحقق الحلم أستطيع أن أرجع إلى قبري مرتاح البال.

تشبثت الصغيرة به وقالت لا... لم يتحقق الحلم بعد،

قال الأمير: كيف

قالت الصغيرة: لقد سرقوا القمر:

قال الأمير وهو يضرب رمحه ثانية: من؟

قالت الصغيرة: العرب

بصق الأمير على الأرض وقال: جبناء كلهم لصوص وقتلة ولكن لا بأس.

سألت الصغيرة: وماذا سنفعل؟

قال الأمير: انتظري الليله سأعود لك بالحلم الجميل.

انتظرت الصغيرة ومرت الساعات ونام الأطفال والنساء والرجال والشيوخ ولكن الصغيرة ظلت ولم تيأس ولم تستسلم للنوم لأنها تعرف أن أطفال شعب إسرائيل لا يكذبون.

بعد منتصف الليل بقليل انشقت الغيوم ورأت الصغيرة القمر جميلاً حدّقت به طويلاً وجاءت إلي وقالت:

انظر يا أبي هل هذا وجه الأمير الصغير؟

قلت: يا ابنتي الذي سرق القمر هو الذي قتل الأمير الصغير! لم تبك الصغيرة فقد تحقق حلمها وأشرق القمر على إسرائيل وهذه القصة خيالية ولكن أهدافها ومراميها واضحه للعيان فهي ترسيخ في ذهن الطفل الإسرائيلي الصورة السلبية والمشوهة للعرب.

4. صورة العرب في المسرح الإسرائيلي

لقد سخرت إسرائيل فن المسرح لخدمة أغراضها في تشويه صورة الإنسان العربي ورسم صورة سلبية بغيضة له.

ومن خلال الاطلاع على عدد كبير من المسرحيات اليهودية والإسرائيلية قدمت طوال مراحل الصراع العربي الإسرائيلي، يتبين بوضوح أن صورة العربي في

هذا الفن لا تختلف عن صورته السلبية المشوهة في الذهن الغربي والتي تشكلت من روافد مختلفه فالفن المسرحي هو رافد آخر من روافد هذه الصورة ومساهم رئيسي في صنعها.

فالعرب في المسرحيات الإسرائيلية يُصوَرُون:

1. عشوائيون يثيرون التعاطف وشخصياتهم مقززه وكريهة، متخلفون وهزليون.
2. منحطون وشياطين حقيقيين.
3. منافقون، متخلفون، حشرات قذرون.
4. وجوههم تميل إلى السمرة مثل الصخور التي التصقت بالأرض وهم كالحمير يكتفون بالقليل.
5. يرتدون دشاديش وملابس عربية ويتمنطقون بسلسلة رصاص توحي بأنهم أعداء.
6. خطرون على دولة إسرائيل (تماما كما يصور العرب والمسلمون في الغرب بأنهم خطر على الحضارة والديمقراطيات الغربية وقيمها).
7. يعملون في الأعمال الوضيعة الحقيره التي لا تتطلب ذكاء ولا مهارة (خادم، نادل، عامل بناء، عامل في ورش تصليح سيارات).
8. «انعزالي، جاهل، رث، وسخ، جبان، راعي أغنام، أعور، حطته وسخه (كوفيته وسخه) عقال من القماش المهترئ، يجره حمار أو كلب، وضيع جائع، جنسياً، غير مبال...»[1].
9. ازدراء المرأة حيث أن المجتمع العربي كما يظهر في هذه المسرحيات مجتمع أبوي متحجر.

ولنقرأ ما ورد عن صورة وصفات العربي في مسرحية مدينة واحدة.

«قديم جداً، قبيح، منحنى، بطيء، سلبي، وغير ناجح على الإطلاق، غير مهم، لا يعترف بالجميل، صعب، أناني، شرير، سكير...»

---

1 - www. Startime. Com.

وتذكر المسرحية صفات العرب كما وردت على لسان أحد العرب من ممثليها بقوله:

"أنا عربي، لي شارب، كوفيه، وأنا قذر، عفن، همجي، جبان، منافق، ماكر، لدي عقلية عبد، لذا فأنا مخادع بدون ثقافة، أنا خائن ولا يمكن الاعتماد علي، أنا اقوم بالعمل العربي وأبيع دمي مقابل عدة قروش، أطعن دائما بالسكين في الظهر، وحلمي الكبير هو أن أشرب دم كل اليهود»[1].

5- فتاوى الحاخامات وأقوال القادة:

لقد شوهت صورة العرب والمسلمين من خلال فتاوى حاخامات إسرائيل وقادتها عبر الكثير من الفتاوى والتصريحات لهؤلاء الحاخامات والقادة.

فقد وصف العرب بأوصاف قبيحة وضيعة كتصريح إلى فام نوعام فيدرمان الذي قال في برنامج حاييم يانين الوثائقي «أرض المستوطنين» الذي أذاعته القناة الثانية الإسرائيلية.

"أن معظم الشعب لا يريد أن يرى عربياً هنا وأن كل عربي بمثابة عدو وأنه يجب اخراج العرب من هنا بالقوة".

وقالت زوجة هذا الحاخام في نفس البرنامج: «أن العرب هم حثالة البشرية وإذا لم يخرجوا من هنا علينا قصفهم بشكل عشوائي وبدون تمييز»

هذا إضافة إلى كثير من الفتاوى العنصرية التي تبيح قتل العرب والفلسطينيين وتحرم بيعهم أو تأجيرهم أي عقار أو سكن.

كالأفكار العنصرية البغيضة للحاخام الهالك «منير كاهانا» التي ضمنها كتابه «شوكة في عيونكم» كقوله في ص201 منه:

«إن جيوش الدول العربية المرابطة على حدودنا لا تشكل مشكلة أن القنبلة الزمنية (وجود العرب في فلسطين) التي تدق بهدوء ومن ثم سيرتفع صوت دقاتها داخل إسرائيل هي المشكلة... ردنا أملنا أن تطرد العرب من أرض إسرائيل».

1- دان اوريان. شخصية العربي في المسرح الاسرائيلي ص64.

ولا تخرج صورة العرب في نظر معظم قادة وزعماء اليهود وإسرائيل عن هذه ولا تقل سوءاً عنها.

فقد قال الزعيم الصهيوني «تيودور هيرتزل» في كتابه «الدولة اليهودية»:

«علينا أن نشكل جزءاً من السور الأوروبي ضد آسيا ومركزاً متقدماً للحضارة مناهضاً للبربرية»[1].

وجاء في يومياته «إننا نود أن نعود كممثلين للحضارة الغربية وسندخل النظافة والنظام وعادات الغرب الأصيلة إلى هذه البقعة الفاسدة من الشرق[2].

وبالطبع هو لا يقصد بالبربرية ولا البقعة الفاسدة إلا العرب وبلادهم وحضارتهم الذين يحتاجون إلى اليهود ليعلموهم النظافة والنظام وعادات الغرب الحميدة.

ويقول أيضا في يومياته: «إذا دخلنا إلى منطقة فيها من الحيوانات البرية ما ليس اليهود متعودين عليه مثل الأفاعي الكبيرة وغيرها سأستخدم أهل البلاد ليقضوا على مثل هذه الحيوانات... وفي مناطق الأوبئة يجب أن يكون العمال على السكك الحديدية من أهالي البلاد وكذلك تجفيف المستنقعات ويمكن استخدام العرب الذين لهم المناعة ضد الحمى للعمل»[3].

رئيس الاركان الإسرائيلي الأسبق وعضو الكنيست الإسرائيلي الحادي عشر «رفائيل ايتان» وصف العرب «بالصراصير في زجاجة ينبغي أن يلفظوا من أرض إسرائيل الكاملة».

ويقول إيتان في مذكراته بعد أن وصف قتل العرب لبعض الإسرائيليين اليهود كما يدعي: «كانت تلك المرة الأولى التي أواجه فيها مثل هذه الشناعة وأدركت أن المقاتل العربي ينتمي إلى حضارة أخرى يعيش ويعمل في عالم من المفاهيم التي لم نعرفها[4].

1، 2، 3- انعام رعد، الصهيونية الشرق اوسطية ص55.

4- مذكرات رفائيل ايتان، ص16 وكأن هذا الاتان لم ينبأ بما في العهد القديم من حض على قتل المخالفين مدنيين ومحاربين وحتى الحيوانات وهذه هي الحضارة والمفاهيم التي يعرفها ايتان!

وفي هذا تأكيد على صورة العرب المفتراة كمتوحشين وقتلة... وكذلك في قوله ذاك تشويهاً للحضارة العربية الإسلامية.

وقد قال اسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل الأسبق في كلمة له أمام المستوطنين:

"الفلسطينيون سيتم سحقهم مثل الجنادب واستخدام رؤوسهم لتحطيم الصخور والجدران".

وكذلك قال مناحيم بيغين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق وسفاح دير ياسين في كلمة له أمام الكنيست:

«الفلسطينيون حيوانات تمشي على قدمين».

كما صرح رئيس بلدية تل أبيب العماد شلومو اهات:

«يجب علينا قتل جميع الفلسطينين إلا إذا اختاروا العيش هنا كعبيد...»

وكذلك تصريح للرئيس الإسرائيلي الأسبق موشيه كاتساف كما نشرته صحيفة جروزاليم بوست يوم 2010/5/1 والذي جاء فيه: "إن هناك فجوة كبيرة بين العرب واليهود في الأخلاق والثقافة وتقديس الحياة". وكذلك قوله: "إن العرب ينتمون إلى مجرة أخرى غير المجرة التي يعيش فيها اليهود وبقية العالم".

حتى عارضة الأزياء الإسرائيلية «بار رفائيلي» تهكمت على مصر فور عودتها من زيارة لها أمام جمع من الصحفيين العالميين والإسرائيليين. حيث قالت حسب ما نشره موقع ماكو الإسرائيلي:

«إن مصر دولة بدائية وقذرة وغير نظيفة بالمرّة.. ويمكن أن أعطيكم مثلا للتقريب، تخيلوا بانفسكم شكل بلد ممكن أن ترى الحيوانات والجمال والدجاج منتشره فيه على الطريق بجانب السيارات.

وهذه أقوال وتصريحات تسلب صفات البشر والإنسانية من العرب وتخرجهم من بني البشر وترسخ صورتهم المشوهة وتزيدها سوداوية في الذهن الجمعي الإسرائيلي.

وقد انعكست هذه الصورة للعرب على سلوك الإسرائيليين تجاه الفلسطينيين في السلم والحرب وكانت موجهة لهذا السلوك بما ينسجم معها.

5. صورة العرب في السينما الإسرائيلية:

سخرت صناعة السينما في إسرائيل لخدمة مخططاتها وتسويق سياساتها.

وفيما يتعلق بصورة العرب وخاصة الفلسطينيين في السينما الإسرائيلية فقد ساهمت السينما في صناعة وترسيخ صورة العرب كما هي في الفكر الصهيوني والذي كان هو الأساس لصورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية والأدب، وبالتالي فالتشابه كبير بين صورة العرب هنا وهناك، والرسائل التي قصد إيصالها من هذه الصورة متشابهة متطابقة.

ففي فيلم الأرض عام 1948 يصور العرب على أنهم كسالى بلهاء يعيشون حياة بدائية متخلفة مما تسبب في إهمال الأرض وعدم الاعتناء بها.

بالمقابل يتم تصوير المهاجرين المستعمرين اليهود على أنهم شباب أقوياء جاءوا إلى فلسطين يحملون أسباب الحضارة والتقدم.

فكما هو واضح من الصاق التهم والصفات السلبية بالعرب مما يرسخ صورتهم النمطية المشوهة ويؤكد على القوالب الجامدة التي وضعوا بها كقوم متخلفون بدائيون لا يستحقون هذه الارض التي ورثوها.

في حين توحي صورة اليهود بالتقدم والتطور والنشاط مما يجعلهم أولى بالسكن في أرض فلسطين وأقدر على إعمارها!

وفي فيلم "التل 24 لا يرد" عام 1954.

يروي قصة يهودي الإسرائيلي جاء إلى فلسطين من إحدى الدول الأوروبية وفي أثناء الحرب عام 1948 قبض على جندي مصري جريح في النقب جنوب فلسطين ويقول أن هذا الجندي المصري قد اعترف له أنه نازي قديم وقد لفظ هذا الجندي أنفاسه الأخيرة وهو يعرب عن عدائه وكراهيته...

ففي هذا الفيلم يظهر الجندي المصري الذي كان يحارب عام 1948 لمنع إقامة إسرائيل في الوطن العربي بأنه نازي لا يحارب إلا استمراراً للهلوكوست بسبب كراهيته لليهود وحب التخلص منهم!

وعلى هذا فالعرب في حربهم مع إسرائيل ليسوا إلا نازيين سائرين على طريق هتلر في سبيل الحل النهائي.

فليس هناك من قضية قومية مصيرية يقاتلون في سبيلها، وليس هناك احتلال استعماري يقاومونه. كل ما في الأمر نازية وكراهية لليهود ليس إلا!

فيلم آخر بعنوان «سرقة السماء» عام 1998 يحكي قصة الطيار العراقي الخائن منير روفا الذي قام بتهريب طائرة الميغ 21 إلى إسرائيل عام 1966 بعد أن كان الموساد الإسرائيلي قد جنده كعميل:

وما نود التركيز عليه من هذا الفيلم هو الصورة السلبية للعرب التي يحاول أن يرسخها:

- إظهار أحد الحراس العرب في أحد المناطق الحدودية وهو يرتدي الكوفية ويقوم بتنظيف أسنانه بأطراف كوفيته، وعندما تتمكن السيارة التي تقل زوجة الطيار الخائن منير روفا من اجتياز الحاجز الذي يقف عليه - في طريق تهريبها إلى إسرائيل عبر ايران- يقوم بالمناداة على رجل آخر عربي اسمه فريد الذي كان متواجداً في الحمام فيخرج هذا الرجل وهو يرتدي الكوفية ويكمل ارتداء بنطلونه وهو سائر.. ولا يخفى ما في هذا المشهد من تكريس وترسيخ لصورة العربي كشخص قذر أبله لا يعرف النظافة.
- اظهار أحد الأشخاص العرب مرتدياً الكوفية في أحد الملاهي التي كانت الجاسوسة الإسرائيلية المكلفة بملاحقة وتجنيد الطيار منير روفا ترتادها مع طيارين عراقيين آخرين. وفي ذلك اساءة حيث يظهر الطيارون العراقيون أثناء ابتعاثهم في دورات خارجية على أنهم رواد ملاهي وحانات.

- صورة أحد المساجد الكبيرة وسماع صوت الآذان يرفع منه أثناء عرض أحد مشاهد الفيلم.

وهو ما اعتادت الأفلام الغربية الصهيونية على إظهاره في معظم مشاهدها أثناء حديثها عن العرب والمسلمين كإرهابيين أو قتلة وذلك في محاولة رخيصة لربط هذه المشاهد بالدين الإسلامي!

حتى أصبحت المساجد أو صوت الآذان أو آي مظهر اسلامي نذير شؤم وارهاب.

ففي هذا الفيلم يحاول ربط مظاهر التخلف والعنف الواردة فيه والملصقة بالعرب بالدين الإسلامي وكأنه سبب في ذلك!

- اظهار طائرة الميغ 21 وهي تسير على مدرج المطار بالقرب من عدد من الخيام التي تسكنها عائلات عربية يرتدي أفرادها اللباس العربي التقليدي كالدشاديش والكوفيه...

مما يؤكد ويلصق صفة البداوة والتخلف بالعرب.

- كما يبدأ الفلم بمشهد خيمتين ويظهر رجلين باللباس العربي (دشاديش وكوفيات) يقوم أحدهما بالتبول.

كما يظهر الفيلم صور الخيام والجمال في الصحراء ورجال عرب ومناظر للأزقة التي يتجولون فيها.

وفي ذلك تأكيد للصورة القبيحة للعرب على أنهم ما زالوا في مرحلة البداوة وغير متحضرين.

- مشهد لطائرات عراقية وهي تقصف الأكراد الذين يحاولون المقاومة ببنادق بداثية ويحتمون بالخيام!.

وهـذا تعـبير عـن مظـالم الأقليـات في الـبلاد العربيـة وقـسوة العـرب المزعومـة عليهم واضطهادهم ومنع تحررهم.

ومن الملاحظ والواضح أن معظـم هـذه المشاهد لا علاقة لها بموضـوع الفيلم ولكن الهدف الخبيث وراء ذلك هو التأكيـد علـى الـصورة المشوهة المذمومـة للعـرب كبدو ومتخلفين ومضطهدين للأكراد.

اضافة إلى ربط كل هذه المظاهـر السلبية بالإسـلام عقيدة الأمة وهويتها!

الفصل السادس

كيف وُظفت الصورة النمطية في الحرب على العالم العربي والاسلامي

تقوم بعض الدول باختراع صورة نمطية لدول وشعوب أخرى لعدة أسباب على رأسها العداء بين الدول والشعوب، والذي يدفع إلى قيام بعضها برسم صورة سلبية سيئة متوفر تسهيلاً لتمرير مخططات وتحقيق أهداف يصعب تحقيقها بدون شيطنة هذا العدو في الأذهان.

فتشويه صورة العدو يجعل من السهل تحشيد الطاقات والامكانات في مواجهته، فالتشويه يعتمد على خلق صورة غير حقيقية لهذا العدو والمبالغة في تصوير خطره وتضخيم امكاناته وقدراته.

وبالتالي فلا بد من مواجهة هذا العدو أو غزوه في عقر داره في ضربات استباقيه تشل قدراته وتعطل امكاناته - المبالغ فيها- عن الحاق الضرر بالدول والشعوب الأخرى.

ولا شك أن غرس مثل هذا الخوف المبالغ فيه في عقول ووعي الشعوب يستنهض هممها ويدفعها دفعاً لحشد طاقاتها وتجنيد قواها لمواجهة هذا العدو والتخلص منه.

وصناعة الصورة السلبية للعدو هي ما اعتمدت عليه الولايات المتحدة الأمريكية في حروبها.

فبحجة محاربة الإرهاب والقضاء على مصادره والتخلص ممن يحتضنه جيّشت الجيوش من حلفائها وبررت احتلال أراضي الغير وتدمير دولهم.

فلتبرير تدخلها في الحرب العالمية الأولى عمدت أجهزة الدعاية في الولايات المتحدة إلى شيطنة القيصر ونظامه فرسم القيصر على هيئة شيطان يرتدي خوذة ذات مهماز مدبب كالمسمار البارز في قمتها ورسم الجنود الألمان في صورة مغتصبي النساء وخاصة الراهبات والممرضات وقتلة أطفال(*) وهكذا في جميع حروب

(*) للمزيد حول الموضوع يمكن الرجوع الى كتاب «قصف العقول» تأليف فليب تايلور منشورات عالم المعرفة رقم 256.

الولايات المتحدة تم تبرير تدخلها وغزوها للبلدان الأخرى بشيطنة العدو ورسم صورة سلبية قبيحة له والمبالغ في تصوير خطره وقدراته.

وكما لاحظ سام كين في كتابه «وجوه العدو» "بأنه في أوقات الحرب تنتج البلدان الكثير من أفلام الكرتون والملصقات وغيرها من الفنون لإضفاء الصبغة الحيوانية على أعدائها وذلك عن طريق المبالغة وتضخيم وتشويه الملامح حتى يتحول الإنسان إلى هيئة الوحش أو الآفة أو الحشرة وحينما تكتمل الصورة الرمزية لعدوك فتصبح قادراً على القتل دون الشعور بالذنب وأن تذبح دون شعور بالخجل"[1].

وفي غزوها للعراق حاولت الولايات المتحدة التمهيد لذلك، ولحث حلفائها الغربيين ودفعهم للمشاركة في هذه الحرب بالتأكيد على الصورة السوداوية للنظام العراقي في الغرب والمبالغة في تصوير قدراته ونواياه تجاه الغرب بالادعاء:

1. بوجود علاقة للنظام العراقي وزعيمه صدام حسين بتنظيم القاعدة.
2. بوجود علاقة للنظام العراقي بأحداث الحادي عشر من سبتمبر من عام 2001.
3. بامتلاك العراق للأسلحة النووية واستخدام السلاح الكيماوي ضد شعبه في حلبجة (الاكراد).

وبذلك تم تسويغ العداء ضد العراق وتسويغ المخططات الأمريكية الصهيونية ضده في الغرب وذلك باتخاذ الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين هناك مرجعية لذلك! خاصة مع رسوخ هذه الصورة في الأذهان الغربية عامة والأمريكية خاصة، وهكذا تم حشد القوات العسكرية وتأمين تأييد شعبي لها وإزالة أي عراقيل أخلاقية أو سياسية من طريقها... فقد وصف الرئيس الأمريكي بوش الرئيس العراقي الراحل صدام حسين بقوله «إنه رجل متوحش وقبيح وبغيض لا بد له من أن يترك مكانه وهو شخص عصابي أيضاً...»[2].

1- شيلدون رامبتون وجون ستوبر، أسلحة الخداع الشامل ص164.

2- سكوت مكيلان ماذا حدث ص209.

وقال أيضا «لا يوجد خطر أكبر من السماح لصدام حسين بتطوير أسلحة دمار شامل، سوف نواجهه إنه رجل شرير...» [1].

وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق وتدمير جيشه وقواته الأمنية ومؤسساته تمَّ استغلال ما أعقب ذلك من فوضى وحالات الفلتان الأمني والأخلاقي في تأكيد الصورة النمطية السلبية المشوهة للعرب وتسخيرها مجدداً في خدمة مخططات أمريكا وحلفائها في إدارة العراق.

فقد تم التركيز إعلامياً على عمليات النهب والسلب التي قام بها بعض الرعاع للمؤسسات والوزارات العراقية وتنافست الشبكات التلفزيونية والقنوات الفضائية على بث صورة هؤلاء وهم يحملون كل ما يقع تحت أيديهم من أثاث وأجهزة في صورة ترسخ في الأذهان تلك الصورة الكالحة الداكنة للعرب والمسلمين التي رسمت لهم في الغرب! وتبرر كل ما لحق لهم من قتل ودمار وتؤكد أنهم أقوام من الرعاع المتخلفين الذين يحتاجون دوماً إلى من يأخذ بأيديهم ويضبط سلوكهم ويأطرهم على النظام والقانون وهو ما لم يعتادوا عليه! فلا بد من تولي أمرهم بعد الاحتلال وإرشادهم للسير في طريق الديمقراطية والبناء.

وهذه كانت حجة الاستعمار دائماً في تبرير احتلال أراضي الغير واستعمار بلادهم! والسطو على خيراتها ونهب مقدراتها وشرعنة ذلك!

ففي الجزائر وُصِف الاستعمار الفرنسي بأنه "تدخل المدنية في الشعوب البربرية» [2]. وقد قال آرثر جيمس بلفور- صاحب الوعد المشؤوم بانشاء دولة إسرائيل في فلسطين: نحن نوجد في مصر من أجل المصريين فقط وعلى الرغم أنه من أجلهم فإنه من أجل أوروبا جميعها كذلك...

وكما سخرت الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين في تبرير احتلال أرضهم واستعمارها. فقد تم تسخير هذه الصورة المشوهة لتبرير وشرعنة الهجوم على:

1- نفس المرجع، ص211.

2- «صورة الآخر العربي ناظرا ومنظور اليه»عدة مشاركين ص437.

أولا: محاربة الجمعيات الخيرية والمدارس الدينية

فقد انتجت الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين حرباً عربية صليبية شعواء على العمل الخيري ومؤسساته في العالم العربي والإسلامي بحجة قيام هذه المؤسسات بتمويل الإرهاب ودعم عملياته ومنفذيها...!!

فبدعوى تجفيف منابع الإرهاب شُنت الحملات الضارية على المؤسسات والجمعيات الخيرية العربية والإسلامية لقطع الموارد المالية عن الإرهابيين وأصبحت الكثير من هذه المؤسسات مهددة بإيقافها عن العمل ومطادرة القائمين عليها وبالتالي ايقاف كثير من المعونات ومنعها من الوصول إلى مستحقيها بحجة منعها من الوصول إلى أيدي الإرهابيين!

وقد صرح «كولن باول» وزير الخارجية الأمريكي الأسبق بقوله: «أن الحرب أحياناً تكون عملاً عسكرياً لكنها من الممكن أن تكون عملاً اقتصادياً أو دبلوماسياً ومالياً أيضاً»[1].

وقد شملت الحملة المسعورة على العمل الخيري الإسلامي الهجوم على المصارف الإسلامية ومحاولة الصاق التهم بها كتهمة غسيل الأموال ودعم الإرهابيين أو عائلاتهم.

وكذلك استغلت صورة المسلمين المفتراه كإرهابيين وقتله في اتهام المدارس الدينية ومناهجها بالتطرف والتشدد وبأنها كانت محاضن لتفريخ الإرهابيين.

فبدأت حملة على هذه المدارس بالمطالبة بإغلاقها أو التدخل في المناهج التي تدرس فيها بحجة تنقيتها من كل ما يعلم التطرف ويحض على الإرهاب!

وقد صرح وزير الدفاع البريطاني «جون ريد» بقوله:

1- صحيفة الشرق الاوسط 17/ 9/ 2001 وقد نقل من كتاب «القطاع الحرابي ودعاوى الارهاب ص249.

«إن المدارس الدينية الباكستانية تسهم في تصاعد النشاط الإرهابي.

وأضاف أن هؤلاء الناس (الباكستانيون) يعترفون بأن المدارس - وهي مؤسسات تعليمية يدرس فيها الإرهاب- مصدر أساسي لعدم الاستقرار الدولي وأنها تسهم في تصاعد النشاط الإرهابي»[1].

ويقترح المستر «ريد» كحل لهذه المشكلة أن يتم حذف تدريس الآيات المتعلقة بالجهاد والمتعلقة باليهود والنصارى وأن يتم التضييق على المدارس الدينية واغلاقها.

وقد استجابت الزعامة الباكستانية لهذه الدعوات، فهذا الرئيس الباكتساني السابق برويز مشرف يقول:

«لقد منعنا جميع المنظمات المتطرفة وحجبنا عنها سبل التمويل ونحن نراقب ظهورها في رداء آخر ولا بد من استمرار هذه الجهود بدقة تامة.

منعنا جميع الكتابات والنشر والطبع والبيع والتوزيع للمواد غير المرغوبة على هيئة كتب أو كراسات أو مجلات.

قمنا بتعديل المناهج المدرسية وحذفنا منها جميع المواد التي تشجع على الطائفية أو الكراهية الدينية أو المواجهة واستبدلنا بها تعليم القيم الحقيقية.

أخذنا نراقب سوء استعمال مكبرات الصوت التي تستعمل في المساجد والتي تثير الكراهية والانشقاق. أخذنا نوجه المدارس الدينية إلى تعليم مواضيع تربوية نموذجيه معترف بها...[2]

وهكذا فالتنميط للعرب والمسلمين واتهامهم بالإرهاب ونشر الكراهية آتت أُكلها في تسهيل قبول وتنفيذ املاءات الغرب ودعواته.

1- مصباح الله عبد الباقي المدارس الدينية في باكستان ص185.

2- برويز مشرف الرئيس الباكستاني السابق، على خط النار ص356.

ثانياً: المطالبة بتغيير الخطاب الديني الإسلامي

فعبر الصورة النمطيه السلبية للعرب والمسلمين وتصورهم على أنهم ارهابيون وقتلة وانتحاريون متشائمون يكرهون الآخر ويحقدون عليه ويسعون إلى اقصائه بل قتله! وعن طريق الافتراء بأن الإسلام هو السبب في هذه الصفات السلبية المكذوبة فقد تمت المطالبه بتعديل الخطاب الديني الإسلامي الموجه للناس في المساجد والمدارس وعبر المواعظ والخطابات.

يقول توماس فريدمان- الصحفي الأمريكي المقرب من دوائر صنع القرار هناك:

«اتفاقية أوسلو فشلت بسبب الفلسطينيين أيضا ففي حين يتحدثون عن السلام باللغة الانجليزية نجدهم باللغة العربية يقيمون سدود الكراهية ضد اليهود في مساجدهم وفي مقررات مدارسهم..."[1].

وهكذا حسب مفهوم وادعاءات توماس فريدمان فإن الخطاب الإسلامي في المساجد يقيم سدوداً من الكراهية ضد اليهود ويعمق من الهوة بينهم وبين العرب الفلسطينيين!

ولا نظن أنه يقصد بذلك إلا آيات القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تتحدث عن اليهود ومواقفهم من الإسلام.

فاتفاقية أوسلو لم تفشل بسبب التعنت الإسرائيلي وعدم إيفاء إسرائيل بأي من استحقاقات هذه الاتفاقية، ولا بسبب التحيز الأعمى من جانب الولايات المتحدة لإسرائيل كلا!! بل بسبب الخطاب الديني عند الفلسطينيين وكفى بذلك سبباً للمطالبة بتغييره!

فالتشدد والتطرف الإسلامي - الذي زعموه وألصقوه بالمسلمين- هو نتيجة طبيعية لهذا الخطاب المتعدد الذي غرس في نفوس المسلمين حب الاستعلاء على

1- توماس فريدمان العالم في عصر الارهاب ص163.

الآخرين وطالبهم بضرورة التميز والابتعاد عن هذا الآخر والحذر من الذوبان في هويته وحضارته!

وهذا الهجوم الموجه في ظاهره إلى الخطاب الإسلامي المتشدد هو في حقيقته هجوم على الإسلام نفسه بعقيدته وشريعته وقيمه التي جاء بها وغرسها في أتباعه وأثمرت رجالاً وقفوا في وجه صليبية الغرب وجرائمه وأطماعه في بلاد المسلمين.

والخطاب الإسلامي الجديد الذي يريده الغرب يجب ألا يتصادم مع ما يريده الغرب عبر مفكريه وقادته ومؤتمراته فلا يحوي شيئا يعارض مخططاته واستعماريته وأطماعه في ثروات الأمة الإسلامية وخيراتها!

ولا ما يسيء إلى إسرائيل أو يدعو إلى مقاومتها!

وإلا فتهمة التحريض على الإرهاب والتطرف والحض على الكراهية جاهزة وسيفها مسلط على هذا الخطاب وحامليه!

ولنقرأ ما يورده أحد أبواق الغرب الناعقه في ذلك تحت عنوان ثلاث رسائل تربويه للقضاء على الإرهاب:

1. تجريم فتاوى التحريض على القتل وكراهيه الآخر.
2. ايقاف تعليم لاهوت القرون الوسطى المعادي للمرأة والطفل والآخر والإنسان والعقل والحياة.
3. القيام بجهاد أسطوري ضد النزوع المتأصل إلى العنف وتقاليد أخذ الثأر وروح المنازلة التي عفى عليها الزمن لكنها ما زالت في فضائنا حية تسعى، ويطالب بقطيعة سياسية وثقافية مؤلمة مع تقاليد راسخة في الوجدان النضالي العربي والفلسطيني.

ويفسر ذلك بالمطالبة بالمقاومة بنمط من المظاهرات الحديثه كي لا تنساق الجموع وراء أهوائها السياسية العنيفة[1].

1- أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 عدة مقالات ودراسات لعدد من المفكرين والكتاب العرب ص80 من مشاركة للدكتور شاكر النابلسي في الكتاب ضد العنف.

وكما هو واضح فإن سلبية صورة العرب والمسلمين المفتراة في الغرب مهدت الطريق وسوتها لتحقيق أهداف الغرب في ضرب أساس الصمود والمقاومة عند العرب والمسلمين المتمثل في الإسلام عبر التركيز والالحاح على أن الخطاب الإسلامي هو الذي يقف وراء التطرف والتشدد الذي يبدو من البعض، وبالتالي فالحل هو تغيير الخطاب! وبالتالي زعزعة أساس روح الصمود والمقاومة لهذه الامة(*).

ثالثاً: المطالبة بتعديل وتغيير المناهج الدراسية

وقد كان من نتائج الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الغرب كإرهابيين وتكفيريين ومتشددين ضد الآخر أن الغرب وبحجة محاربة هذه الصورة وتخليص العرب من هذه السلبيات والنقائص اتهموا المناهج التعلمية المقررة في مختلف المراحل الدراسية في بلاد العرب والمسلمين أنها هي المسؤولية عن تخريج الأجيال التي تحمل هذه الصورة والصفات السلبية والتي أدت بالضرورة إلى كراهية الغرب ومعاداته وبالتالي امداد الجماعات الإسلامية الإرهابية بالشباب مغسول الدماغ بفعل المناهج الدراسية والذين هم على استعداد لقتل أنفسهم وقتل غيرهم طمعا في الجنة وبقيمها!

ومن هنا اشتدت الهجمات على المناهج الدراسية كمناهج التربية الإسلامية بما هي عقيدة وشريعة وخزان القيم والأخلاق والتي حددت مواقف المسلمين تجاه أنفسهم وإتجاه الغير في السلم والحرب فقامت المطالبة بحذف وتغيير كل ما من شأنه الدعوة إلى تميز الأمة الإسلامية والحفاظ على شخصيتها وهويتها!

(*) ونحن هنا ندرك ضرورة مراجعة الخطاب الاسلامي لمواكبة واستيعاب كل مستجد في الحياة وللتحدث الى العالم بلغة عصرية يمكن بها ايصال الاسلام صافيا نقيا الى العالم بل ان هذه المراجعة فريضة اسلامية على ان يتم ذلك في اطار الاسلام دون خروج عن الثوابت ودون الخضوع لمطالب واملاءات وضغوط من هذه الجهة أو تلك لتحقيق اهدافها ومطامعها وضمان استقرار استعمارها في بلادنا.

وكـذلك تعرضـت منـاهج التـاريخ الإسـلامي إلى نفس المطالبـات بـالتغيير والتعديل كحـذف كل مـا مـن شـأنه أن يجعـل مـن هـذا التـاريخ نبراسـاً يهتـدي بـه المسلمون في مواقفهم تجاه أعدائهم!

ولم تسلم اللغة العربية من التشويه لما لها مـن أهمية قصوى في الحفـاظ علـى هوية الأمة واستقلال شخصيتها.

وقد شكلت الولايات المتحدة لجنة من مجموعة خبراء عرفت بـ مجموعة الـ 19 قدمت دراسة بعنوان الجوانب النفسية للإرهـاب الإسلامي.

وأوصت هذه الدراسة بضرورة التعاون بين الدول العربية والولايات المتحدة في مجال المناهج التي هي - بحسب ما جاء في الدراسة- المسؤولة عن الصورة السلبية لأمريكا وإسرائيل في العالم العربي والإسلامي وبالتالي هي السبب الأول- بحسب الدراسة- في الأعمال الإرهابية التي وقعت ضدها، وبالتالي فالمفروض تغيير هذه المناهج التي تحض على كراهية اليهود والعالم الغربي خاصة مما يدعوا إلى القيام بأعمال ارهابية وخاصة مفهوم الجهاد الذي يحرض المسلمين على قتل أنفسهم في سبيل إرهاب وقتل غير المسلم - على حد تعبير الدراسة- .

وتقـول الدراسـة أن الحملـة الأمريكيـة علـى الإرهـاب قـد تمكـن الولايـات المتحدة من السيطرة على الإرهاب ومنعه لمدة عشر سنوات ولكن تغيير مناهج التعليم من المرحلة الابتدائية هي الضمانة الوحيدة لعدم انتاج أجيال إرهابية.

كمـا تـشير الدراسـة إلى أن كتـاب المـسلمين المقـدس - القـرآن - هـو المسؤول عن ظهور الاجيال العنيفة عند المسلمين وهنـاك صعوبات عملية في مطالبـات الحكومـة العربيـة والإسـلامية بتغيير القـرآن، ولكـن يمكـن للمرجعيـات الدينيـة تقديم تفاسير مختلفة تساعد على تنفيذ المطالب الأمريكية[1].

---

1 - www.islam Web.net.

وكذلك كان من أهم مطالب إسرائيل في اتفاقيات السلام التي عقدت مع بعض الدول العربية هو ضرورة تغيير المناهج التعليمية في هذه الدول بما يكفل التطبيع الثقافي الذي يزيل أسباب الصراع!

ومن قبل قامت إسرائيل بتغيير المناهج الدراسية في الأراضي العربية المحتلة لإضعاف روح المقاومة لوجودها الاستيطاني بل وإضفاء الشرعية على احتلالها وشيطنة المقاومة له! وعملت على تخريج أجيال مبتورة الصلة بتاريخها وتراثها فاقدة لهويتها وشخصيتها!

وككل دعوات الغرب وأعداء الأمة الإسلامية وجدت دعوة تغيير المناهج وتعديلها من يروج لها ويدعو الامة بإخلاص وحماس للاستجابة لها!

اقرأ ما قاله أحد هؤلاء المتنورين الليبراليين... الخ!

«لماذا الخوف من تطوير البرامج التعليمية حتى لو أتت الدعوة من الخارج؟ لقد كانت القوى الديمقراطية اليسارية تطالب بتطوير البرامج التعليمية قبل الأمريكان. وقد أتت دعوة تطوير وتطهير البرامج التعليمية بعد أحداث 11 سبتمبر ومعروف أن الذين نفذوا جرائمها البشعة هم عرب ومسلمون، تخرجوا من معاهد وجامعات فقه الظلام والتخلف ولذا كانت دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لتطوير برامجنا التعليمية دعوة محقة ومفيدة بعد أن أصبح الإرهاب واقعاً عالمياً... القضاء على الإرهاب يرتبط بشكل جوهري بتطوير البرامج التعليمية وتطهير مدارسنا ومعاهدانا وجامعتنا من رموز الإرهاب وهو شرط أساسي"[1].

فسبحان من جمع اليسار واليمين في الدعوة إلى تغيير مناهج التعليم بما يتفق مع ما تريده أمريكا وحليفتها (إسرائيل).

ولا ندري إن كان قائل هذا القول يعلم شيئاً عن مناهج التعليم في الغرب وفي إسرائيل وهي مناهج وضعت وتدرس قبل أحداث 11 سبتمبر- فهي نابعة من عقيدة

1- اسحاق الشيخ يعقوب: الارهاب في جزيرة العرب ص27 الكاتب سعودي غادر السعودية وعمل في عدة صحف.

القوم وتراثهم وفيها ما فيها من تشويه بصورة العرب والمسلمين والتحريض عليهم! وقد تعرضنا لشيء فيها في الصفحات السابقة*.

رابعا: الدعوة إلى ما عرف بالإسلام الأمريكي

وبسبب ما تعرضت له صورة العرب والمسلمين من قصف بكل وسائل وأساليب التشويه جعلتهم بعقيدتهم وتاريخهم وتراثهم، مادة للسخرية والاستهزاء في مختلف وسائل الإعلام والدراسات والمناهج الدراسية في الغرب فقد أحدث ذلك نوعاً من الهزيمة النفسية عند بعض العرب والمسلمين جعلت من هؤلاء من يدعو إلى مسايرة الغرب والاستجابة إلى مطالبه.

وهنا بدأت الدعوة إلى ما عرف بالإسلام الأمريكي الذي يلغي ويحل محل الإسلام الرباني بعقيدته وشريعته المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة موهمة البعض بأن السير في هذا الطريق يلغي الصورة السلبية عن العرب والمسلمين في الغرب ويجعل منهم بشراً بمقاييسه يحظون بالقبول عنده!

فبدأت الدعوات إلى إعادة تفسير الإسلام وكتابه الكريم بما يرضي الغرب ويتماشى مع قيمه ونمط حياته ويستجيب إلى إملاءاته ويخرج إسلاماً ديمقراطياً مدنياً حضارياً خال من كل ما يعارض العصر بقيمه وأخلاقه! حتى وإن كان ما يعارض هذا العصر من ثوابت الدين وأركانه!

ومن هنا تفتق الذهن الغربي بما يختزنه من حقد على الإسلام وكرهاً للمسلمين عن «الفرقان الأمريكي» الذي يعارض القرآن ويهاجم عقيدة الإسلام وشريعته في الأسرة والمجتمع وخاصة الجهاد ومقاومة المستعمرين! وهذا هو أساس الإسلام الأمريكي الذي ارتضاه الغرب لنا ديناً**!.

وقد نشطت مراكز الأبحاث والمعاهد والجامعات الغربية وخاصة الأمريكية منها في القيام بالدراسات الإسلامية في مختلف المجالات ورصد تحليل لعدد من الظواهر الإسلامية.

---

* أم شأن ذلك شأن السلاح النووي حلال عليهم حرام على غيرهم؟!!

** وهذا الفرقان من تأليف القس المعتوه "أنيس شويش" وقد جسد فيه حقده وصليبيته ضد المسلمين، بادعائه تقليد القرآن!

ومن المعروف أن مخرجات بعض هذه المراكز والمعاهد توضع بين يدي صناع القرار الأمريكي وتكون مادة موجهة لهم.

وقد أصدرت مؤسسة راند وهي أكبر مراكز الدراسات الاستراتيجية في الولايات المتحدة والتي اختير اسمها من الاحرف الأولى من جملة Research and Development أي البحث والتطوير تقريراً عام 2007 يحوي خطة استراتيجية لتطوير الإسلام بما يتفق ومشاريع السيطرة على الأمة العربية والإسلامية واحتواء قواها وعلى رأسها القوى الإسلامية التي تشكل عائقاً أمام هذه المشاريع وعنوان هذا التقرير «إسلام حضاري ديمقراطي شركاء وموارد واستراتيجيات» ومن أهم ما ورد في هذا التقرير في سبيل تحقيق أهدافه هو دعم المجددين في الإسلام والذين يتولون تطوير الإسلام وتغيير مفاهيمه في أذهان المسلمين باسم التجديد ومواكبة العصر.

وكذلك دعا التقرير إلى دعم العلمانيين والاتجاهات الصوفية التي تبعد الناس عن الإسلام بنشر البدع والانحرافات العقدية والدعوة إلى مهادنة المستعمر ومسالمته بل ومداهنته!

وباختصار فإن الإسلام الأمريكي يقوم على الفصل بين الدين والحياة وحصر الدين في المساجد والزوايا(*) بعد تشويهه وإضعاف سلطانه على أتباعه كما هو الدين في الغرب.

وكذلك يقوم هذا الإسلام «المُحسّن» على الغاء شرائع الإسلام في جميع مجالات الحياة وخاصة ما يتعلق منها بالجهاد ومقاومة المستعمر والمحتل... ليستقر المُستعْمِر وتقرُّ عينه!

(*) بل وحتى مراقبة ما يدور في هذه المساجد والزوايا للتأكيد من أنه لا يخرج عن حلقات ذكر بدعية أو استغاثة بالاموات!

وربما نرى في بعض من يسمون بالدعاة الجدد مروجين ومسوقين لهذا الإسلام بدافع إظهار الإسلام كدين عصري لا يحوي ما يخالف العصر الأمريكي بكل ما فيه بل يمكن للمرء أن يكون مسلماً وعلمانياً وليبرالياً... ولا يتقيد بقيود الشريعة وضوابطها!

كل ذلك من أجل محاربة صورتنا السلبية في الغرب واقناع هذا الغرب بأننا لسنا إرهابيين ولا متخلفين ولا بدو راكبي جمال بل أناس معتدلون متسامحون حتى مع من يحتل ارضنا ويقتل ابناؤنا!

وأننا أتباع دين وعقيدة ليس فيها ما يتعارض مع ما في الغرب من عقائد وقيم بل ولا مع أطماعه في بلادنا وثرواتها!

وبالتالي فنحن أمة تستحق الحياة! ونستحق أن يقام لنا في الغرب شأناً!

خامسا: ملف المرأة العربية

تكونت في الذهنية الغربية نتيجه تراكمات معرفية صورة نمطية سلبية للمرأة العربية: سلعة من مقتنيات الرجل العربي يتصرف بها كيف شاء! مهمشة في الأسرة والمجتمع لا سلطان لها في الأسرة بل ولا على حياتها! جاهلة أمية تعاني من سطوة وظلم الرجل والمجتمع العربي وقيمه الذكورية الأبوية المتسلطة على المرأة... الخ هذه الصورة الكالحة القاتمة التي اعتدنا على سماعها أو قراءتها مما أوجد صورة مكذوبة عن المرأة صورت حياتها كجحيم لا يطاق في مجتمع ذكوري بني على قيم وأسس تنحاز إلى الرجل دائما وتقصي وتهمش المرأة.

وهذه الصورة المفتراة المبنية على أوهام وأكاذيب شكلت البيئة المناسبة لدور سياسي غربي استثمر هذه الصورة النمطية السلبية في اختلاق أسباب تبرر تدخله في شؤون العرب والمسلمين كمنقذ للمرأة من ظلم وظلمات المجتمع العربي الذكوري.

وقد أصبحت الصورة النمطية التي تروج عن ظلم المرأة العربية من قبل الرجل فكرة رائجة في الخطاب الاستعماري لاختلاق شرعية أخلاقية تبرر مشروعه الاستعماري في غزو واحتلال بعض البلاد العربية والإسلامية.

ففي العراق - على سبيل المثال- تم تصوير المرأة العراقية في فترة ما قبل الاحتلال- من قبل الإدارة الأمريكية وأعوانها بل وأذرعها في العراق من المنظمات النسائية ومنظمات المجتمع المدني على أنها جاهلة أمية محرومة من التعليم مهمشة لا تمارس أي نشاط عام وهي ضحية صامتة لا حول لها ولا قوة.

وهي صورة ظالمة كاذبة خاطئة تتجاهل الواقع والحقيقة! كما تم - قبيل الغزو الأمريكي وفي إطار الإعداد والتحضير لهذا الغزو- تأسيس عدد كبير من المنظمات والجمعيات النسائية العراقية في الولايات المتحدة وبدعم من الإدارة الأمريكية للتركيز والالحاح على هذه الصورة النمطية المكذوبة للمرأة العراقية بهدف الترويج لشن الحرب على العراق وتوفير غطاء أخلاقي لها بدعوى تحرير المرأة من نير المجتمع الذكوري وظلمه.

وقد تم استقبال عدد من هؤلاء النسوة في الولايات المتحدة للحديث عن معاناتهن- المفتعلة والمكذوبة في المجتمع العراقي ويطلب المساعدة لتحريرهن وتخليصهن من هذا الظلم! (*).

وكذلك الحال في أفغانستان حيث كانت مسألة قضية تحرير المرأة الأفغانية من نير حكم طالبان في مقدمة دعاوى الإدارة الأمريكية لغزو أفغانستان واحتلالها وتحشيد التأييد لهذا الغزو!

(*) ليت الإدارة الأمريكية تدعو وتستقبل عدداً من نساء فلسطين للحديث عن معاناتهن تحت الاحتلال الاسرائيلي، وليتها تدعو عدداً من نساء البوسنة والهرسك للحديث عن فظائع الصرب التي عانين منها، بل ليتها تدعوا من نساء العراق من الأرامل والمغتصبات للحديث عن الحرية التي تمتعن بها بعد الاحتلال الأمريكي وعن الكرامة التي تذوقنها في «أبو غريب».

وقد قامت «لورا بوش» زوجة الرئيس الأمريكي جورج ديليوبوش بدور بارز في الحملات الدعائية للحرب. وصرحت بتاريخ 17 نوفمبر 2001: «القمع الوحشي للنساء هو هدف مركزي للارهابيين، إن الحرب ضد الإرهاب هي أيضا حرب من أجل حقوق وكرامة النساء وأضافت «أنها ابتهجت لأن النساء الأفغانيات لم يعدن سجينات منازلهن بسبب الانتصارات التي حققتها الولايات المتحدة مؤخراً"[1].

وبسبب الصورة السلبية للمرأة العربية والمسلمة في الغرب وبسبب من الحملات الغربية المريبة التي تشن على أمتنا بحجة إزالة الظلم عن المرأة ومساعدتنا على اللحاق بركب الأمم المتحضرة.

بدأ الكثيرون في عالمنا العربي والإسلامي - حتى في الدول التي لم تتعرض للغزو العسكري- يعانون من هزيمة نفسية أفقدتهم الكثير من أصالتهم وجعلتهم يستجيبون لاملاءات الغرب في هذا المجال!

ويمكن ملاحظة ذلك في كثرة الحديث عن حقوق المرأة وتمكينها وتعيين النساء في الكثير من المناصب والوظائف حتى وإن كانت لا تتناسب مع طبيعتها.

وفي اعتبار المرأة الملتزمة ببيتها ووظيفتها الأصيلة طاقة معطلة... وفي الحديث المتهافت عن قتل الشرف والختان وغيرها من الأكاذيب مدفوعة الأجر!!

كذلك يمكن ملاحظة الخضوع للاملاءات الغربية في التعديلات المتلاحقة على قوانين الأحوال الشخصية لدرجة الخروج عن الشريعة الإسلامية في الكثير من الدول العربية والإسلامية!

كل ذلك من أجل ازالة تلك الصورة السلبية التي وصفنا بها الغرب وما هي بزائلة[*]!

1- عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي «التبرج» ص53.

(*) ونحن بصدد وضع كتاب مستقل عن هذه القضيه نسأل الله ان يعيننا على ذلك.

سادسا: تبرير الاجراءات المفيدة للحريات المتخذة ضد العرب والمسلمين في الغرب

فنتيجة إلصاق الصفات السلبية- كالإرهاب والتطرف والتعصب بالعرب والمسلمين وما نتج عن ذلك من شيطنة وصناعة لصورة نمطية سلبية لهم في الذهن الغربي - كما مرّ معنا- أصبح ينظر إلى العربي والمسلم - حتى وإن كان يحمل جنسية دول غربية- كإرهابي دخيل غير موالي، وطابور خامس، ويشكل قنبلة موقوتة داخل البلد وبين الشعب الذي يعيش وسطه!

وقد كتب مسؤول في المجلس الثقافي البريطاني ويدعى «هاري كومينز» يقول:

"تجمع المسلمين كلهم، كالكلاب سمات مشتركة معينة"[1] وكتب في مقاله أخرى في صحيفة Guardian بتاريخ 2/ 9/ 2004 يقول:

«القلب الأسود للإسلام لا وجه الإسلام الاسود، هو الذي تعترض عليه الملايين»[2].

وتم التحريض على العرب والمسلمين والادعاء بأنهم يريدون غزو الغرب واقامة دولة إسلامية تقضي على الحرية والمساواة والديمقراطية في الغرب:

فقد كتب المراسل الاوروبي لصحيفة «تايمز اللندنية» انتوني بروان يقول:

«في القرن الماضي برر المسيحيون اضطهاد اليهود وعمليات القتل الجماعي التي تعرضوا لها بزعم أن اليهود أرادوا الاستيلاء على العالم لكن هذه الأوهام الخياليه الفاشية كانت تعتمد على أكاذيب متعمده... أما الآن فإن الكثيرين في العالم الإسلامي يعبرون صراحة عن رغبتهم في أن يغزو الإسلام العالم[3].

1- ديفيد كين، حرب بلا نهاية ص284.

2- المرجع السابق ص285.

3- المرجع السابق ص285.

وهذه الشيطنة والصورة القاتمة للعرب والمسلمين في الغرب انعكست على نظرة الدول الغربية لمواطنيها من العرب والمسلمين أو المهاجرين، منهم المتواجدين على أراضيها على شكل اجراءات مقيدة للحريات ضدهم.

فقد أصبح العرب والمسلمون مستهدفين بالاجراءات التمييزية المقيدة لحرياتهم كالحرب على الحجاب واللباس الإسلامي والرموز الإسلامية والتحقيقات غير المبررة من قبل الكثير من الجهات في هذه الدول ووضع العراقيل أمام الجمعيات الخيرية الإسلامية واعاقة عملها ومراقبة المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية.

واغلاق الحسابات المصرفية والاعتقال والتوقيف لمجرد الاشتباه أو حتى لمجرد الاسم والسحنة العربية أو الإسلامية.

وتم تعديل قوانين الهجرة والجنسية بما يضيق على العرب والمسلمين الاستفادة منها..

وباختصار تم تصنيف العربي والمسلم ضمن فئة ما يعرف بـ «مثيري الاهتمامات الخاصة» وهو تصنيف يبرر كل اجراء تمييزي يتخذ ضدهم في الغرب.

وهكذا بسبب تلك الصورة النمطية السوداوية فقد أصبحت كل هذه الاجراءات مبررة ومقبولة لأنها صورت على أنها تأتي في إطار الحرب العالمية على الإرهاب الذي عانت منه المجتمعات الغربية.

سابعاً: تبرير الرفض لامتلاك الدول العربية والإسلامية للأسلحة غير التقليدية (النووية)

وبما أنها اسلحة دمار شامل فهناك خطورة من امتلاك بعض الأنظمة العربية والإسلامية لها لأن هذه الأنظمة متطرفة أو شمولية وتدعم الإرهاب والتطرف أو تؤي الإرهابيين على أراضيها.

وكذلك هناك خطورة كبيرة من احتمال انتقال هذه الأسلحة أو شيئا منها إلى أيدي هؤلاء المتطرفين الذين يعادون الغرب وحضارته ويسعون إلى القضاء على إسرائيل.

وهكذا فامتلاك هذه الأنظمة للأسلحة النوويه هو خطر على السلام العالمي والاستقرار الدولي.

فلتبرير رفض الولايات المتحدة والغرب لامتلاك العرب والمسلمين هذه الأسلحة فقد كانت صورتهم السلبيه هي الحجة الرئيسية في ذلك وهي المدخل للحصول على التأييد الدولي رسمياً وشعبياً للمضي في هذا الرفض وتحمل تبعاته:

1. فصورة العرب والمسلمين كإرهابيين وقتلة ومتهورين يعادون الغرب وطريقة حياته المبنية على قيم الحرية والديمقراطية والمساواة ويعادون إسرائيل واحة الديمقراطية والحضارة وسط الدكتاتوريات والتخلف العربي هذه الصورة كانت حاضرة في مشهد الرفض ومؤثرة فيه.
2. امعانا في التحريض ضد امتلاك الدول العربية والإسلامية لهذه الأسلحة فقد تمت شيطنة هذا السلاح بربطه بعقيدة المسلمين وأسلمته بحيث أصبح له هوية وديناً يرتبط بهما مع ما لهذه الهوية والدين من صورة كالحة مظلمة في الغرب، فأصبح مصطلح «القنبلة النووية الإسلامية» مصطلحاً شائعاً في الغرب، وذلك في محاولة مقصود بها مضاعفة التخويف من امتلاك العرب والمسلمين لهذا النوع من السلاح وبالتالي مضاعفة التحريض والتأليب ضده.

يقول الرئيس الباكستاني السابق «برويز مشرف»:

«أصبحت المسؤول عن الجيش كرئيس للأركان في 8 تشرين الأول/ اكتوبر عام 1998 حدث ذلك بعد اجرائنا الاختبار النووي الأول بخمسة أشهر وحينها كان الدكتور خان (عبدالقدير خان) قد أصبح بطلاً قومياً. وفي أيار/ مايو أصبح «أبو القنبلة الإسلامية» في نظر شعبنا والعالم، وكأنه يمكن أن يكون للقنبلة دين. أرى أن هذا الوصف ازدرائي وجارح اذ لم نسمح بتسمية قنابل الآخرين بالقنبلة الهندية أو اليهودية أو المسيحية أو الرأسمالية أو الشيوعية لكن قنبلتنا نحن تصبح لسبب ما «اسلامية» وكأن الغاية هي جعلها غير شرعية، هذه الفكرة غير

منطقية وعرقية من حيث الجوهر، وهذا مثال على ما يشعر المسلمون باستمرار من أنهم معزولون على نحو ظالم ومعرضون للتغريب»[1]

نعم يمكن أن يكون للقنبلة دين؟ إذا كان من يملكها مسلما!

نعم يمكن أن يكون للإرهاب دين؟ إذا كان مرتكبه مسلما!

ويمكن أن يكون للعنف دين؟ إذا كان مرتكبه مسلماً!

أما إذا كان المرء غير مسلم وغير عربي فلا يلحق بقومه من أذاه شيء! بل ولا يذكر دينه ولا جنسيته!

ولعل أوضح أثر لتوظيف الصورة النمطية في الحرب على العالم العربي والإسلامي ظهر في الغزو الأمريكي للعراق والذي تمثل بالفظائع التي ارتكبها جنود التحالف في سجن «ابو غريب» ضد السجناء العراقيين.

فقد استنكر العالم أجمع بما فيه الولايات المتحدة أعمال التعذيب والإهانات والإذلال التي تعرض لها السجناء في هذا السجن والتي تتنافى مع كافة القيم الإنسانية والمواثيق والاتفاقيات الدولية.

ولكن قلة قليلة هم من انتبهوا إلى أن هذه الأعمال الوحشية ضد السجناء لم تأت من فراغ بل جاءت من مخزون ثقافي تراكمي يبرر هذه الأعمال ويحض عليها.

فقد كانت الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين في المخيال الغربي كما بينا هي الدافع والغطاء الأخلاقي لاعمال الجنود الأمريكيين في السجن.

فالجندي الذي نشأ وشب على أن العرب ارهابيون قتلة، غدارون شهوانيون لا يستغرب أن يصدر عنه ما صدر عن الجنود في سجن «أبو غريب» وغيره بل لا يتوقع منه غير ذلك! فالسلوك تجاه شخص أو شعب معين يعتمد على الصورة الذهنية المتكونه والراسخة عنه.

1- برويز مشرف، مرجع سابق ص364.

فهناك مادة عنصرية بعنوان «العقل العربي» تأليف «رفائيل باتاي» تشكل ليس فقط « إنجيل غاسلي الأدمغة المحافظين الجدد بل هو أيضاً دليل الجيش الأمريكي للتعرف على سلوك العرب.

ويعكف هذا الكتاب على تقديم وصف للعرب قائلاً أنهم كسالى، مهووسون جنسياً، عدوانيون، مسعورون، لا رجاء في شفائهم ومؤمنون إيماناً أعمى بثقافة قائمة على الشرف.

ويستعمل هذا الكتاب «العقل العربي» في أوساط الجيش الأمريكي بشكل واسع وهو مقرر على ضباط مدرسة جون إن كندي الحربية الخاصة[1].

ومؤلف الكتاب «رفائيل باتاي» متوفى منذ عام 1996 ولكن أعيد طباعة الكتاب عام 2002 ليكون - على ما يبدو- مرجعاً للجنود الأمريكيين في التعامل مع العراقيين والعرب من نفس منظور المؤلف النمطي السلبي!

وهكذا فالجنود الأمريكيون لم يعملوا في «أبو غريب» و«غوانتينمو» الخ الا بما تمليه عليهم صورة العرب الذهنية لديهم وهو ما تعلموه ورسخ في أذهانهم في غرف الصف المدرسي فطبقوه في الميدان!

وهذا الصحفي البريطاني في صحيفة الإندوبندنت «روبرت فيسك» يقول عن فظائع أبو غريب:

"لماذا نحن مفاجأون بعنصريتهم بوحشيتهم وبفظاظتهم الصارخة ضد العرب؟ اولئك الجنود الأمريكيون في سجن «أبو غريب» الصدامي القديم. اولئك العسكريون الشباب البريطانيون في البصرة جاءوا من بلدان ومدن تؤوي قدراً من الحقد العنصري، أضيفوا إلى ذلك الهراء العنصري المسموم الطاغي على أفلام هوليود التي تصور العرب أناسا قذرين، فاسقين، غير جديرين بالثقه وعدوانيين مولعين بالعنف... وليس صعباً أن يرى وغد بريطاني يتبول على وجه رجل مقنع، سادي أمريكي يوقف عراقياً مقنعاً على صندوق ويده مربوطه بالأسلاك"[2].

1- ستيفن سلايطة، العنصرية العادية للعرب في الولايات المتحدة ص 310.

2- نفس المرجع، ص312.

نعم إن الذي يعرف ثقافة هؤلاء الجنود وصورة العرب الذهنية التي يحملونها لا يستغرب ما قاموا به من أعمال تعذيب مشينة ضد السجناء في «أبو غريب» لأنهم لم يفعلوا إلا ما تأمرهم به ثقافتهم وعقيدتهم تجاه العرب والمسلمين! وما تلقوه من مرحلة الطفولة إلى الكليات العسكرية! وهو أسوأ توظيف للصورة النمطيه الظالمة للعرب والمسلمين والمكذوبة عليهم.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2013.
- أبو مطر، أحمد إعداد وتقديم، أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 كما يراها مفكرون وكتاب عرب عمان- الأردن، دار الكرمل، الطبعة الأولى سنة 2007.
- اسبوزتيو، جون ل . التهديد الإسلامي خرافه ام حقيقة ترجمة، قاسم عبده قاسم، القاهرة. مصر، دار الشروق، الطبعة الأولى سنة 2002.
- أسد، محمد، الطريق الى مكة ترجمة رفعت السيد علي، بيروت – لبنان منشورات الجمل، الطبعة الأولى سنة 2010.
- الحنان، نوريت بليد، فلسطين في الكتب المدرسية في إسرائيل، ترجمة ياسين السيد، عمان- الأردن الدار الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 2013.
- اليسون، روبرت ج، أفول الهلال: أمريكا والعالم الإسلامي سنوات من الحروب البربرية، ترجمة أحمد فتحي، مراجعة عفاف عبدالمعطي. القاهرة- مصر دار هفن للترجمة والنشر والبرمجيات الطبعة الأولى سنة2009.
- اورنبيري، كاي، عاشق الصحراء جورج اوغست والين! حياته ومذكراته، ترجمة فاريه باكلا، أبو ظبي- الامارات العربية المتحدة المكتبة الوطنية، الطبعة الأولى سنة 2012.
- أوريان دان شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، مصر، المجلس القومي للترجمة.
- ايتان، رفائيل مذكرات رفائيل ايتان، ترجمة غازي السعدي، عمان، الأردن، دار الجليل للنشر والتوزيع، 1985.
- باير، مايكل كولينز، كهنة الحرب الكبار ترجمة عبد اللطيف أبو البصل، الرياض- السعودية، دار العبيكان، الطبعة الأولى سنة 2006.
- بتراس، جايمس، سطوة إسرائيل في الولايات المتحدة ترجمة حسان البستاني، مراجعة وتحرير مركز التعريب والبرمجة، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، ناشرون، الطبعة الأولى سنة 2007.
- بشاري، محمد، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دمشق- سوريا دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2004.
- بلير، طوني، مذكرات طوني بلير: مسيرة رئيس وزراء ترجمة سعيد حسنية، بيروت- لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، سنة 2011.

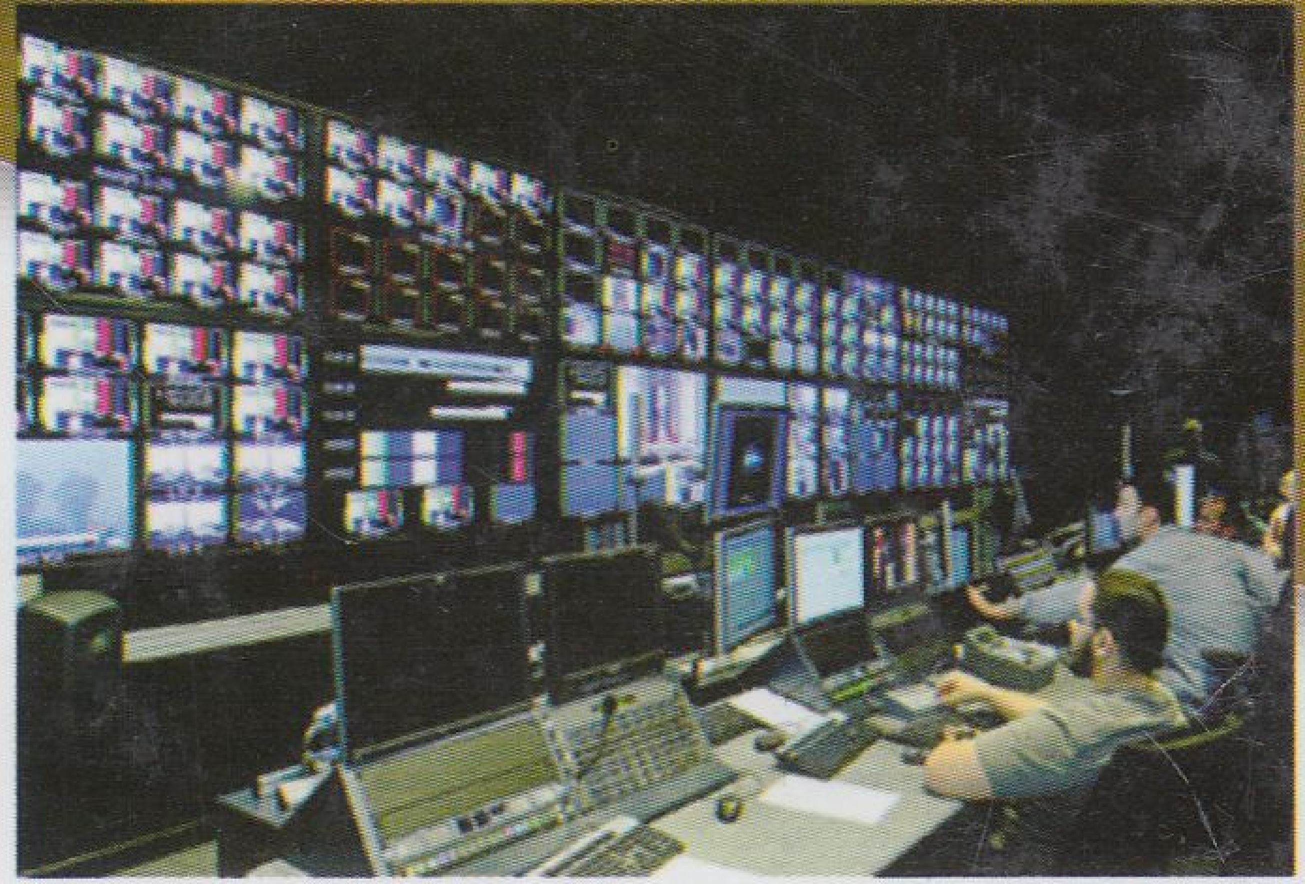
- تايلور فيليب، قصف العقول الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، ترجمة سامي خشبة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الطبعة الأولى، سنة 2000.
- بغدادي، محمود «محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين، تأليف القس الأمريكي جورج بوش، القاهرة، مصر، دار بلال بن رباح ودار ابن حزم، الطبعة الأولى سنة 2013.
- الجابر، أحمد وآخرون، المرأة العربية في المواجهة النضالية والمشاركة العامة، لبنان- بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، سنة 2006.
- جيسير، فنسان، الإسلاموفوبيا المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا ترجمة د. محمد صالح ناجي الغامدي، د. قسيم السيد آدم، السعودية كتاب العربية الطبعة الأولى سنة 2009.
- حتاملة، محمد عبده، العداء الغربي للإسلام والمسلمين أصله وفروعه، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2011.
- خضور، أديب صورة العرب في الإعلام الغربي، دمشق سوريا، الطبعة الثانية سنة 2009.
- ويميل نيلسون، عاصفة النار، ترجمة أمين الأيوبي، بيروت- لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى سنة 2006.
- ديوك، ديفيد، الصحوة النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة، ترجمة يحيى الشهابي. دمشق - سوريا. دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 2002.
- رامبتون، شيلاون وجون ستوبر، أسلحة الخداع الشامل، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، بيروت- لبنان، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، سنة 2004.
- رعد، انعام، الصهيونية الشرق أوسطية من هيرتزل إلى بيريز إلى النفق والخطة المعاكسة، بيروت- لبنان، شركة دار المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية سنة 1998.
- رتو بيت، صورة العرب في أمريكا، ترجمة ثابت عبد، مدينة السادس من اكتوبر- مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى سنة 1999.
- الزعبي، سلافة فاروق، صورة العرب في الإعلام الأمريكي، عمان الأردن دار ورد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 2006.
- زلوم، عبد الحي، أمريكا إسرائيل الكبرى، عمان- الأردن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، سنة 2009.

- زماني، محمد حسن، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى سنة 2010.
- ساري، حلمي خضر، صورة العرب في الصحافة البريطانية، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، سنة 1988.
- ساسون، جين، بنات سمو الاميرة، ترجمة محمد سعيد الحسنية، بيروت لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى سنة 2011.
- حلقة الأميرة سلطانة، ترجمة فدوى يونس، بيروت- لبنان شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى سنة 2012.
- سمو الأميرة، ترجمة انطوان باسيل، بيروت- لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الخامسة سنة 2013.
- لأنك ولدي، ترجمة هاجر عبد السلام المصلح، بيروت لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى سنة 2012.
- سعيد ادوارد، تغطية الإسلام، ترجمة د. محمد عناني، القاهرة- مصر، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2005.
- الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة د. محمد عناني، القاهرة- مصر، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 2006.
- سلايطة، ستيفن، العنصرية المعادية للعرب في الولايات المتحدة، ترجمة فاضل جتكر، الرياض السعوديه- العبيكان للأبحاث والتطوير، الطبعة الأولى سنة 2007.
- السلومي، محمد بن عبد الله، القطاع الخيري ودعاوى الارهاب السعودية مجلة البيان، الطبيعة الثالثة سنة 2004.
- سليمان، ميخائيل، صورة العرب في عقول الأمريكيين ترجمة عطا عبدالوهاب بيروت لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى سنة 1987.
- السماك، محمد، الدين في القرار الأمريكي، بيروت- لبنان، دار النفائس الطبعة الثانية، سنة 2005.
- سمعان، سمير، الأردن أقطار العالم العربي في المناهج التعليمية الإسرائيلية، عمان- الأردن لجنة بلاد الشام، الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى سنة 2007.
- وآخرون، العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية، عمان- الأردن، مركز دراسات الشرق الاوسط الطبعة الأولى سنة 2004 .
- سمبسون، وليام، الأمير «الأمير بندر بن سلطان» ترجمة عمر الايوبي، بيروت لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، سنة 2010.

- شعبان،فؤاد، من أجل صهيون التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية. دمشق- سوريا، دار الفكر، الطبعة الأولى سنة 2003.
- شماعة، منير، وأسامة الخالدي، ضحايا الجهل من هم العرب، لندن- بريطانيا دار رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى سنة 2011.
- الشبهي، ستيفن، الإسلاموفوبيا الحملة الايديولوجية ضد المسلمين، ترجمة د. فاطمة نصر، مصر، الطبعة الأولى سنة 2012.
- شيللر، هربرت أ. المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- صالح سليمان، وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية حولي- الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2005.
- الصحن، صالح، ألف ليلة وليلة في السينما والتلفزيون عند الغرب، بغداد –العراق، ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 2013.
- عبد الباقي، مصباح الله، المدارس الدينية في باكستان من الجامعة الحقانية الى المسجد الاحمر، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى سنة 2009.
- عبد الحكيم منصور. بروتوكولات حكماء وصهيون. دمشق- سوريا. دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى سنة 2011.
- عبد القادر، فتحي، محمد رجب، المخلب الدموي الشين بيت (الشاباك) عمان- الأردن الدار الأهلية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى سنة 2002.
- العشماوي، فوزيه، صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في الغرب، طرابلس ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى سنة 2007.
- علوش، إبراهيم الرسالة السياسية لهوليود تفكيك الفيلم الأمريكي عمان- الأردن، دار دجلة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى سنة 2013.
- عويجان، ناجي تطور صورة الشرق في الأدب الانجليزي ترجمة تالا الصباغ بيروت- لبنان المنظمة العربي للترجمة، الطبعة الأولى سنة 2008.
- فرانكس، تومي، ومالكوم ماك كونيل، جندي أمريكي، سيرة حياة القائد العام للجيش الأمريكي، ترجمة محمد محمود التوبة، الرياض السعودية، الطبعة الأولى، سنة 2006.
- فريدمان. توماس، العالم في عصر الإرهاب، كولونيا، المانيا منشورات الجمل، سنة 2006.

- فلوتاوهايكو، من النيل إلى تورابورا الشرق الاوسط والنظام العالمي الجديد، ترجمة د. عبد الحميد مرزدق، مراجعة د. محمد سليمان بدر، مصر الطبعة الأولى سنة 2006.
- فندلي، بول، لاسكون بعد اليوم، بيروت- لبنان، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى سنة 2001.
- من يجرؤ على الكلام. بيروت- لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة السابعة عشر، سنة 2004.
- قاسم، د. عبد العزيز، نهاية التاريخ تحت مجهر الفكر العربي، الرياض- السعودية، العبيكان، الطبعة الأولى سنة 2007.
- القصيبي، غازي، أمريكا والسعودية حملة اعلامية أم مواجهة سياسية بيروت- لبنان المؤسسة العربية للدراسات الطبعة الأولى سنة 2002.
- القناوي، سليمان وآخرون، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية العالم، سلسلة كتاب المعرفة، إصدار مجلة المعرفة وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة 2003.
- كادمان، دايفيد، سهيل اليشروني. صاحب السمو الامير تشارلز يتحدث، ترجمة سهيل شاروئي، بيروت لبنان، دار الساقي، الطبعة الأولى، سنة 2010.
- كين ديفيد، حرب بلا نهاية وظائف خفية للحرب على الإرهاب ترجمة معين الإسلام. الرياض- السعودية، العبيكان، الطبعة الأولى، سنة 2008.
- لبيب، الطاهر. صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، بيروت لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى سنة 1999.
- اللاوندي، سعيد، الإسلاموفوبيا لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟! القاهرة- عمان، نهضة مصر، الطبعة الأولى سنة 2006.
- ليتل، دوجلاس الاستشراق الأمريكي، ترجمة وتقديم طلعت الشياب، مصر، المركز القومي للترجمة. الطبعة الأولى سنة 2009.
- مزعل غانم، الشخصية العربية في الأدب العربي الحديث الجزء الأول القدس منشورات أسوار عكا، الطبعة الأولى سنة 1985.
- الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث، الجزء الثاني من 1948- 1985 عمان- الأردن دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطيني، الطبعة الأولى سنة 1986.
- المستكاوي، د. طه أحمد صورة الذات والآخرين العرب وإسرائيل مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى سنة 2007.
- مسلم، سامي، صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية، بيروت- لبنان مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية سنة 1986.

- المسلاتي، مصطفى نصر، الاستشراق السياسي في النصف الاول من القرن العشرين، طرابلس- ليبيا، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر، والخدمات الإعلامية الطبعة الأولى، سنة 1986.
- موسى، أحمد عبد الرحمن الحروب الإعلامية على الإسلام والمسلمين، مصر، دار زهور البركة، الطبعة الأولى سنة 2013.
- مشرف، برويز، على خط النار مذكرات الرئيس الباكستاني، بيروت لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى سنة 2007.
- المغني، محمد مختار، فلسفة وأهداف تربية الطفل اليهودي، عمان الأردن،ـ دار الابداع، الطبعة الأولى سنة 1992.
- ناي، جوزيف س. القوة الناعمة، ترجمة محمد توفيق البحيري، الرياض- السعودية، دار العبيكان، الطبعة الأولى سنة 2007.
- نصر مادلين، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى للسنة 1995.
- نوري، شاكر اللوبي الصهيوني في فرنسا، بيروت- لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى سنة 2013.
- نوفل، حمود، مآذن وأبراج، كتاب دبي الثقافي يصدر عن مجلة دبي الثقافية، الطبعة الأولى سبتمبر 2013.
- الهاشمي: حميد العرب وهولندا بيروت- لبنان مركز دراسات الوحدة الغربية، الطبعة الأولى، سنة 2008.
- هاغوبيان، ايلين ك. استهداف العرب والمسلمين الحقوق المدنية في خطر، ترجمة د. محمد توفيق البحيري، السعودية- الرياض العبيكان، الطبعة الأولى سنة 2006.
- وزان، عدنان، صورة الإسلام في الأدب الانجليزي، الرياض- السعودية دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1998.
- الوهيبي، عبد الله، التبرج المسيس، الخُبَر- السعودية دار تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، سنة 2014.
- الويشي، عطية، الخوف من الإسلام، القاهرة- مصر، نهضة مصر الطبعة الأولى، سنة 2006.
- يعقوب اسحاق الشيخ، الإرهاب في جزيرة العرب، بيروت- لبنان، دار الفارابي الطبعة الأولى سنة 2008.
- يسرى، محمد، ولنستبين سبيل المجرمين، السعودية، البيان مركز البحوث والدراسات، الطبعة الأولى سنة 1432 هـ 2011م.
- عدة أبحاث منشورة على شبكة الانترنت.
- عدة مواقع على شبكة الانترنت.

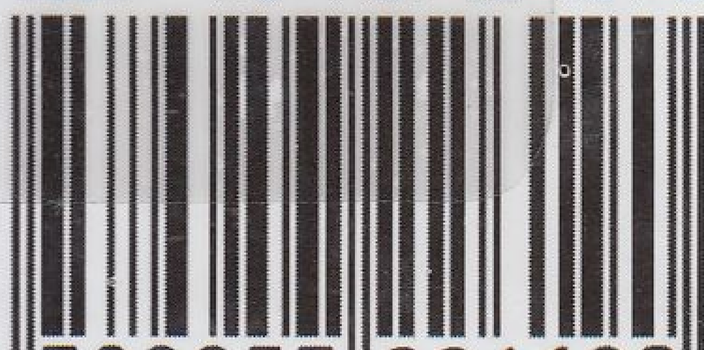


الإعلام
والصورة النمطية



دار أسامة
للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

هاتف: 00962 6 5658253 / 00962 6 5658252
فاكس: 00962 6 5658254 ص.ب: 141781
البريد الإلكتروني: darosama@orange.jo
الموقع الإلكتروني: www.darosama.net


ISBN: 978-9957-22-619-0
9 789957 226190


نبلاء
ناشرون وموزعون
الأردن - عمان - العبدلي
تليفاكس: 0096265664085